جامعة الخليل
كلية الدّراسات العليا
برنامج اللغة العربيّة

اللون ودلالاته في شعر البحتريّ

إعداد الطالبة
نصرة محمد محمود شحادة

إشراف الدّكتور
حسام التميمي

قدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
بعمادة الدراسات العليا في جامعة الخليل

2013م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نوقشت هذه الرسالة يوم الثلاثاء بتاريخ : ١٥/١/٢٠١٣م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١- د. حسام عمر جلال التميمي	مشرفاً	.....
٢- أ.د إحسان الديك	ممتحناً خارجياً	.....
٣- د. هاني صبري البطاط	ممتحناً داخلياً	.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــــداء

إلـــى ينبوع العطاء.... أمي الغاليـــة.

إلـــى رفيق دربي.... زوجي العزيـــز.

إلـــى المخلصـــــــة يســـــــــــرى.

إلى فلذات كبـــــــــــــــــــــدي

(رهام، محمود، لجين، ملك، رغد)

الباحثة

نصرة شحادة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتور حسام التميمي الذي جاد عليّ بعمله ووقته وخبرته، فأولى دراستي الاهتمام والمتابعة.

وأتقدم بالشكر إلى القائمين على

مكتبة الجامعة الأردنية

مكتبة جامعة بيت لحم

مكتبة بلدية البيرة

وأتقدم بالشكر إلى الأهل والأقارب جميعاً لما قدموه من مساندة ودعم عبر مشواري، وأخص بالذكر ابن الأخت "**الوليد بن أحمد**" الذي تابع شؤون الطباعة والتنسيق.

كما أقدم شكري إلى كل من مدّ يد المساعدة، فكان له مساهمة في إتمام هذه الدراسة.

لهم جميعاً جزيل الشكر وعظيم التقدير

الباحثة

نصرة شحادة

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ب
شكر وتقدير ..... ث
فهرس المحتويات ..... ج
الملخص ..... خ
المقدمة ..... ذ
تمهيد 1
الفصل الأول: دلالات اللون في شعر البحتري 10
أولاً: اللون الأبيض ودلالاته 11
الأبيض في الإنسان 12
الأبيض في الطبيعة 21
الأبيض في الأدوات 23
ثانياً: اللون الأسود ودلالاته 25
الأسود في الإنسان 27
الأسود في الطبيعة 31
ثالثاً: اللون الأحمر ودلالاته 35
الأحمر في الإنسان 36
الأحمر في الطبيعة 43
رابعاً: اللون الأخضر ودلالاته 44
الأخضر في الإنسان 46
الأخضر في الطبيعة 48
خامساً: اللون الأصفر ودلالاته 50
الأصفر في الإنسان 52
الأصفر في الأدوات 53
سادساً: اللون الأزرق ودلالاته 55
سابعاً: الممازجة بين الألوان ودلالاتها 57
في الإنسان 57
في الطبيعة 66

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني: أبعاد اللون في شعر البحتري 70
أولاً: البعد النفسي 71
اللون والشيب 74
اللون و المرأة المحبوبة 79
اللون والليل 83
اللون والحياة الهانئة 87
ثانياً: البعد الاجتماعي 90
اللون والبشرة 90
اللون والعيون 93
اللون والخضاب 94
اللون والثأر 95
اللون والغراب 97
اللون والخمر 98
ثالثاً: البعد الثقافي 100
رابعاً: البعد الديني 106
الفصل الثالث: أثر اللون في تشكيل الصورة الشعرية عند البحتري 110
أولاً: أنواع الصور الشعرية ودور اللون في تشكيلها 111
الصورة المفردة 111
الصورة المركبة 121
الصورة الكلية 125
الصورة الإيحائية 134
ثانياً: - امتزاج اللون بغيره من عناصر الصورة 139
اللون والمكان 139
اللون والزمان 150
اللون والحركة 155
الخاتمة 162
المصادر والمراجع 163
الملخص باللغة الإنجليزية 175

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملخص

تتناول هذه الدراسة "اللون ودلالاته في شعر البحتري"، إذ تم الوقوف على الشواهد التي برز فيها عنصر اللون في ديوانه، وتناولها بالدرس والتحليل، وقد جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول.

ويعرض التمهيد للجهود العربية القديمة في دراسة اللون، وذكر أهم المصادر التي تناولت هذا الموضوع، وفيه – أيضاً- عرض لموقف النقاد القدماء والمحدثين من قضية التقارب بين فني الشعر والرسم.

وجاء الفصل الأول بعنوان "دلالات اللون في شعر البحتري"، وفيه عرض للدلالات التي تضمنتها الألوان (الأبيض والأسود، والأحمر، والأخضر، والأصفر، والأزرق) في شعر البحتري، وهي دلالات في معظمها تتفق والموروث الإنساني من جهة، والموروث المتعارف عليه عند العرب حول مفاهيمهم للألوان وارتباط ذلك بمعتقداتهم وقيمهم من جهة أخرى. وقد بين هذا الفصل بروز اللونين الأبيض والأسود أكثر من غيرهما من الألوان في شعر البحتري وذلك لاتساع دلالاتهما، ثم يأتي بعد ذلك (الأحمر فالأخضر فالأصفر)، وأما اللون الأزرق فكان قليل الحضور في ديوانه. كما ارتبطت دلالات هذه الألوان بحضورها في البيئة المحيطة والطبيعة وحياة الناس اليومية في عصر الشاعر.

وقد جاء الفصل الثاني بعنوان "أبعاد اللون في شعر البحتري"، وفيه عرض للجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية والدينية التي كان اللون وسيلة الشاعر في التعبير عنها، فمن الناحية النفسية وظف الشاعر الألوان ليعبر عن خلجات نفسه ومشاعره موظفاً مخزونه الفكري، أما من الناحية الاجتماعية فقد جاء استخدام اللون ليشير به الشاعر إلى عادات اجتماعية سادت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند العرب. وفي الجانب الثقافي وظف الشاعر الألوان في دلالة على ثقافة خبرها، ولم ينس أن يوظف الألوان لترمز لأبعاد دينية مرتبطة بالدين الحنيف.

وأما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان "أثر اللون في تشكيل الصورة الشعرية عند البحتري" وفيه دراسة للصورة الشعرية التي كان اللون عنصراً بارزاً في تشكيلها، بما يحمل من دلالات وإيحاءات وإثارات حسية، فدُرِستْ الصورة بأنواعها المفردة والمركبة والكلية والإيحائية، ولأنّ اللون عنصر بارز من عناصر الصورة، فقد فُصِّل القول في امتزاجه بعناصر الصورة الأخرى كالمكان والزمان والحركة، وتوضيح أثره في مساندة كل عنصر من تلك العناصر... الأمر الذي أدى إلى الخروج بالصورة من إطار الجمود إلى إطار الحياة مما عمل على ترسيخها في ذهن المتلقي حتى كأنها حقيقة ماثلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقـــــدمـــة

الحمد لله الذي أعز الإنسان بالعقل، وجمَّله بالعلم، فعلَّمه مالا يعلم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين:

حاز موضوع اللون في الشعر على اهتمام الدارسين المحدثين، وذلك لأن اللون يرتبط بنواحي الحياة المختلفة للإنسان، ولجوء الشعراء إلى توظيفه لابدَّ أن يحمل في طياته ارتباطات اجتماعية وثقافية ونفسية وفكرية...، وهذا ما لمسته عند اطلاعي على دراسة لعدنان عبيدات بعنوان "جماليات اللون في مخيلة بشار بن برد الشعرية"، فقد أثارت هذه الدراسة الرغبة في نفسي في دراسة موضوع اللون عند واحد من شعراء العصر العباسي، حتى وقع اختياري على الشاعر البحتري بعد الاطلاع على ديوانه، إذ برز فيه عنصر اللون بصورة جلية، وقد جاءت هذه الدراسة "اللون ودلالاته في شعر البحتري"، لتبرز عنصر اللون في شعره، ولذلك فإن أهميتها تتمثل بجديتها في دراسة اللون في شعر البحتري، إذ لم يصل إلى علمي أن سبق أحد لمثل هذه الدراسة، وهي دراسة تكشف عن جوانب متعددة لتوظيف البحتري للألوان، إضافة لكونها تثري حلقات البحث العلمي من خلال المنهج التحليلي للدراسة.

وجاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ففي **التمهيد** عرض لآراء النّقاد القدماء والمحدثين حول اللون وعلاقته بالشعر، كما فيه ذكر لأهم المصادر القديمة التي تناولت عنصر اللون بالدراسة.

وجاء **الفصل الأول** بعنوان "دلالات اللون في شعر البحتري" وفيه تناولت الدراسة كل لون من الألوان التي ظهرت في شعره وهي (الأبيض والأسود، والأحمر، والأخضر، والأصفر، والأزرق)، ووقفت على الدلالات التي حملتها تلك الألوان، وقد تنوعت ارتباطات هذه الدلالات، فمنها ما ارتبط بالإنسان ومنها ما ارتبط بالطبيعة، ومنها ما ارتبط بالأدوات التي استعملها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان في حياته اليومية، كما ارتبطت هذه الدلالات بما حمله الفكر العربي وأحياناً الإنساني من معتقدات متعلقة بالألوان.

وقد جاء **الفصل الثاني** بعنوان "أبعاد اللون في شعر البحتري"، إذ يوضح أن للون ارتباطات بالبعد النفسي للشاعر، وبالبعد الاجتماعي ثم الثقافي فالديني، ففي البعد النفسي كان اللون وسيلة الشاعر في الكشف عن مكنونات نفسه والتعبير عنها، كما وظف الألوان في الإشارة إلى ظواهر اجتماعية سادت عند العرب، كما اتضحت بعض جوانب ثقافته باستخدامه الألوان، وفي البعد الديني إشارات لبعض الألوان وارتباطاتها دينياً.

وأما **الفصل الثالث** فجاء بعنوان "أثر اللون في الصورة الشعرية"، وفيه دراسة للصورة الشعرية التي كان للون دور بارز في كمالها وجمالها، وقد وقفت الدراسة على أنواع هذه الصورة؛ مفردة ومركبة وكلية وإيحائية، كما تناول هذا الفصل امتزاج اللون بغيره من عناصر الصورة كالمكان والزمان والحركة، وتوضيح دور اللون في مساندة كل عنصر من تلك العناصر، من ذلك أن مساندته لعنصر المكان في الصورة جعله أكثر جمالاً وجاذبية، وكشف عن انتماء عميق عند الشاعر إلى الأماكن التي رسم لها صوراً بالكلمات.

ثم جاءت الخاتمة لتلخص أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

وقد اعتمدت الدراسة كثيراً من المصادر والمراجع، كان ديوان البحتري أساساً لها، ومن المعاجم فقد كان "لسان العرب" هو المعجم الأساس الذي اعتمدته الباحثة، إضافة إلى عدد من الدراسات والأبحاث التي ساعدت على إتمام هذه الدراسة.

وأخيراً، فإنني أشكر كل من قدّم مساعدة لإتمام هذه الدراسة، جزاهم الله خيراً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيـــــد

يرتبط اللون بالطبيعة والبيئة المحيطة، فهي زاخرة بالألوان التي تمتزج معاً مكونة صـــوراً جذابة يستمتع بها الإنسان، وحاسة البصر هي الوسيط إلى تحقيق هذا الامتاع، وعليه فإن اللـــون يدخل بشكل رئيس في نواحي الحياة المختلفة للإنسان، سواء كان ذلك في ملبســـه أو مأكلـــه أو أدواته، حتى غدا جزءاً هاماً يتعامل معه الإنسان في يومياته، ومع الـــزمن ارتـــبط بمـــدلولات اجتماعية وثقافية ونفسية مما عمق صلة الإنسان بالألوان من حوله.

واللون لغة فهو هيئة كالسواد والحمرة، ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيـــره والجمـــع ألوان[1]، وأما ابن فارس فيرى أن هذا اللفظ يبدأ باللام التي تدل على دخول شـــيء فـــي شـــيء آخر، مما يشير إلى تركيب اللون من عناصر عديدة في صورة واحدة يظهر منها العنصر الذي يسود بنسبة أعلى من غيره في هذا التركيب المتداخل[2].

وأما اللون كما عرفه العلماء هو "نتيجة إحساس العين بالموجات المختلفة، فحينما يـــنعكس الضوء على جسم ما فإنه يمتص بعض موجات هذا الضوء ويرد بعضه، وهذا الجزء المـــردود يؤثر في خلايا العين فتحس باللون وتدركه"[3].

وقد زخرت العربية بألفاظ الألوان، فبرزت جهود عدة لدراسة اللون كان أقدمها ما جاء في كتاب "الخيل" حول ألوان الخيل، من الدُّهمة والخضرة والحوة والكتمة والصفرة والوردة والشقرة والشهبة، وقد فصل القول حول كل لون منها[4].

وفي كتاب "سر الخليقة وصنعة الطبيعة – كتاب العلل" – وهو كتاب مترجم عن اليونانية – ورد حديث عن مفاهيم الألوان من الناحية العلمية، ويرى مؤلفه أن الألوان الأساسية هي البياض

---

(1) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لون).
(2) **مقاييس اللغة**، فصل اللام والنون وما يثلثهما.
(3) طالو، محي، **الرسم واللون**، ص 163.
(4) ينظر: **معمر بن المثنى**، أبو عبيدة، ص 230-235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسواد والحمرة والصفرة والخضرة والأسمانوجي، كما يرى أن اللونين الأسود والأبيض هما أقدم الألوان، ومن ثم يفصل القول في تولد الألوان المختلفة[1].

ومن المصادر التي تناولت الألوان كتاب (خلق الإنسان)، وفيه باب خصص للحديث عن ألوان الشَّعر من أسود وأبيض، وعرض للألفاظ المتعلقة بكل لون منها[2]، كما أفرد باباً آخر لألوان الحدقة[3].

وفي نهاية القرن الرابع الهجري ظهر اهتمام أكبر بدراسة اللون، فقد وضع النمري معجماً في الألوان أسماه (الملمع)، وذكر فيه خمسة ألوان (الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر، والأخضر) وحرص المؤلف على تحديد معاني الألوان بنصوص وشواهد شعرية اختار أكثرها من أشعار الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام.

وفي القرن الخامس الهجري ظهرت مؤلفات عدة اهتمت بدراسة اللون، منها كتاب (مبادئ اللغة) الذي خصص مؤلفه فيه باباً أسماه "باب ألوان الخيل"[4]، وقد حصرها في ثمانية ألوان، وهي: الدّهم والحوّ والخضر والكمت والوراد والشقر والصفر والشهب ثم أخذ مفصلاً الحديث عن كل لون منها.

وفي تلك الفترة أيضا ظهر معجم "المخصص"، وفي السفر الأول منه حديث عن "صفات ألوان الحدقة"[5] وآخر عن "ألوان الشفة"[6]، وفي السفر الثاني منه بحث مفرد "للألوان"[7] فيه عرض آراء أئمة اللغة العربية في تعريف اللون، وذكر عددٍ كبيرٍ من الألفاظ المستخدمة للألوان

---

(1) **بلينوس الحكيم**، ص 473.
(2) ينظر: **ابن أبو ثابت**، أبو محمد ثابت، ص 85.
(3) ينظر: نفسه، ص 120.
(4) **الإسكافي**، الخطيب، ص 120.
(5) **ابن سيدة**، ص 98.
(6) نفسه، ص 142.
(7) نفسه، ص 103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند العرب. وفي السفر الرابع حديث عن "ألوان اللباس"[1]، وفي السفر الخامس حديث عن "تغير اللون من المرض واليبس"[2]، وفي السفر السادس بحث مطول عن "ألوان الخيل"[3]، وفي السفر السابع خصص بحث عن "ألوان الإبل"[4]، وفي السفر نفسه حديث عن شيات الضأن ونعوتها"[5] وفي السفر الثامن حديث عن "نعوت الظباء من قبل ألوانها"[6].

وفي كتاب "فقه اللغة" عنوان "في ضروب الألوان والآثار"[7]، وفيه حديث عن الألوان الأبيض والأسود والأحمر في الإنسان والحيوان والنبات.

وقد أشار النقاد القدماء إلى اللون بآرائهم النقدية التي أثاروها حول الشاعر المبدع، فالجاحظ يرى أن "الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[8]، فالشعر عنده جزء من التصوير، وما التصوير إلا عالم من الألوان، وإبداع الرسام يظهر في حسن استخدامه لألوانه وتنسيقها، وكذلك الشاعر فإن إبداعه يظهر في حسن تخيره لألفاظه ومعانيه وترتيبها وتنسيقها، وهو بذلك يشير إلى علاقة بين الشاعر والرسام.

وأما ابن طباطبا فتحدث عن الشاعر المجيد فقال "ويكون – أي الشاعر - كالنسَّاج الحاذق الذي يفوِّفُ وشيه بأحسن التفويف ويسدِّيه وينيره ولا يهلهل شيئا منه فيشينه، وكالنقاش الرقيق الذي يصبغ الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان"[9]، فابن طباطبا يرى الشاعر فناناً عالمه الألوان عندما شبهه بالنسَّاج مرة وبالنقاش مرة أخرى، فإذا كان النسَّاج يستخدم خيوطه المتينة ذات الألوان المتناسقة للإبداع في عمله وإذا كان

---

(1) **ابن سيدة**، ص 95.
(2) نفسه، ص 72.
(3) نفسه، ص 150.
(4) نفسه، ص 55.
(5) نفسه، ص 192.
(6) نفسه، ص 25.
(7) **الثعالبي**، ص121.
(8) **الحيوان**، 3: 132.
(9) **عيار الشعر**، ص 11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النقاش يعتني باختياره لأصباغه ليظهر عمله على أبهى صورة، فإن الشاعر الذي يحسن نسجه لكلماته وتخيره لأفضلها يكون حاذقاً ماهراً، ولا يخفى ما في هذا القول من إشارة إلى تقارب الفنون.

وشبه ابن سنان الخفاجي تآلف حروف الكلمة في السمع بتآلف الألوان في مجرى البصر[1]، وهو بذلك يشير إلى علاقة وطيدة بين الشعر والرسم،إذ قرن أثر الكلمة على السمع بتأثير الألوان على البصر في رؤية الصورة.

وأكد عبد القاهر الجرجاني صلة التقارب بين الشاعر والرسام، وذلك عندما تحدث عن الشاعر الذي يحسن اختيار معاني النحو ووجوهه، مما يجعل شعره متينا وحسنا؛ فشبهه بالأصباغ التي تصنع منها الصور، يقول: "وإنَّما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش، فكما انك ترى الرجل قد تهدَّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها، وترتيبه إياها إلى ما لم يتهدَّ صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب، وكذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم"[2]، ويتابع قوله "واعلم أنه من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين"[3].

---

(1) ينظر: **سر الفصاحة**، ص 54.
(2) **دلائل الإعجاز**، ص 70.
(3) نفسه، ص70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن بعده أشار حازم القرطاجني إلى هذه العلاقة التي تربط الشاعر بالرسام بقوله "إن المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى المحاكاة بالمتلونات من البصر"[1]، ومن الملاحظ أنَّ النقاد القدماء قد اعتمدوا الجانب الحسي في مقاربتهم بين الشعر والرسم.

وفي النقد الحديث اتسعت دائرة دراسة الفنون، مما أدى إلى ظهور مصطلح (الفنون التشكيلية) ويعنى بها التصوير والنحت وما إليها، ومصطلح الفنون التعبيرية كالموسيقى والغناء والشعر، وترتد هذه الفنون إلى نوع الحاسة التي نمارس بها هذا الفن أو ذاك، أو إلى سبب يتصل بطبيعتها الخاصة أو إلى منهاجها عن الأحاسيس والمشاعر[2]، وعندما بحث هؤلاء النقاد في العمل الفني وجدوا "أن ثمة عناصر ثلاث لا بد أن تدخل في تكوين العمل الفني، وهي على التعاقب: المادة، الموضوع، التعبير"[3].

ويعد الفيلسوف الألماني (لسنج) من أشهر النقاد الذين وقفوا على المقارنة بين الفنون وخاصة الرسم والشعر، فهو يرى أن "الرسم والشعر يستعملان مواد مختلفة باختلاف الموضوع الذي يصورانه. ومن هنا يتضح أن الفن الذي يوجد بوضع الأشياء بعضها بجانب بعض لا يعبر إلا عن الموضوعات التي تتكون من أشياء موضوعة بعضها بجانب بعض، بينما الفن الذي يوجد بتسلسل الأشياء لا يعبر إلا عن الموضوعات التي تتكون من أشياء تتكون بالتسلسل والتوالي، ونحن نسمي الأشياء التي تتكون من أشياء وضع أجزاء بعضها بجانب بعض أجساداً، ونسمي الأشياء التي تتكون من تسلسل الأجزاء وتتابعها حركات، والأجساد هي موضوع الرسم بينما الحركات موضوع الشعر"[4].

---

(1) **منهاج البلغاء**، ص 104.
(2) ينظر: مصطفى، محمد عزت، **قصة الفن التشكيلي**، 5/1.
(3) إبراهيم، زكريا، **مشكلة الفن**، ص57.
(4) السمرة، محمود، **النقد الأدبي والإبداع في الشعر**، ص49-50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الفروق التي لاحظها (لسنج) بين الفنين أن للشعر لحظات من الزمان وللتصوير لحظة في المكان، فالشاعر إذا أراد تصوير شيء فإنه لا يستطيع نقله نقلاً، إنما يعطي أثره فيه ووقعه في نفسه، وما بعث فيه من أحاسيس ومشاعر وذكريات دفينة، وهو مهما أوتي من قدرة بلاغية وبيانية فلا يمكنه تجسيم ذلك في صورة معينة، وما هي إلا أوصاف تتعاقب مع الزمن وتتجمع منها صورة يؤلفها المتلقي لنفسه من أشتات الألفاظ، أما الرسام فيجمع ما يصوره بقسماته وأجزائه في مكان أو في رقعة أو لوحة، فيراه المتلقي في لوحة ويبصره في نظرة واحدة، وذلك لا يعني أنه ينقل المنظر من مناظر الطبيعة نقلا مطابقا لواقعه، لأنه يضيف إليه ما يختلج خياله وأحاسيسه مما يثير في المتلقي خوالج مختلفة، وبذلك تكون الصورة محدودة بمساحة خاصة تمتزج فيها الألوان وتتلاحق الكتل المضيئة والمظلمة، متباينة في أشعتها النيرة وظلالها القائمة[1].

ومن النقاد الذين ظهروا في ألمانيا، وتوسعوا في آرائهم النقدية حول الفنون الناقد (هيجل) الذي يرى الشعر "أنه الفن الكلي، وهو فن معبر عن الوضوح التشكيلي الذي نجده في النحت كما أنه فن يجمع المكانية والزمانية لأنه يستخدم الصور ذات الشكل المكاني كما أنه يحكي تاريخ البشر والناس، وعبر الزمان تجد فيه اللوحات التصويرية كما تجد فيه الروح الباطنية، وواسطته هي الصورة الخيالية وليس الصوت، والصورة الخيالية هي وسط بين الوجود الجسماني وبين العقل المجرد، والمعنى في الشعر أهم من الصوت أي إنه قد يجمع بين مبدأ التشكيل ومبدأ الموسيقى"[2].

وهو برؤيته هذه يرى أن الفنون الأخرى قاصرة أمام فن الشعر، فهي لا تنطوي على الأسس الجمالية التي يشملها الشعر، فبالموسيقى نبلغ الفن الذاتي من حيث إنها ترجع إلى

---

(1) ينظر: ضيف، شوقي، **في النقد الأدبي**، ص92-93، وينظر: ويليك، رينيه، **تاريخ النقد الأدبي**، 390/1.

(2) مطر، أميرة، **في علم الجمال وفلسفة الفن**، ص 93-94.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انفعالات النفس وألوانها مستخدمة الصوت، ولكنه رمز مبهم غامض أما النحت ففيه تقارب بين الصورة والفكرة، أو الشكل والمضمون إلى حد ما، على اعتبار انه ضرب من ضروب التعبير فيه نفخ روح في مادة غليظة كالحجر والرخام والطين والمعدن ، أما فن التصوير فيستخدم مواد أكثر لطافة وتقتصر على رسم سطح الجسم، ويوحي بالعمق بوساطة السطح ولكنه لا يعبر إلا عن وقت من أوقات الحياة[1].

ومن النقاد الذين مجدوا فن الشعر (شوبنهاور) الذي يقول "من شاء معرفة الإنسان في طبيعته الداخلية في ظواهرها وتحولاتها، ومن شاء معرفته في ضوء الفكرة، فإنه عند شاعر عظيم خالد، صورة هي أكثر تميزاً وصدقاً وحقيقة مما يستطيع أن يقدمه أي مؤرخ"[2].

ومع ذلك فهو على خلاف مع (هيجل) فهولا يرى في الشعر فن الفنون، ففي رأيه أن فن الموسيقى يكتسب سمة التكامل بين الفنون الأخرى، وقد أعلى من شأنها ذلك أن "في الموسيقى وفيها وحدها تقريبا يمكن للفنان أن يخاطب جمهوره مباشرة دون تدخل وسيلة للاتصال تستخدم بشكل عام في أغراض أخرى، ومن قبيل ذلك أن المهندس المعماري لابد أن يعبر عن نفسه في المباني ذات الأغراض المنفعية الأخرى، وكذلك لابد للشاعر أن يستخدم الكلمات التي تدور وتتداول في الأحاديث اليومية بين الناس، ويعبر الرسام عن نفسه عادة بإعادة تمثيل العالم المرئي، وليس هناك إلا مؤلف الموسيقى الذي يكون حراً في خلق عمل من أعمال الفن، نابع من وعيه الخاص، وبدون هدف آخر غير الإمتاع"[3].

وأما (كروتشة) فذهب إلى أن الإبداع هو جوهر العمل الفني، رافضاً النظرية القائلة بأن "الفن محاكاة الطبيعة"، فقد تكون الطبيعة زاخرة بأشياء جميلة، ولكن الخيال الإبداعي عند بعض

---

(1) ينظر: سالم، محمد، **قراءات في علم الجمال**، ص17.
(2) إ.نوكس، **النظريات الجمالية**. كانط، هيجل، شوبهناور، ص171.
(3) هربرت، ريد، **معنى الفن**، ص 19-20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصورين أو الشعراء هو الذي يضفي عليها خجلا، فالطبيعة خالية تماما من التعبير أما حين تطلق عليها صفة الجمال فإننا ندركها ونتذوقها بروح الفنانين، واستغراقنا فيها وامتزاجها بذواتنا الشاعرة فتتكشف ما فيها من جمال ذلك أن الطبيعة خرساء ما لم ينطقها الفنان[1]. وبهذا يكون الفن عند كروتشة بكليته مثالياً، بمعنى أنه حدس روحي مكتمل قبل أي صلة له بالخارج، وينسحب هذا على جميع الفنون بما فيها الشعر[2].

ومهما كان من شأن هذه الآراء النقدية، فإنها جميعا تعود إلى فلسفة إدراك الجمال في الفنون، والشعر باعتباره واحداً من هذه الفنون يرتكز على معايير كثيرة، ولعل الصورة الشعرية أبرز تلك المعايير التي ترفع أو تحط من قيمة القصيدة الشعرية، وهي مرتبطة باللون،إذ تعتمد في كثير من تشكيلاتها على استخدام الألوان.

والمتعارف عليه أن اللون هو المادة التي يعتمد عليها فن الرسم "فاللون يمثل اللغة البصرية الأولى التي تنطوي عليها اللوحة"[3]، ولكن هذا اللون يتحول "إلى دال حين يوضع ضمن سياق لغوي وبهذا يمتلك دلالة في إطار بناء الجملة الشعرية"[4]، وعليه فإن توظيف اللون في القصيدة الشعرية يشكل بنية لغوية مهمة "ذلك أنه في حد ذاته لغة قادرة على حمل المدلولات الكافية لإيصال المعنى"[5].

وقد دأب النقاد على تتبع المحاور الدلالية لجماليات اللون واستجلائها في الخطاب الشعري، كان أبرزهم (جوجان) الذي أطلق عليها مسمى "شعرية اللون"، ورأى أنها تتمثل في علاقات عدة هي التراث والطبيعة واللغة والأيدلوجيا والعصر والعامل النفسي[6].

---

(1) ينظر: سالم، محمد، **قراءات في علم الجمال**، ص 25.
(2) إ.نوكس، **النظريات الجمالية. كانط، هيجل، شوبهناور**، ص121. وينظر عباس، إحسان، **فن الشعر**، ص32.
(3) قاروط، ماجد، **تجليات اللون في الشعر العربي الحديث**، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا، 2005م، ص 8.
(4) ربابعة، موسى، **جماليات اللون في شعر زهير**، مجلة جرش للبحوث الإسلامية، مج2، ع2، 1998، ص11.
(5) المتوكل طه، **دراسة في الثلاثاء الحمراء**، ص 117.
(6) دياب، محمد حافظ، **جماليات اللون في القصيدة العربية**، مجلة فصول مج5، ع2، 1985، ص41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتدخل الألوان في تركيب الصورة الشعرية، مما يجعلها جزءاً مهما، ذلك أن الشاعر في "انتقائه الألوان التي يشكل بها صوره يسعى إلى استكشاف الصورة أولا، ثم إثارة القارئ ثانيا، وعليه يكون الشعر بالنسبة للقارئ وسيلة لاستحضار الأشكال والألوان في نسق خاص تستمتع الحواس به"[1] ويرى موسى ربايعة "أن توظيف اللون في الصور الشعرية لابد أن يكون عائدا إلى طبيعة الوقت والشعور والإحساس، فليس اختيار لون محدد عملية خالية من ارتباط بالموقف والشعور، وإنما هي عملية مؤسسة على أن اختيار اللون داخل في إطار الرؤية التي ينطلق منها الشاعر"[2].

والشعراء في إبداعهم لصورهم يتجاوزون الواقع المتمثل في الطبيعة إلى نوع من التجربة وهو الرؤية الرمزية، واستخدام اللون كرمز في الصورة الشعرية يجعله "عضواً حياً في وحدة النص"[3]، وهذا ما أشار إليه (جوجان)، إذ يرى أن الألوان في القصيدة قد تحمل إشارات سيميولوجية مما يحولها للرمزية "إن بعض الألوان تعطينا إحساسات غامضة، وعلى ذلك فلا يمكننا استخدامها استخداماً منطقياً بل نضطر إلى توظيفها رمزياً[4].

ومن هذا المنطلق لجأ الشعراء إلى توظيف الألوان في قصائدهم رمزيا، فمنهم من أحب اللون الأزرق وبعضهم فضل الأخضر، وبعضهم امتلأ شعره بكل الألوان، ويستوي في ذلك شعراء العرب والأجانب[5].

---

(1) إسماعيل، عز الدين، **التفسير النفسي للأدب**، ص68.
(2) **جماليات اللون في شعر زهير ابن أبي سلمى**، مجلة جرش للبحوث الإسلامية، مج2، ع2، 1998م، ص9.
(3) نوفل، يوسف حسن، **الصورة الشعرية والرمز اللوني**، ص41.
(4) دياب، محمد حافظ، **جماليات اللون في القصيدة العربية**، مجلة فصول مج5،ع2 ،1985، ص41.
(5) **نفسه**، ص 42-43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

دلالات اللون في شعر البحتري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً- اللون الأبيض ودلالاته

الأبيض ضد الأسود، وهو "لون يحمل معاني التفاؤل والجمال والبشر"[1]، وهو "لون الطهارة والنقاء والثقة والتواضع والرقة والسلام"[2]، ويدل اللون الأبيض عند العرب "على الجمال والنقاوة والسلام"، وقد ورد في العربية الكثير من الألفاظ الدالة على اللون الأبيض فقالوا: "أبيض ثم يقق ثم لهق ثم واضح ثم ناصع ثم هجان وخالص"[3] وذلك للتعريف بدرجات البياض وصفاته. ومنه قولهم رجل أزهر، وامرأة رعبوبة، شعر أشمط، وفرس أشهب، وبعير أهيس، وثور لهق، وكبش أملح، وثوب أبيض، وفضة يقق...[4] إلى غير ذلك من الألفاظ التي تتعلق بالبياض ومواضعه، والأبيض هو "النور الذي يرمز منذ القدم إلى الذات الإلهية"[5]، وفي "مصر القديمة كان الفرعون يرتدي تاجاً أبيض ليرمز لسيطرته على مصر العليا"[6]، وفي العهد الأشوري كان الكاهن يرتدي قميصاً أبيض لارتباط هذا اللون بالقداسة[7]، ولهذا فهو لون "التجرد من الزيف والتخلص من دنيا الألوان"[8]، ويحمل اللون الأبيض "دلالة الحسن والجمال عند المرأة، وعلية القوم عند الرجل"[9]، ولبهاء هذا اللون فقد وصفت به نساء الجنة في قوله تعالى: { كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ } [10] كما أنه صفة الذين أنعم الله عليهم بالرحمة { وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [11].

---

[1] شكري، عبد الوهاب، **الإضاءة المسرحية**، ص 85.
[2] علي، إبراهيم محمد، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام قراءة ميثولوجية**، ص130.
[3] الثعالبي، **فقه اللغة**، ص 121.
[4] ينظر: **نفسه**، والصفحة نفسها.
[5] صحناوي، هدى، **اللون ودلالته في الشعر العربي السوري الحديث**، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، سوريا، ص40.
[6] عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص165. نقلاً عن Color Psychology، ص 6.
[7] جودي، محمد حسين، **تاريخ الأزياء القديمة**، ص46.
[8] علي، إبراهيم محمد، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام قراءة ميثولوجية**، ص 130.
[9] حمدان، أحمد عبد الله محمد، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008 م، ص 39.
[10] **الصافات**، ص 49.
[11] **آل عمران**، ص 107.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإلى جانب هذه المعاني الإيجابية للون الأبيض، فقد اتخذ أحيانا دلالات سلبية، فقد ذمّه العرب في مجال الشيب، ذلك أن ظهور الشيب نذير بدنو الأجل وتولي أيام الشباب، كما ذم في باب المفاخرة بين السوداء والبيضاء في قصص ألف ليلة وليلة[1].

وورد اللون الأبيض في القرآن الكريم بدلالة سلبية إلى جانب دلالاته الإيجابية، وذلك في قوله تعالى في معجزة موسى عليه السلام حين أخرج يده { بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ } [2]، فكلمة بيضاء تمثل دلالة إيجابية بمعنى النور المشع، وأما كلمة (سوء) فالمقصود بها المرض الذي يعرف بالبرص، وتبقى هذه الدلالات السلبية دلالات استثنائية للون الأبيض في مقابل الدلالات العامة المعروف بها.

وفي شعر البحتري برزت دلالات متعددة للون الأبيض أعرضها على النحو الآتي:

الأبيض في الإنسان

ورد استخدام اللون الأبيض في الإنسان في وصف وجوه عدّيدة تمثلت في المرأة واليد والوجه والملابس والأخلاق الرفيعة والشيب.

ونسب البياض إلى المرأة، وسياق المرأة ربما كان ألصق السياقات بالبياض، ذلك أن هذا اللون قد اكتسب كثيراً من التعلق بأجواء الصفاء والإشراق والحب[3]، ومن ذلك قول البحتري:

بَيضاءُ أوقد خديها الصِّبا، وسقى أجفانَها مِنْ مدام الراحِ ساقيها[4]

فاللون الأبيض للمحبوبة مثل سمة جمال لها، وقد زاد هذا الجمال صباها الذي أوقد الحيوية فيها.

ويبقى البياض في المرأة علامة جمال وحسن للمحبوبة التي يعشقها الشاعر، فهي في قمة الجمال والجاذبية فيقول:

---

(1) ينظر: **ألف ليلة وليلة**، ج2، **الليلة** 376.
(2) **القصص**، ص 32.
(3) عبد المطلب، محمد، **شاعرية الألوان عند امرئ القيس**، مجلة فصول، مج5،ع2، 59، ص 20.
(4) البحتري، **الديوان**، 2409/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيضـــاءُ إن تُعْلِـــل بلحـــظٍ لا تَهَـــبْ بُـــرءاً وإن تقتـــل بِـــدلٍّ لا تَـــدِ[1]

فاللون الأبيض للمحبوبة هو سمة جمال تغنى بها الشاعر، ويزيد جمالها نظراتهـا التـي لا يشفى الإنسان منها، وهي نظرات قاتلة لا تدفع الدية لقاتلها، وبهذا يكون الشاعر قد حمَّل اللـون الأبيض أعلى سمات الحسن والجمال عندما ربطه بالقتل والمرض.

كما نسب البياض إلى الأوانس اللاّتي اتخذ منهن خليلات في الهوى، إذ يقول:

أجيراننـــا أزمَعُـــوا عـــن (زرود) رحـــيلاً ومـــا رابهـــم مـــن زرودِ
تَولـــوا ببـــيض كمثـــلِ الظِّبـــاء مـــن الآنســـات الرَعَابيـــب غيـــدِ
مَزجْنـــا كُـــؤوسَ الهـــوى مـــرةً بتلـــك العيـــونِ وتلـــكَ الخـــدودِ[2]

فقد شبه الفتيات البيض بالظباء لجمالهن، وليبرز هذه الصفة أكثر وضـوحاً كثـف اللـون الأبيض باستخدام كلمة (الرعابيب)، التي تشير إلى الفتاة البيضاء الناعمة، ليظهـر النسـاء فـي أبهى صور الجمال والحسن. الذي يهيم به العاشق.

وارتبط ذكر اللون الأبيض للفتاة بمعنى الحسرة التي يخلفها فراق المحبوبة في نفس الشاعر فيقول:

فيـا شـوْمَ جَـدّي كيـف أَبكـي تلهفـا على ما مضَى من وَصْلِ بيضـاءَ كاعِـبِ
رأَتْ رَغْبَتـي فيهـا فَأَبْـدَتْ زَهـادة أَلا ربُّ محـرومٍ مِـنَ النّـاسِ راغـبِ[3]

وهو يشير في هذا السياق إلى جمال معنوي اتصفت به المحبوبة إلى جانب جمالها الحسـي وهي العفة والطهارة، وهو أحد الدلالات التي أداها اللون الأبيض في سياق وصف المـرأة فـي شعر البحتري.

---

(1) **الديوان**، 689/2.
(2) **نفسه**، 765/2 -766. وينظر 495/1، 510/1، 987/2، 1245/2.
الرعابيب: جمع رعبوبة وهي البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة وقيل البيضاء فقط. ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رعب).
(3) **نفسه**، 311/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يتعلق بالفتاة المحبوبة وصف جزء منها، وهو الصدر إذ يقول:

فكـــم ليلـــةٍ قَـــدْ بِتُّهـــا ثـــمَّ ناعِمـــاَ بِعيني عَلَيـــلِ الطَّـــرْفِ بـــيض ترائبـــه[1]

فهو يشير إلى التنعم بالقرب من المحبوبة، فجمال عينيها ساحر، ومما يزيد سحرها وتمتـــع الشاعر بها، جمال صدرها الأبيض الذي يزيد عنده النشوة والفرحة بالقرب منها.

ومن متعلقات الإنسان اليد، وقد أورد البحتري اللون الأبيض ونسبه إلى اليد مستخدماً لفظـــة (اليد) مرة، ولفظة (الأيادي) مرة أخرى، مدللاً بذلك على العطاء والمنح، وقد جاء ذلك في بـــاب الثناء على ممدوحه إذ يقول مادحا:

وكـــم لـــكَ مِـــنْ يـــدٍ بيضـــاء عنـــدي لهـــا فضـــلٌ كَفضْـــلِكَ والأيـــادي[2]

ومنها قوله:

ومـــا أنـــا إلا عبـــدُ نِعْمَتِـــكَ التـــي نَســـبْتُ إليهـــا دونَ رَهطـــي ومَنصـــبي
وَمَـــوْلَى أيـــادٍ مِنـــك بـــيض متـــى أقـــل بآلائِهـــا فـــي مَشـــهد لا أكـــذبِ[3]

فالشاعر ممتن لممدوحه ويشير إلى كرمه وفضله عليه، ولأن اليد هي التـــي تعطـــي فقـــد استخدم كلمة الأيادي للتعبير عن العطاء والمنح، وبذلك جعل اللون الأبيض لليد كناية عن فضل الممدوح وكرمه وعطائه الجزل.

وفي موضع آخر ربط الشاعر بين بياض اليد وعطائها، وفي ذلك يقول:

وأيـــــاد مبيضـــــة والأيـــــادي فضـــلها أن تكـــون ذات ابيضـــاض[4]

---

(1) **الديوان**، 214/1.
(2) **نفسه**، 726/2.
(3) **نفسه**، 195/1.
(4) **نفسه**، 1211/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نسب الأبيض لليد في تعبير مجازي عن فضل الممدوح، وقد أعلى من شأن ممدوحه عندما جعل فضل اليد في كون لونها أبيض، مما حمل اللون الأبيض دلالة العلو والرفعة.

وفي موضع آخر ربط بين اليد البيضاء وشجاعة الممدوح وفروسيته فيقول:

يُـــدني يـــداً بيضـــاء يخـــتلط النـــدى فيهـــا، إذا لقـــي الفـــوارسَ بالـــدَّم[1]

فالممدوح المعطاء الكريم قد توج هذا العطاء بالشجاعة والإقدام في المعركة، وما الشجاعة إلا صورة أخرى من صور العطاء والمنح.

وبالغ في مدح اليد البيضاء، حتى جعل لونها الأبيض يغلب ضياء الشمس فخبا الأخير أمـــام تلك اليد الوضاءة وفي ذلك يقول:

يَـــدٌ لـــك عنـــدي قـــد أبَـــرَّ ضـــياؤها على الشمسِ حتى كادَ يخبـــو ســـراجُها[2]

فالشاعر يعترف بالجميل لممدوحه الذي أجزل عليه العطاء، حتى بدت يده ذات ضياء غلـــب ضياء الشمس.

وإن كان وسم اليد بالبيضاء ليدلل على الكرم والعطاء، فقد وسم الوجه كذلك بالبياض، وذلك في وصفه لممدوحيه، وقد كنى ببياض الوجوه عن المنزلة الرفيعة، وغالباً ما قرن بين الوجـــوه البيضاء والأخلاق ليؤكد المكانة الشريفة والأصل الكريم لممدوحه من ذلك قوله:

بيض الوجـــوه مـــع الأخـــلاق، وجـــدُّهُم بالبَـــأْسِ والجُـــودِ، وَجْـــدُ الأمِّ بالولـــد[3]

فبياض الوجوه دلالة الشرف والسمو، وزادهم سمواً اتصافهم بالأخلاق الكريمة كالشـــجاعة والكرم والأصل الطّيب، وهذه صفات حرية بأن تجعل وجه من يتصف بها أبيض، وعليـــه فـــإن

---

(1) **الديوان**، 2083/4.
(2) **نفسه**، 427/1، وينظر 468/1، 500/1، 555/1، 1074/2، 1200/2، 2157/2، 2328/4، 2157/4
(3) **نفسه**، 575/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دلالة اللون الأبيض ارتبطت بالوجه كونه الجزء المرئي من الإنسان ويعكس - غالباً - صفاته وأخلاقه.

كما قرن البحتري الخلق الرفيع بالوجه الوضاء،فصاحب الوجه الأبيض إنسان مبتسم حسن الوجه إذ يقول:

خُلُقٌ كالغَمامِ ليسَ لَهُ بَرْقٌ سِوى بِشْرُ وَجْهِكَ الوَضَّاحِ[1]

فقد تجلى اللون الأبيض في كلمة " وضاح " التي تشير إلى حسن الوجه وابتسامته، وقد جاء هذا الوصف في باب المدح، فقد جمع الممدوح إلى جانب الخلق الرفيع الذي يتحلى به، وجهاً مشرقاً منيراً مما زاده رفعة وشرفاً.

وفي موضع آخر قرن بياض الوجه بالمكارم، فأصحاب الوجوه البيضاء هم ممن اتصفوا بالنخوة والعزة والكرامة وفي ذلك يقول:

تَنْمِيه من سَلَفَى "غَنِيّ" أُسْرةٌ بيضُ الوجوهِ إلى المكارم تنتمي[2]

ومنه قوله:

كِسَرَوِيُّون أوليون في السؤ دد بيضُ الوجوهِ شمُّ الأنوفِ[3]

يفخر بممدوحيه الذين هم كملوك الفرس في علو الشأن والمكانة والسيادة، ومما يتصفون به وجوههم البيضاء في دلالة على الشرف والعزة والمكانة الرفيعة.

---

(1) **الديوان**، 459/1.

(2) **نفسه**، 2083/4. تنميه: ترفعه بالانتساب إليها، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نمى) السلف: كل من تقدم من الآباء والأقارب، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سلف). غني: هم بنو أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، وهي قبيلة الممدوح ينظر: الجوهري، الصحاح، مادة (غنى)، وكحالة، عمر رضا، **معجم قبائل العرب** 895/3.

(3) **نفسه**، 1366/3. كسرويون: ملوك نسبة إلى ملوك فارس الذين عرف معظمهم باسم كسرى، ومنهم كسرى أنو شروان. **الديوان**، 1366/3..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يتعلق بالإنسان الثياب، وقد نسب البياض إلى الثياب من باب الكناية، إذ كنى بـــالثوب الأبيض عن نزاهة الممدوح في الحكم إذ يقول:

لم تــزلْ مــن عيوبهــا أبــيضَ الثّــوبِ ومـــن دائهـــا صـــحيحَ الآديـــم[1]

فقد أحسن الشاعر اختيار اللون الأبيض للثوب، وذلك أنه لون لا تخفى فيه أية شائبة، وقــد جعل الولاية كالثوب الذي يرتديه الإنسان، وعلى ذلك فقد أدى اللون الأبيض دوره فــي إبــراز الدلالة التي أرادها الشاعر، وهي عفة الممدوح ونزاهته في الحكم، وابتعاده عن الأطماع والظلم اللذين قد يقع فيهما الحاكم.

وكنى باللون الأبيض عن الخلق الرفيع ليصف أخلاق الممدوح العالية، وفي ذلك يقول:

أبـــا جعفـــر كـــلُّ أُكرومِـــةٍ بأخلاقِـــكَ البـــيضِ منســـوجة[2]

فالكرم والعطاء من أسمى الأخلاق التي يتصف بها الإنسان، وليعبر البحتري عن رفعة هذه الأخلاق وسموها، وصفها بالبياض ليصل إلى الدلالة المنشودة.

ومنه قوله أيضا:

إلــى أبــيضِ الأخــلاق مــا مــرّ أبــيض مــن الــدّهر إلا جَــدى مِنــه أو رفــد[3]

يتبين مما تقدم أن اللون الأبيض قد اتخذ دلالات إيجابية مشرقة، ورغم ذلك لا يغيب عن الأذهان الدلالة السلبية لهذا اللون التي تظهر مع بروز الشيب، والبحتري كغيره مــن الشــعراء تعرض لذكر الشيب فوصفه مستقبحاً إياه متحسراً على أيام الشباب من ذلك قوله:

جلـــوتُ مرآتـــي فيـــا ليتنـــي تَركتُهـــا لَـــمْ أَجْـــلُ عنـــها الصَّـــدا

---

(1) **الديوان**، 2126/4. الأديم: الجلد، ينظر أبن منظور، **لسان العرب**، مادة (أدم).
(2) **نفسه**، 407/1. أبو جعفر، هو محمد بن علي بن عيسى القُمّي، كان وجيهاً بقم وأميراً عليها، ينظر: المازندراني، **منتهى المقال في أحوال الرجال**، 127/6.
(3) **نفسه**، 748/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كـــي لا أرى فيهـــا البيـــاضَ الـــذي فـــي الـــرأسِ والعـــارض منـــي بـــدا

يـــا حســـرتا! أيـــن الشـــبابُ الـــذي علـــى تعديـــه المشـــيبُ اعتـــدى؟

شِـــبتُ فمـــا انفـــك مـــن حَسْـــرَة والشيبُ فـــي الـــرأس رســـولُ الـــردى[1]

فالأبيات توحي بالأسى العميق الذي ولّده الشيب في نفس الشاعر، ذلك أن الشيب المهيب الكئيب ينذر بدنو غروب الحياة[2]، وفي هذه الحالة يغدو اللون الأبيض ذا دلالة منفـرة تنطـوي على الضعف والحسرة والأسى والفناء التي يوحي بها ظهور الشيب.

وانقضاء الشباب يثير الرهبة والرعب في نفس الشاعر، فالشيب يحل محله فيقول:

قـــد رابنـــي هَـــربُ الشـــبابِ وراعنـــي شـــيبٌ يَـــدِبُّ بياضُـــهُ فـــي مِفْرَقـــي[3]

ومنه قوله:

رَاعَنـــي مـــا يـــروع مـــن وافـــد الشـــ ـــيب طروقـــا، ورابنـــي مـــا يريـــب[4]

ويتضح من البيتين الأثر الذي يتركه الشيب في نفس الشاعر من فزع وخوف، وذلك لتـولي أيام الشباب، والشاعر على يقين بأن ظهور الشيب هو بداية النهاية، وعليه فإن اللون الأبيض قد حمل دلالة سلبية أخرى مرتبطة بالشيب وهي الخوف والفزع.

والشيب غير مرغوب عند الفتيات، فالمحبوبة قد صدت عن الشاعر بسبب ظهور الشيب في رأسه، وفي ذلك يقول:

رَأَتْ وَخْطَ شـــيبٍ فـــي عِـــذَاري فصـــدت ولـــم تنتظـــرْ بـــي نـــوى قـــد أجـــدَّت[5]

---

(1) **الديوان**، 65/1، وينظر 736/2، 1207/2، 1248/2.
(2) ينظر، اليظي، حسن صالح، **البحتري بين نقاد عصره**، ص137.
(3) **الديوان**، 1479/3.
(4) **نفسه**، 112/1.
(5) **نفسه**، 369/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبياض الرأس لا يقتصر ذمه على المحبوبة فقط بل يتعداه إلى كل فتاة، فيقول:

وكان البياض في الرأس شخصا مذمما إلى كل بيضاء الحشا والترائب[1]

وهنا ورد اللون الأبيض بدلالتين متضادتين، ففي الشطر الأول حمل دلالة سلبية متمثلة في الشيب الذي تذمه كل امرأة، أما في الشطر الثاني فجاءت كلمة "بيضاء" للإشارة إلى الفتاة المحببة إلى نفس الشاعر، وذكره المرأة هنا ربما كان من باب أنه يواسي نفسه، ويخفف عنها لظهور الشيب في رأسه.

وتعيِّر المحبوبة الشاعر بالشيب، ولكنه لا يرى في ذلك عيباً لأنه مرحلة تتلو مرحلة الشباب، فيقول:

عيرتني المشيبَ وهي بدته في عِذَاري بالصَّدِّ والاجْتِنَابِ
لا تَرَيهِ عارا، فما هُو بالشَّيْـ ـبِ ولكنَّهُ جَلاءُ الشَّبَابِ[2]

ففي دفاع الشاعر عن الشيب يحوِّل دلالته السلبية إلى إيجابية، فيعطي صورة للشيب عندما يرى أنه حقيقة في حياة الإنسان عليه أن يتقبلها، وظهوره في الشعر ليس عاراً يعيب الإنسان وهو بذلك يحاول كسب ود المحبوبة وإعادة وصالها، كما أنه يحاول إخفاء الدلالة السلبية للشيب بأن جعله جلاءً للشباب.

وللشاعر رأي آخر في الشيب، إذ يرى أنه "يدعو إلى الإرعواء ونراه يحضُّ عليه"[3] فيقول:

ولقد علمتُ، وللمُحِبِّ جَهَالةٌ أَنَّ الصِّبا بعدَ المَشيبِ تَصَابي[4]

---

(1) **الديوان**،108/1. الترائب، جمع تريبة وهي عظام الصدر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ترب).
(2) **نفسه**، 84/1.
(3) محجوب، فاطمة، **قضية الزمن في الشعر العربي، الشباب والمشيب**، ص137.
(4) **الديوان**، 123/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله:

ومِنْ أينَ أَصْبو بعد شَيبَتي وبَعْدَما تَأَلّى الخَلِي أَنَّ ذا الشّيبِ لا يَصْبو[1]

يظهر الشاعر في هذين البيتين جانباً من الاتزان النفسي، فالشيب دلالة وقار كما أنه ينقل الإنسان من مرحلة اللهو إلى مرحلة الاتزان والرجاحة، وأن من يلهو في فترة شيبه هو إنسان متصابٍ وعابث.

ومن الدلالات المشرقة التي حمَّلها البحتري للشيب أنه "يحول المرء إلى النهى"[2]، إذ يقول:

اليوم حوّلني المَشيبُ إلى النهى وذللت للعذال بعد شماس[3]

فالشيب مرة أخرى طريق إلى التعقل والاتزان؛ لأنه يظهر في مرحلة عمرية متقدمة يكون الإنسان فيها قد ازدادت مداركه وخبراته في الحياة،وهي نظرة مغايرة لما هو معروف عن الشيب من أنه طريق النهاية، وبهذا فهو يغير الدلالة السلبية لأبيض الشيب إلى دلالة إيجابية حملت معنى الوقار والتعقل والاتزان.

وأظهر البحتري صوراً مشرقةً أخرى للشيب تمثلت في حديثه عن ساحة الوغى إذ يقول:

تحسب الشيب في الوقيعة شبا (م) نا إذا صافح الصقيل الصقيلا[4]

فهو يشير إلى شجاعة الرجال المتقدمين في السن، وقدرتهم على القتال التي توازي قدرة الشباب وقوتهم، وهذه دلالة إيجابية أخرى للون الأبيض المرتبطة بالشيب تتمثل في الشجاعة والإقدام والقوة.

---

(1) **الديوان**، 123/1. تألّى: أقسم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ألت).
(2) محجوب، فاطمة، **قضية الزمن في الشعر العربي، الشباب والمشيب**، ص136.
(3) **الديوان**، 1135/2. وينظر 295/1، 342/1، 1135/3، 1650/3، 1493/3.
(4) **نفسه**، 1769/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبيض في الطبيعة

ورد استخدام اللون الأبيض في الطبيعة في شعر البحتري، في مواضع عدة تمثلت في النبات والحيوان والنهار والنجوم. ومن النباتات البيضاء التي ذكرها البحتري نبات الإقحوان[1]، وهو نبات ينم عن جمال وحسن، وغالبا ما ظهرفي شعر البحتري مقترناً بوصف وصف المحبوبة وجمالها إذ يقول:

تَظُنُ البَرْقَ مُعترِضاً إذا ما جَلا عن ثَغرها حُسنُ ابتسامِ
كَنَوْرِ الأقْحُوانِ جَلاه طَلٌّ وَسِمْطُ الدُّرِّ فُصّل في النِّظام[2]

والبحتري بذكره الأقحوان يشير إلى أسنان المحبوبة البيضاء التي تزيدها حسناً وجمالاً، ولعل بياض زهر الأقحوان هو الأقرب لأن توصف به أسنان المحبوبة لنصاعته وجماله، وقد اتخذ الأبيض في هذا الموضع دلالة الحسن والجمال.

ويتكرر في شعر البحتري وصف ثغر المحبوبة وتشبيهه بنبات الأقاحي، من ذلك قوله:

وشتيتا يَغُضُّ من لؤلُؤ النَّظْ (م) مِ، ويَزْري على شتيتِ الأَقَاحي[3]

وقد عمد الشاعر هنا إلى تكثيف اللون الأبيض باستخدامه كلمة " لؤلؤ" إلى جانب كلمة الأقاحي. ليبرز المحبوبة في أبهى صور الحسن المتمثلة بالإشراق والبهاء.

ومن النباتات ذات الحسن التي ذكرها الشاعر النرجس وهو نبات يوحي بالجمال والحسن وقد ورد ذكر هذا النبات بدلالات الحسن والجمال التي يضفيها على الطبيعة من ذلك قوله:

في زمانٍ كأنَّ نرجِسَهُ الغ ضَ سُموطٌ من لؤلؤ وفَرِيدِ[4]

---

[1] نبات الأقحوان: هو البابونج، وهو نبات مفرّض الورق: دقيق العيدان، له نور أبيض، ووسطه أصفر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قحا).
[2] **الديوان**، 1932/3.
[3] **نفسه**، 458/1.
[4] **نفسه**، 730/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله في وصف روضة:

فخـــر الرَّبيـــعُ علـــى الشّـــتاءِ بِحُسْـــنِها وكَفى حضـــورُ الـــوردِ فَقـــدَ النَّـــرْجِسِ[1]

كما ربط نبات النرجس بجمال العيون وفتورها، يقول مخاطبا أحد إخوانه:

فـــإذا طَرِبْـــتُ إلـــى العيـــون وَغُنْجِهـــا فَأَجِلْ لحاظـــك فـــي عُيـــونِ النَّـــرْجِسِ[2]

يربط بين العيون الساحرة والنظر إلى النرجس في دلالة على الحسن والجمال الذي يحمله اللون الأبيض في هذه النبتة.

وذكر اللون الأبيض في النجوم، وارتبط ذكر النجوم في شعر البحتري بمعان عـــدة علـــى رأسها السمو والرفعة والعلو، وذلك في باب المدح، ومن ذلك قوله:

تعطيـــك شـــهرتُها النجـــومَ طَوالعـــا وتُريـــكَ أَنْفُسُـــها الجبـــالَ خوالـــدا[3]

فأبيض النجوم ارتبط بسمتي الشهرة والعلو اللتين يتميز بهما الممدوح، فهذه النجوم العاليـــة الطالعة في السماء منحت الممدوح السمو والرفعة لكرمه وعطائه الجزيلين.

وأما البرق في السماء فهو رمز الأمل والإشراق وفي ذلك يقول:

صـــبابةٌ راحَ عنهـــا غيـــر مزجـــور ولوعـــةٌ بـــاتَ فيهـــا جِـــدَ معـــذورِ
لا يَلبَـــثُ الحُلـــمُ يَـــدعوهُ فيتبعـــهُ تـــألُّقَ البَـــرْق فـــي طَخيـــاءِ ديجـــورِ[4]

فهذا البرق يشق ظلمة الليالي وينيرها، ومن هنا يغدو كبصيص أمل للشاعر. ومن ذلك قوله:

إذا لمعـــت بـــوادي البشـــر فيـــه رأيـــت البـــرق يلبســـه الصـــبير[5]

فقد ربط ظهور البرق هنا بالبشر والفرحة، وحمل اللون الأبيض هذه الدلالة.

---

(1) **الديوان**، 1151/2. وينظر 2063/4، 2171/4.
(2) **نفسه**، 1180/2. وينظر 1181/2، 1803/3.
(3) **نفسه**، 826/2.
(4) **نفسه**، 1077/2. طخياء: مظلمة، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة طخي.
(5) **نفسه**، 918/2. الصبير: السحاب الأبيض؛ ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صبر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبيض في الأدوات

ومن أشهر الأدوات التي ارتبط ذكرها باللون الأبيض في شعر البحتري السيف والفضة، وقد ارتبط ذكر السيف عند العرب باللون الأبيض، فجعلوا السيوف الحادة بيضاء، وهذا ما ذهب إليه البحتري في ذكره للسيف، وفي ذلك يقول:

فالخيلُ تَصْهَلُ والفوارسُ تَدَّعي والبيضُ تَلْمَعُ، والأسِنَّةُ تَزْهَرُ[1]

فقد أكسب السيوف لونا أبيض لامعاً للدلالة على حدتها ولمعانها، مما يدلل على أنها سيوف قوية قاطعة.

وأما عن دور هذه السيوف في المعركة فيقول:

ووقفت مشكورَ المكانِ كريمه والبيضُ تَطفو في الغبارِ وترسبُ[2]

وذكر السيوف في هذه الموضع يشير إلى اشتداد المعركة وضراوتها، ذلك أنه ذكر "الغبار" الذي يدل بدوره على قتال شديد في ساحة المعركة التي ظهرت فيها السيوف البيضاء، مما أكسب اللون الأبيض معنى القوة والشدة.

والسيف الأبيض رمز الفروسية ورجاحة العقل إذ يقول مادحاً:

ورثوا الكتابةَ والفروسةَ والحِجَى عنْ كُلِّ أبيضَ مِنْهم وضّاح[3]

فقد دل استخدام اللون الأبيض للسيف على المكانة الرفيعة لممدوحيه، وفروسيتهم، وعقولهم الراجحة، وهذه دلالة أخرى لبياض السيف تمثلت في الرزانة والرجاحة والقوة. كما ذكر السيوف البيضاء في باب الثناء على ممدوحه، وفي ذلك يقول:

---

(1) **الديوان**، 1072/2.
(2) **نفسه**، 75/1.
(3) **نفسه**، 460/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحـــارسُ مُلْـــكٍ مـــا يَـــزالُ عَتـــادُهُ مهنـــدةٌ بِـــيضٌ وخطيـــةٌ سُـــمْرُ[1]

فقد ارتبط اللون الأبيض للسيف بشجاعة الممدوح وقوته، إذ جعـل هـذه السـيوف عتـاده الملازم له، وعليه فإن اللون الأبيض اتخذ معانى العزة والكرامة والكبرياء التي انطـوى عليهـا ملازمة الممدوح للسيوف الحادة القاطعة.

ويجعل من ممدوحه سيفاً قاطعاً يصدّ الأعادي فيقول:

إنَّ العَواصِـــمَ قَـــد عُصِـــمْنَ بـــأبيضٍ مـــاضٍ كحـــدِّ الأبـــيضِ المَصْـــقُول[2]

فقد جعل من الممدوح سيفاً حاداً ليدل على سطوته وشجاعته، إذ كرر كلمة " أبـيض" مـرة للممدوح، ومرة أخرى للسيف وبهذا التكرار أعطى دلالات بارزة للون الأبـيض وهـي القـوة والحدّة والشجاعة من خلال الربط بين شجاعة الممدوح وحدّة السيف.

ومن الأدوات التي تشير إلى اللون الأبيض الفضة، وقد أكثر الشاعر مـن اسـتخدام كلمـة "اللجين" من باب الكناية، ومن الدلالات التي اكتسبها معنى العطاء الدائم، وذلك في بـاب الثنـاء على الممدوح، ويظهر ذلك في قوله:

غيـــثٌ تَـــدَفَّقَ واللُّجـــينُ رَهامُـــهُ فينـــا، وليـــثٌ والرمـــاحُ غريفُـــهُ[3]

فقد شبه الممدوح بالغيث لعطائه الجزل، وتأكيداً لهذا العطاء جعل الفضة كالندى، وقد اختار الفضة للونها الأبيض الجذاب الذي يلتقي بلون قطرات الندى، وهكذا فإن اللون الأبيض أدى دلالات الكرم والعطاء والسخاء التي اتصف بها الممدوح.

ومن ذلك قوله:

وأكثـــرتَ زَادي مـــن بـــدورٍ تَتَابَعَـــتْ بِجُـــودِكَ فـــيهنَّ اللجـــينُ المُطَـــرَّق[4]

---

(1) **الديوان**، 845/2.
(2) **نفسه**، 1840/3.
(3) **نفسه**، 1424/3.
(4) **نفسه**، 1537/3. البدور:جمع بدرة، وهو كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بدر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاءت كلمة "اللجين" هنا بمعناها الحقيقي ليدلل على الدراهم الفضية التي منحها الممدوح للشاعر، ونهاية فهي تشكل معانى الجود والكرم التي يتصف بها الممدوح.

وقد قرن البحتري لون الفضة الجذاب بذكر الماء العذب الصافي، من ذلك قوله:

وإذا دجلـــــة مـــــدَّت شـــــأوَها وَجَـــرَت جـــري اللجـــين المنســـبكْ
عارَضَـــتْ رَبْعـــي بفـــيضٍ مزبـــدٍ بـــينَ أمـــواجٍ تَســـامي وحُبُـــكْ[1]

فهذه مياه دجلة العذبة الصافية تشبه اللجين في جريانها، وهي دلالة تشير إلى الصفاء والنقاء والعذوبة، وهي من المعاني التي يؤديها اللون الأبيض في هذا الموضع.

ومن ذلك قوله في وصف البركة:

كأنمـــا الفضـــةُ البيضـــاءُ ســـائلةً مـــن الســـبائك تجـــري فـــي مجاريهـــا[2]

ثانياً - اللون الأسود ودلالاته

يرتبط اللون الأسود بصورة عامة عند العرب بدلالات التشاؤم والحزن والألم، وقـد وردت في اللغة ألفاظ كثيرة له تجمع في الأعم الأغلب على أنه ضد الجمال، وقـد وصـف الثعـالبي تدرجه بقوله: "أسود، وأسحم ثم جون وفاحم، ثم حالك ثم حلكوك وحانك وسحكوك ثـم خـداري ودجوجي ثم غربيب وغدافي"[3].

وفصلت العرب القول في اللون الأسود ففي الحديث عن الرجال والنساء يقولـون "الأدعـج للشاب الشديد سواد الشعر، وامرأة دعجاء، والدّعج في العين شدة سوادها"[4]، كما أورد الثعالبي حديثاً عن ترتيب السواد في الإنسان فقال: "إذا علاه أدنى سواد، فهو أسمر، فإن زاد سواده مـع

---

(1) **الديوان**، 1564/3. شأوها: ترابها المترسب، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شأو). حبك: الطرائق ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حبك).
(2) **نفسه**، 2418/4.
(3) **فقه اللغة**، ص126.
(4) النمري، **الملمع**، باب السواد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفرة تعلوه فهو أصحم، فإن زاد سواده على السمرة فهو آدم، فإن زاد على ذلك فهو أسحم فإن اشتد سواده فهو أدلم"[1].

كما فصلوا في اللون الأسود في نسبته للحيوانات فقد تحدث أبو عبيدة عن الدهمة في ألوان الخيل بقوله: "فأما الغيهب فأشدهن سواداً، والدجوجي دونه في السواد وهو صافي اللون، والأكهب الذي لم يشتد سواده ولم يصف لونه"[2].

ويرمز الأسود إلى الظلام والحزن والكآبة والخطيئة، "وكان شعار العباسيين في أحزانهم ومصائبهم"[3]، "وارتباط الأسود بالليل والظلام وجلبه لمشاعر الخوف هو السبب المباشر للنفور منه"[4]، ذلك أن الظلام يحد الرؤية ويحجب الحقيقة، ويكون مجالاً خصبا للأوهام والتهيؤات، كما أن سواد الليل يعيد إلى عالم العماء حيث لا حياة ولا نور ولا بشر، فهو لون يشعر بالعدمية والفناء[5].

كما ارتبط اللون الأسود بالموت، وقد "رمز الهنود الأمريكيون للعالم السفلي باللون الأسود، ولعالم العلوي بألوان كثيرة"[6]، ومن فكرة ارتباط الموت بالسواد فقد ظهر في العديد من الحضارات اتخاذ اللون الأسود للتعبير عن الحداد، ففقد الأحبة والحزن عليهم واللوعة لفراقهم كلها معان عبروا عنها باتخاذهم اللون الأسود لوناً للثياب.

---

(1) **فقه اللغة**، ص 126.
(2) **الخيل**، ص 230.
(3) حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي – العصر العباسي الثاني**، 443/3.
(4) عبده،علي، **تاريخ الشرق القديم وحضارته**، ص150.
(5) ينظر: علي، إبراهيم، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، قراءة مثيولوجية، ص 165.
(6) عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص 163. نقلاً عن Color Psychology، ص 8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ورد اللون الأسود في شعر البحتري ضمن دلالات متعددة أعرضها كالآتي:

الأسود في الإنسان

ارتبط اللون الأسود في الإنسان بأكثر من موضع كالوجه والقلب ولون البشرة، وفي باب الكنايات ورد في المصائب والموت والأخلاق الرذيلة.

مرّ في هذا البحث أن البحتري نسب اللون الأبيض للوجوه ليدلل على الخلق الرفيع والسمو والرفعة لممدوحيه، ولأنَّ الأسود ضد الأبيض فإن نسبته للوجوه تنطوي على صفات رذيلة في الإنسان،فقد جعل وجوه الحسّاد سوداء إذ يقول:

وجـــــوهُ حُسَّـــــادِكَ مســـــوَدَّةٌ أَمْ صُـــــبِغَتْ بَعـــــدي بـــــالزّاجِ[1]

فقد نسب السواد على وجوه الحسّاد ليدلل على قباحة هذه الصفة، ولجأ إلى تكثيـف اللـون الأسود باستخدام كلمة "الزاج" ليدلل به على خيبة هؤلاء الحساد وخزيهم. كما نسب اللون الأسود للوجه ليدلل على البخل والتقتير، فيقول هاجياً:

معاشـــر مـــا لهـــم خُلُـــقٌ، ولكـــن لَهُـــم، نِعَـــمٌ تـــدلُّ علـــى الرَّخـــاء
تعـــود وجـــوهُهُمُ ســـوداً إذا مـــا نزلـــتُ بهـــم لمـــدح أو جـــداء[2]

فهؤلاء القوم وجوههم سوداء، ذلك أنهم لا يمنحون ولا يعطون من ينزل ببابهم سواء أكـان مادحا أم مستجدياً، فاستخدام اللون الأسود جاء مطابقا لحالهم.

كما ربط بين سواد الوجه والخزي والعار يقول:

فيصـبح فـي أفنـاء "سـعد بـن مالـك" وجوه مـن المخـزاة سـود خـدودها[3]

---

(1) **الديوان**، 409/1.
(2) **نفسه**، 47/1.
(3) **نفسه**، 652/2. أفناء: أي أخلاط وقيل إنما يقال قوم من أفناء القبائل ولا يقال رجل وليس للأفناء واحد، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (فنو). سعد بن مالك: هو سعد العشيرة بن مالك بن أدد، من كهلان، جدُّ جاهلي وسمي سعد العشيرة لأنه كان يركب ومعه أبناؤه وأبناء أبنائه، وهم نحو مئة فارس، فإذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي. ينظر: الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص476 – 477.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإنسان المخزي أسود الوجه لا إشراق فيه ولا بهاء، وهي حقيقة تظهر من تعابير الوجه، وإنما صبغ الخزي باللون الأسود ليحقر مهجوه، ويبين أنه في مكانة دنيا، وعليه اتخذ اللون الأسود للوجه دلالة القبح والحقار والصغار والذلة. ومما استخدمه في وصف الوجوه السوداء قوله:

يضيء طلاقة، وأرى رجالاً يدوم ظلام أوجههم قطوبا[1]

فهو يقارن بين ممدوحه الذي يتهلل وجهه بشراً وضياء، ووجوه أناس عرفوا بالعبوس والتقطيب مما صبغ وجوههم بالسواد فهي كالظلام، وهكذا اتخذ أسود الوجوه دلالة أخرى، وهي العبوس وعدم الإشراق وعدم البهاء.

واستخدم البحتري الأسود في وصف بشرة الإنسان، وهو لون ينفر منه الشعراء ويمقتونه، وذلك لارتباطه بالعبيد وللشبه القائم بينه وبين الغراب[2]، ومما قاله البحتري في ذلك:

وكان ابن سوداء كرهت خلاطه فأنأى رواح داره وبكورُ [3]

فهو يعيِّر مهجوه بسواد أمه، وهي ظاهرة شاعت عند العرب، وهو بذلك يدلل على انحطاط منزلة المهجو.

ومما يتعلق بالإنسان الموت، ولا عجب أن يجعل الشاعر الموت أسود، ذلك أنه أكبر المصائب، وهو دليل شؤم وحزن وألم، وقد تعددت المواضع التي نسب فيها البحتري الأسود للموت من ذلك قوله:

فإذا جُدِحَتْ سودُ المنايا فَأخْلَقُ الرِّ (م) جال بأن يُسقى رداهُنَّ سُودها[4]

---

(1) **الديوان**، 250/1.

(2) ينظر: أبو عون، أمل محمود، **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي- شعراء المعلقات نموذجا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، 2003، ص55.

(3) **الديوان**، 898/2.

(4) **نفسه**، 534/1. الشراب المجدح: المخوض، وقد استعاره البعض للشر، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جدح).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو يتحدث عن الموت في ساحة المعركة، وهو موقف يحوم فيه الموت من كل جانب، ولذلك اتخذ اللون الأسود هنا دلالة الشؤم والفناء المرتبطة بالموت. ومنه قوله:

وتـــــرى المنيـــــة كالحـــــاً أنيابهـــــا ثكلـــــى تَمخَـــــضُ مُطْفِـــــلاً بنفـــــاس[1]

ويظهر الموت هنا في أبشع صورة له، فهو كالحيوان المفترس ذي الأنياب السوداء الحادة، واستخدام الشاعر اللون الأسود، أعطى صورة قاتمة خيّم عليها الرعب والبؤس والألم والحزن الذي يخلفه الموت والقتل.

كما رُبِط اللون الأسود بحلول المصائب على الإنسان، فجعل حوادث الزمان مظلمة معتمة إذ يقول:

ســـــيفك يُســـــــتَضْوَى بتـــــدبيره فـــــي ظلمـــــات الحـــــادث الـــــداجي[2]

وقوله:

وكفـــــاتي إذا الحـــــوادثُ أظلمْـــــــ ن شـــــهابا بغـــــرَّة "ابـــــنِ شِـــــهَاب"[3]

ولم يكتفِ البحتري في البيتين السابقين بذكر اللون الأسود ليبينَ عظم المصائب، بـــل جـــاء بالضد وهو ما يوحي باللون الأبيض في كلمتي "يستضوي" و"شهابا"، مما أدى إلى إظهار شـــدّة اللون الأسود ليدلل به على الشدَّة وعظم المصيبة.

وفي موضع آخر ينسب اللون الأسود بلفظة إلى المصائب يقول:

ســـــيفٌ علـــــى أعدائـــــه لا تنجلـــــي ظُلَمُ الخطـــوبِ السّـــودِ حتـــى يجتلـــي[4]

فممدوحه شجاع وله سطوة على أعدائه، وهو قادر على تحدِّي كل مصيبة بسيفه، وقد كثف الشاعر ظهور اللون الأسود باستخدام كلمتي "ظلم" و"السود" ليدلل على عظم المصاب من جهة،

---

(1) **الديوان**، 1172/2.
(2) **نفسه**، 410/1.
(3) **نفسه**، 85/1.
(4) **نفسه**، 1876/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشجاعة الممدوح من جهة أخرى، ومن المعاني التي نسب لها اللون الأسود الفتنة، ليدلل على بشاعة هذا الحدث إذ يقول:

تَلافَــى بــهِ الله الــورى مــن عَظيمَــةٍ أناخَــتْ علــى الإســلامِ حــولا وأشــهرا
ومــن فتنــة شــعواء غطــى ظلامهــا على الأُفْــق حتــى عــاد أقــتم أكــدرا[1]

فقد قبح هذه الفتنة حتى جعل ظلامها وعتمتها تغطي الأفق، وتجعله قاتماً مكدراً إلى أن جاء الممدوح وخلص منها الخلق.

ومن الأخلاقيات التي نسب إليها السواد الشَّك فيقول:

تركــت ســواد الشــك وانحــزت طالبــا بيــاض الثريــا حيــث مــال ذبالهــا[2]

فالشك خلق يستقبحه الإنسان ولذلك وسمه بالسواد، وقد جاء باللون الأبيض ليبرز اللون الأسود في قباحته واشمئزاز النفس منه في هذا الموضع، وأما الظلم فهو أشد سواداً، والظلم ظلمات وفي ذلك يقول:

بلــى، ثَــمَّ ســيفٌ مــا يجــاوز حــدّه ظُلامَــةَ ظَــلاَّمٍ، ولا غصْــبُ غاصــبِ[3]

وهذا الظلام المتولد عن الظلم لا يجلوه إلا إنسان عدل إذ يقول مادحاً:

عــمَّ الجزيــرَة: عــدلاً شــائعاً، ونــدى غَمْراً، أماطــا ظــلام الظُّلــم فانكشــفا[4]

فالممدوح بعدله وعطائه الغمر قد غير أحوال البلاد، وقد صور الشاعر الظلم الذي عانى منه الناس بغطاء أسود يجللهم فجاء الممدوح وكشفه عنهم، وجعل الظلم مظلماً ليدلل على القهر والكبت والحسرات التي يتركها الظلم في نفوس الناس.

---

(1) **الديوان**، 932/2.
(2) **نفسه**، 1694/3.
(3) **نفسه**، 181/1.
(4) **نفسه**، 1439/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسود في الطبيعة

شكّل الليل جانباً هاماً في حياة العربي، فقد عايشه وتعرف أسراره، وكشف مواطن جماله وأهواله، "وكان التعبير باللون وسيلة من الوسائل التي استخدمها الشعراء للإحساس بجمال الليل أو وحشته أو ظلمته أو انكشافه"[1]، "والليل في التجربة الشعرية يتلون بانفعالات الشاعر ورؤيته، فيصبح في إطاره النفسي متعدد الألوان والسمات ذا أوجه متغايرة ومتقلبة، ينسجم وتارات النفس"[2].

وفي شعر البحتري ارتبط الليل بمعان عدة: ليل العاشق وليل الممدوح وليل الظلم إضافة إلى الليل الحقيقي.

وأما ليل العاشق فهو الوعاء الزمني لتجربته، ولا يمكن للنهار أن يقوم مقامه فما يخفيه الليل يفضحه النهار[3]، لذلك فهو الوقت الأكثر مناسبة للالتقاء بالمحبوب وبث مشاعر الهوى، والاستمتاع بالقرب منه وقضاء أجمل اللحظات معه، وهو في هذا الجانب ليل قصير ينقضي دون أن يشعر به لانغماسه في لحظات من السعادة ومن ذلك قوله:

ليلٌ تقضّي وما أدركتُ مأربَتي ... من اللقاءِ ولا قضَّيْتُ أَوْطاري[4]

فستار الليل الأسود ارتبط باستمتاع الشاعر بلقاء حبيبته حتى إنَّه لم يشعر بطوله، ولم يحقق ما صبا إليه بجانبها، وبذلك غدا اللون الأسود ذا دلالة محببة يجلب السعادة والراحة.

وليل العاشق ليس آمناً على الدوام، فهو لا يكفي الشاعر شر الرقباء والحاسدين وفي ذلك يقول:

فكم عُنّي الواشي هناك وبُيّتَ الـ (م) ـعذولُ بليلٍ سرمدٍ متطاولُهْ
وليس المحبُّ من تناهَتْ وُشَاتُهُ ... وأقصرَ لاحوه، ونامت عواذِلُهْ[5]

---

(1) أبو سويلم، أنور، **الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول**، ص 71.
(2) إبراهيم، نوال مصطفى أحمد، **الليل في الشعر الجاهلي**،رسالة ماجستير،جامعة اليرموك،الأردن،1999،ص62.
(3) ينظر: **نفسه**، ص 66.
(4) **الديوان**، 858/2.
(5) **نفسه**، 1696/3. اللاحون: جمع اللاحي، وهو اللائم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لحى).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالبحتري يرى أنَّ من الأمور المسلَّم بها أن يكون للمحب وشاة وعواذل ينغّصون عليه لذة الحب، واقتناص فرصة اللقاء بمن يحب، وبذلك يتحول ليل العاشق في هذه الحال إلى مصدر قلق وفزع، فالعاشق لا ينال مأربه لوجود هؤلاء العواذل، وعليه فإن سواد الليل قد اتخذ دلالة الخوف والاضطراب وعدم الأمان.

ومن جانب آخر فإن الليل يطول على العاشق إن كان بعيداً عن محبوبته صعب عليه أن يظفر بقربها، وفي ذلك يقول:

طوَّل هذا الليل أن لا كرى يريك من تهوى وأن لا هجوعْ
يمضي هزيعٌ لمْ يطف طائفٌ من عند أسماء، ويأتي هزيعْ[1]

فهو يقضي ليلاً طويلاً، إذ يبيت ساهراً، لا يهجع ولا يعرف للنوم سبيلاً، فالمحبوبة بعيدة عنه، وبذلك فأسود الليل حمل دلالة الهم والحزن وألم الوجد الذي يمنعه الراحة والطمأنينة.

وفي موضع آخر ربط البحتري ليل العاشق بالأطلال فقال:

له الويل من ليل تطاول آخِرُهْ ووشك نوى حيّ تُزمّ أباعرُهْ[2]

فهذا الليل يبدو ثقيلاً على الشاعر، وبخاصة آخره وكأنه يصر على البقاء ويرفض الرحيل، فاللون الأسود الذي يمثله الليل قد حمل دلالة الضجر والحزن الذي يعاني منه الشاعر لفراق الأحبة.

ومع كل هذا فإن الليل هو ملاذ الشاعر وملجؤه ليبث فيه تباريح الشوق، وذلك بلقاء طيف المحبوبة إذ يقول:

يعزُّ على الواشين لو يعلمونها ليالٍ لنا نزدارُ فيها ونلتقي

---

[1] **الديوان**، 2/1257-1258. أسماء: يقصد محبوبته علوة. هزيع: الثلث الأخير من الليل. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هزع).
[2] **نفسه**، 2/876. أباعر جمع بعير، ينظر أبن منظور، **لسان العرب**، مادة (بعر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكـــم غلّـــة للشـــوق أطفـــأتُ حرَّهـــا بطيفٍ متى يطرُق دُجى الليـلِ يطـرق[1]

فالليل مثل المكان الآمن الذي يلجأ إليه الشاعر رغم وجود الواشين الذين يحولـون دون لقائه بمحبوبته، ويظهر دور الليل باعتباره مُعيناً للشاعر على التخفيف من لوعته، فطيفها يزوره ويستأنس به، ويطفئ غلة شوقه، فكأن الليل قد غدا بلسماً شافيا لما يعانيه ويقاسـمه ممـا جعـل اللون الأسود ذا دلالة إيجابية.

كما ورد اللون الأسود في ذكر الحيوان، ولعل الحصان هو أكثر الحيوانات التـي رافقـت العربي واعتز بها، وبخاصة في المعارك، وقد تغنى به الشعراء العرب وذكروه بألوانه المتعـددة من ذلك لونه الأسود وقد ورد عند البحتري في قوله:

أوأدهـــمٍ صـــافي الســـوادِ كأنَّـــه تحـــت الكَمِـــيِّ مُظْهـــرٍ بِيَرَنْـــدَجِ[2]

يشير إلى الحصان شديد الدهمة، وكأنه صبغ بلون أسود في دلالة على أصالته وقوته في خوض المعركة ولذلك فهو كالظلام، وفي ذلك يقول:

بـــأدهَمٍ كـــالظلام أَغَـــرَّ يجلـــو بُغرَّتـــهِ ديـــاجيرُ الظـــلام[3]

فسواد الحصان الذي يصاحبه لون أبيض في وجهه يجوب غبار المعركـة الـذي هـو كالظلام في دلالة على قدرته وتحمله.

كما ذكر الغزال مقترنا بذكر اللون الأسود فقال في ذلك:

ولـــربَّ عـــيشٍ قـــد تبســـم ضـــاحكا عـــن طُرَّتَـــي زَمَـــنٍ بِهـــنَّ مـــدبَّجِ
مِـــنْ قَبْـــلِ داعيـــةِ الفِـــراق ورحلـــة مَنَعَـــتْ مغازلـــةً، الغـــزالِ الأدْعَـــجِ[4]

يذكر هناءة العيش قبل رحيل المحبوبة، ثم جاءت لحظة الفراق لتحول بينه وبين مغازلتها، ويصفها بالغزال ذي العيون السوداء في دلالة على الجمال والحسن.

---

(1) **الديوان**، 1508/3.
(2) **نفسه**، 403/1.
(3) **نفسه**، 3، 2032.
(4) **نفسه**، 400/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي المقابل ارتبط اللون الأسود في الحيوان عند العرب بدلالات منفرة، فطائر الغـراب معروف عندهم وقد ارتبط ذكره بالتشاؤم، وقد أشار إليه البحتري في شعره في مواضع عدة من ذلك ما قاله في وصف الليل:

والليـــل فـــي لـــون الغـــراب كأنـــه هـــو فـــي حلوكتـــه وإن لـــم ينعـــب[1]

ارتبط سواد الليل وظلمته في ذهن الشاعر بلون الغراب الأسود القاتم، وبذلك حمل لـون الغراب الأسود دلالة الظلمة التي تثير الفزع والخوف، وأمَّا صوته المنفر الذي صاحب سـواده فإنه يؤذن بالبين والبعد فيقول:

زَعَـــمَ الغـــرابُ منبِّـــئُ الأنبـــاءِ أنَّ الأَحبَّـــــةَ آذنـــــوا بتنـــــاء[2]

فالغراب الأسود محل تشاؤم لأنه ينبئ بالسوء وهو فراق الأحبة وبعدهم، ولذلك ارتبط ذكر هذا الطائر بمعاني التشاؤم والتطير منه.

كما ذكر العقارب السوداء وذلك في قوله:

كـــأن جميـــعَ الأرضِ – حتـــى أراكـــم- تُصَـــوَّرُ فـــي عَيْنَـــي بســـودِ العقـــاربِ[3]

يرى الأرض سوداء كالعقارب في بعاد المحبوبة، وهذا السواد لا يزول إلا برؤيتها، ولذلك فقد اتخذ سواد العقارب دلالة نكد العيش وعدم الراحة في بعد المحبوبة، ويأتي بذكر الخنفساء لتقبيح مهجوه فيقول:

خنفســـاءُ أعمـــت مـــن القـــبحِ عينـــي وأصـــمَتْ بســـيء القـــولِ أُذْنِـــي[4]

يصف مهجوه بالخنفساء وهي حشرة سوداء منتنة الرائحة قبيحة المنظر، وقد ذكر هـذه الحشرة ليقبح مهجوه ويدني من شأنه، وهي دلالات أوحى بها اللون الأسود لهذه الحشرة.

---

(1) **الديوان**، 80/1.
(2) **نفسه**، 5/1، ينظر 78/1، 159/1، 304/1، 898/2، 1677/2، 2138/4.
(3) **نفسه**، 311/1.
(4) **نفسه**، 2215/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً - اللون الأحمر ودلالاته

يعد اللون الأحمر أول لون عرفه الإنسان في الطبيعة، وهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس، واشتعال النار والحرارة، وتعطي قدراً من النشاط والحيوية[1]. وفي العربية وردت عشرات الألفاظ التي تعبر عن اللون الأحمر، فاستخدم العرب أحمر ناصع ويافع وزاهر ويانع ليعبروا عن الحمرة الناصعة الصافية، كما استخدموا ألفاظاً تعبر عن اختلاط الأحمر وغيره من الألوان: فالحمرة التي تضرب إلى البياض قيل لها الصهبة، وقيل الشربة للبياض المشرب بحمرة، وقيل "الدُّبسة" للذي يجمع بين السواد والحمرة[2].

ومن حيث الدلالات فقد ارتبط هذا اللون منذ القدم "بلون الدم، وما يعني من الصراع والقتل والموت والثورة والحرب وغير ذلك"[3]، وارتباط هذا اللون بالدم، جعله رمزاً لناحيتين متناقضتين، وهما "الحياة والموت"، ذلك أن النزف الشديد للدم يؤدي للموت، أما جريانه في عروق الإنسان ففيه حفاظ على الحياة واستمرارية لها، وهذا الأمر أدركه الإنسان قديماً وترسخ عنده لأنها حقيقة عايشها.[4]

وقد عُدَّ اللون الأحمر عند العرب لون الحياة[5]، "وذلك لارتباطه بالمولود من جهة ولأن خروجه من الشخص يعني خروج الروح ومفارقتها الجسد من جهة أخرى"[6]، كما ارتبط الأحمر عند العرب في كثير من السياقات بالشؤم، فقد نفروا منه في بشرة الإنسان، وقد يرجع

---

(1) عبد الوهاب، شكري، **الإضاءة المسرحية**، ص 94.
(2) ينظر: الثعالبي، **فقه اللغة**، ص 128.
(3) الزواهرة، ظاهر محمد هزاع، **اللون ودلالته في الشعر- الشعر الأردني نموذجاً**، ص43.
(4) ينظر: رشيد، فوزي، **ظواهر حضارية وجمالية من التاريخ القديم**، ص86.
(5) ينظر: الماجدي، خزعل، **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، ص117.
(6) أبو عون، أمل محمود عبد القادر، **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي – شعراء المعلقات نموذجا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص 40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك إلى كونه اللون الغالب في الأعاجم، وإنما أرادوا بالأحمر في قولهم "رجل أحمر أو امـــرأة حمراء اللون الأبيض"[1].

وإن كان العرب قد نفروا من اللون الأحمر في بشرة الإنسان بعامة، فقد أحبوه في الخدود وبخاصة خدود المرأة، وهو صفة جمال وحسن فيها، كما أنه "علامة علـــى الصـــحة والعافيـــة والنضارة والحياء"[2] وفي هذا الجانب ارتبط اللون الأحمر "بالخضاب مما منحه دلالـــة الزينـــة وبخاصة للمرأة"[3].

ومن دلالات هذا اللون ارتباطه بالنار، فقد عُدَّ رمزاً لجهنم في كثير من الـــديانات، حيـــث توصف جهنم بأنها حمراء.[4]

وقد ورد استخدام اللون الأحمر في شعر البحتري في مواضع عدة تمثلت في الآتي:

الأحمر في الإنسان

ورد استخدام اللون الأحمر في شعر البحتري فيما يتعلق بالإنسان في نواح عـــدَّة أبرزهـــا ارتباطه بذكر الدم والخدود والخضاب والموت، وارتباط الأحمر بالدم ارتباط وثيـــق، حتـــى إنَّ كلمة أحمر في عدد من اللغات مشتقة من كلمة دم، فكلمة (rudhira) في السنســـكرتية القديمـــة تعني الدم، وأما الجزء الأول منها (Rud) في الإغريقية واللاتينية بمعنى أحمر، كما يظهر ذلـــك في لغات حديثة مثل الألمانية (rot) الدنماركية (rod) إضافة للإنكليزية (red)[5].

وقد استخدم البحتري كلمة الدم بدلالات متعددة، وبما أن الدَّم مرتبط بالحياة وسفكه يـــؤدي إلى سلبها فقد ارتبط بالقتل والموت، والمعركة هي المكان الذي تزهق فيه النفوس وتسيل فيها

---

(1) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حمر.
(2) حمدان، أحمد عبد الله محمد، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008، ص 18.
(3) **نفسه**، ص 19.
(4) ينظر: عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص 164.
(5) ينظر: **نفسه**، ص 86. نقلاً عن: Methuen Handbook، ص137..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدماء إذ يقول:

لَقَــدْ زُلزلــت أرض "الجبــال" بوقعــه أسالت دمــاً فــي كــل نشــز وأبطــح[1]

فذكر الدم وسيلانه في المعركة هو دليل ضراوتها وشدتها، وبهذا يكون اللون الأحمر قد اكتسب دلالة الشدة والقسوة.

وكذلك ارتبط سيلان الدم في المعركة بالتمجيد بالممدوح والثناء عليه وفي ذلك يقول:

تتفــادى الأعــداء مــن ســطو ليــثٍ خَضِــلٍّ مــن دمــائهم أظفــورهْ
كــم ســرى منفــراً لهــام رجــالٍ ســاكن باتــت الســيوفُ تَطيــرُهْ[2]

فهو يشيد بممدوحه في شجاعته في خوض المعركة، إذ اتخذ من دماء أعدائه ندى يبلل به أظافره، دلالة على تمكنه منهم وسطوته عليهم. ومنه قوله:

مســتظهرٌ بكتيبــة يلقــي بهــا زحــف العــدى وكتيبــة تلقــاهُ
صــبغت بتربــة أرضــه راياتــه وقنــا بمحمَّــر الــدماء قنــاهُ[3]

وهنا جاءت كلمة "قنا" بداية الشطرة الثانية من البيت الثاني لتعبر عن شدَّة الحمــرة، ممــا يشير إلى كثرة الدماء التي سالت حتى صبغت رماح الممدوح باللون الأحمر، وبهذا فقد دلّ هــذا اللون على القوة والفخر والعزة، وفي أحيان أخرى استخدم السيف المدمى ليــدلل علــى بــأس الممدوح يقول في مدح الفتح بن خاقان[4]:

سَلْتَ دون "بني العبــاس" ســيفَ وَغــى يَــدْمى، وعزمــاً إذا أضــرمته وقــدا[5]

---

(1) **الديوان**، 451/1. النشز: المكان المرتفع، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نشز). الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بطح).

(2) **نفسه**، 910/2.

(3) **نفسه**، 4/ 2404.

(4) الفتح بن خاقان هو: ابن أحمد بن غرطوج. أبو محمد، أديب، شاعر. فصيح كان في غاية الفطنة والذكاء، فارسي الأصل من أبناء الملوك، اتخذه المتوكل العباسي أخا له واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه، وكان يقدمه على جميع أهله وولده، وألف كتاباً سماه "اختلاف الملوك" وكتابا في "الصيد والجوارح" وكتاب "الروضة والزهر" وقتل مع المتوكل عام 247هـ.
ينظر ترجمة: ابن النديم، **الفهرست**، ص 130. الكتبي، **فوات الوفيات**، 177/2.

(5) **الديوان**، 718/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نسب السيف إلى ساحة المعركة حيث سفك الدماء وسيلان اللـون الأحمـر، وعلاقـة الممدوح بالسيف من صور الشهامة والرجولة، وهو سيف قاطع حاد ملطخ بدماء الأعداء حتـى أصبح ذا لون أحمر، وفي ذلك إشارة إلى حدته من جهة وإلى قوة الممدوح وبطشه مـن جهـة أخرى، وزاد من اشتداد هذا اللون عزم الممدوح الذي جعل منه الشاعر نـاراً علـى الأعـداء، فالتقت حمرة الدم مع حمرة النار ليدلل هذا اللون على اشتداد المعركة وضراوتها حتى خيل أنَّها نار مشتعلة ومتأججة من ناحية، كما دلَّ على شجاعة الممدوح من ناحية أخرى.

وحقن هذه الدماء يعطي دلالة مشرقة ومبهجة للنفس يقول مادحاً:

فلـــولا أميـــرُ المـــؤمنينَ وَطَوْلُـــه لعـــادَت جيـــوبٌ والـــدماءُ رُدُوعُهـــا[1]

فقد ربط اللون الأحمر للدم بجهود الأمير التي حالت دون سفكه، مما منح اللون الأحمـر دلالـة السلم والأمان لهذه الأرواح.

وهو يعقد مقابلة بين دم اللعين ودم الشهيد مبيناً الفارق بينهما بقوله:

ولـــيس دمُ اللَّعـــين وإن شـــفانا كفيـــاً عنـــدنا لِـــدَمِ الشـــهيد[2]

ففي عبارة "دم اللعين" كنى عن الخبث والقذارة لهذا الإنسان، وبذلك حمل اللون الأحمـر دلالة الاشتفاء من العدو، وأما دم الشهيد فهو دم زكي طاهر وهي دلالة معاكسة لمـا ورد فـي الشطر الأول.

وارتبط اللون الأحمر بالعاطفة، وهو لون العشق والحب، والقلب هو موطن الحب وهـو موطن تدفق الدماء، ولذلك فإصابة العاشق بسهم الهوى إنما يدمي قلبه بقوله:

رمَـــيُن فـــأدميْنَ القلـــوبَ بـــأَعْيُنٍ دواعٍ إلـــى حكـــمِ الهَـــوى وخـــدود[3]

---

(1) **الديوان**، 1300/2.
(2) **نفسه**، 519/1.
(3) **نفسه**، 778/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما سفك الدم في العشق فهو مستملح ومستعذب يقول:

إن كـــانَ ســـفكُ دمَـــي بغيـــرِ جنايَـــةٍ يـــا "علـــو" منـــك عبـــادة فتعبَّـــدي[1]

فعبارة سفك دمي فيها دلالة مجازية للتعبير عن الوقوع في الهوى، وهو قتل محبب لدى الشاعر يلذ له الحديث عنه، رغم ما يعانيه وعليه فإن اللون الأحمر للدم قد اكتسب دلالة مستحبة إلى نفس الشاعر مغايرة للدلالة المنفرة له.

كما ورد لون الدم مرتبطاً بالدموع وفي ذلك يقول:

يـــا أخـــا الأزد مـــا حفظـــت الإخـــاء لمحـــــبّ، ولا رعَيـــــت الوفـــــاء

عـــــذلا يتـــــرك الحنـــــين أنينـــــا فـــي هـــوى يتـــرك الـــدموعَ دمـــاء[2]

فالدموع التي يذرفها في حبه تحولت دماء، وإنما جعل الدموع دماء ليعبـر عـن شـدة الحرقة والألم إلى يتركها الهوى في نفسه مما أكسب اللون الأحمر دلالة تمثلت في معاناة المحب والشدَّة واللوعة التي يعاني منها.

كما ورد اللون الأحمر في وصف خدود المحبوبة، فهي مرة محمـرة أحمـراراً يـدمي ومرة كالورد، وثالثة كالتفاح، والحمرة في الخدود هي علامة جمال وسحر وبهـاء فـي وجـه المحبوبة إذ يقول:

وهـــو فـــي حِليَـــةِ الشَّـــباب يُضَـــاهي جِـــدَّةَ الـــرَّوضِ مشـــرقاً نـــوَّارُهْ

صِـــبْغُ خَـــدٍّ يكـــادُ يـــدمى احمـــراراً وردةٌ فـــي العيـــونِ أو جُلَنَـــارُهْ[3]

فقد عبر عن الشباب بالنضارة والإشراق الذي يلمس في الرياض، وجاء اللون الأحمر في الخدود ليزيد المحبوبة جمالا، فهو كالوردة في الرياض تزيدها حسنا وبهاء كما حمل اللون الأحمر هنا دلالة الحياء والخجل وهما سمتان اتصفت بهما المحبوبة.

---

(1) **الديوان**، 762/2.
(2) **نفسه**، 13/1.
(3) **نفسه**، 906/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصْفُ حمرة خدود المحبوبة بحمرة الوردة يتأتى من أن هذه حمـرة تـؤدي "معنـى الصحة والعافية، فضلاً عن الحياء والخجل"[1] ولذلك عمد الشعراء إلى وصف خدود المحبوبـة باللون الأحمر؛ لإدراكهم ما في هذا اللون من مبعث للجمال، وإثارة لنفس المحب ومما يقـول البحتري في هذا قوله:

سـحر عينيـك قهـوتي، وثنايـا (م) ك مزاجـي، ووَرْدُ خَـدّيك وِرْدي[2]

فقد ارتبط اللون الأحمر بالإثارة الجنسية، فاحمرار خدود المحبوبة أثار لهـف الشـاعر وشوقه حتى إنَّه قبلها. ومنه قوله:

تلـك ذات الخـد المـورد، والمبـ تسـم العـذب والحشـا المهضـوم
غـادة مـا يُغـبُّ منهـا خيـال يقتضـي الجـوى اقتضـاء العـزيم[3]

وفي مواضع أخرى ربط بين لون الخدود الأحمر والتفاح مع استخدام كلمة الأرجـواني للدلالة على الحمرة إذ يقول:

أغـادي أرجـوان الـراح صـرفا علـى تفـاح خـد أرجـواني
إذا مالـت يـدي بالكـأس ردَّت بكـفٍّ خضـيب أطـراف البنـان[4]

وقد جمع بين احمرار الخمر واحمرار خدود المحبوبة، وبذلك اتخذ اللون الأحمر دلالـة النشوة واللذة لأنه جمع بين محبوبين هما الخمر وخد المحبوبة.

ومن مثل هذا قوله في الخمر:

أرجوانيـة تشـبه فـي الكـأ (م) س بتفـاح خـدِّه الأرجـواني[5]

ومما ارتبط به الأحمر وصف الموت، فقد قيل "موت أحمر"[6] للدلالة على القتل لما فيه

---

(1) كشاش، محمد، **اللغة والحواس**، 182.
(2) **الديوان**، 523/1.
(3) **نفسه**، 4/ 2122.
(4) **نفسه**، 2275/4.
(5) **نفسه**، 2271/4.
(6) الثعالبي، **فقه اللغة**، ص123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من حمرة الدم أو لشدته[1]، ويقال موت أحمر أي موت شديد، وقد عبر البحتري في هذه العبارة عن الموت قتلاً مما حمل اللون الأحمر دلالة الشدّة والقسوة إذ يقول:

صريع تقاضاه السيوفَ حشاشةً يجودُ بها والموتُ حمرٌ أظافرهْ[2]

وهذا البيت قاله في رثاء المتوكل، ساعة مقتله، فجعل من الموت إنسانا حمراً أظافره ليدلل على بشاعة هذه الميتة وقذارتها، مشيراً إلى أن سيلان الدماء كان سبباً في الموت. ومنه قوله:

ومن فتنة شَعواءَ غطى ظلامها على الأفق حتى عاد أقتم أكدرا
أعين بأسياف "الموالي" وصبرهم على الموت لما كافحوا الموت أحمرا[3]

فجاءت عبارة "الموت الأحمر" لتدلل على القسوة والشّدة للقتل، وبخاصة القتل الذي يقع نتيجة فتنة، فهو أمرٌ على الإنسان من الموت في ساحة المعركة، ولعله جعل من الموت أحمر لأن سفك الدم سلب لحياة الإنسان، ويبدو الشاعر مشمئزاً ومقشعراً ومتحسراً على هذه الدماء التي تسيل بسبب الفتنة، ولذلك دلَّ بأن هذا الموت يختلف عن غيره بأن جعله أحمر، وباستخدام اللون الأحمر استطاع أن يكشف قبح الفتنة وبشاعتها.

ومنه قوله:

فوا أسفي ألا أكون شهدتُهُ فخاست شمالي عنده ويميني
وألا لقيتُ الموت أحمر دُونَهُ كما كان يلقى الدهر أغبر دوني[4]

وقد ربط عبارة "الموت الأحمر" بمقتل يوسف بن محمد[5] -والشاعر متألم لقتله- مما زاد من بشاعة الموت وفظاعته.

---

(1) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حمر).
(2) **الديوان**، 2/ 1048.
(3) **نفسه**، 2/ 932.
(4) **نفسه**، 4/2182 - 2183.
(5) يوسف بن محمد، هو ابن البطل الطائي أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، ولاه المتوكل حرب أرمينية وأذربيجان وخراجهما بعد وفاة أبيه سنة 236هـ، فشخص إليها فضبطها ووجه عماله في كل ناحية، وقد خرج عليه رجل من بطارقة أرمينية هو بقراط بن آشوط، فقيده يوسف وأخذه إلى الخليفة، مما أثار حفيظة البطارقة هناك فخرجوا لقتال يوسف وقتلوه سنة 237هـ مع أصحابه. ينظر ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** 7/58-59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما ورد فيه اللون الأحمر وصفه للملابس، "والأحمر في الملابس علامة دلال ورفاهية"[1]، وقد استخدم البحتري هذا اللون في الثياب ليضيف إلى هذه الدلالة صفة التسامح عند ممدوحه فيقول:

هل أنت مبلغي التي أغدو لها بمقلص السربال أحمر مذهب

لو يوقد المصباح منه لسامحت بضيائه شيةً كضوء الكوكب[2]

فكلمة أحمر التي خالطها اللون الأصفر في وصف السربال إنما تدل على الرفاهية التي يحياها الممدوح. ومما يتعلق بالإنسان الخضاب وهو لون زينة للمرأة يقول:

نأوا بأوانس يرجعن وَحشاً إذا فوجِئْن بالشَّعْرِ الخَضيب[3]

واستخدم الخضاب في الأيدي، وقد أشار البحتري في مواضع عدة إلى استخدام الخضاب في البنان، ومن ذلك تغزله بمقدم الخمر واصفاً بنانه المخضب وفي ذلك يقول:

بنتُ كرم يدنو بها مرهف القَدّ غريرُ الصِّبا خضيب البنان[4]

وإنما جعل الفتى الذي يقدم الخمر خضيب البنان ليزيده جمالا على صفاته الأخرى، فهو دقيق الخصر، ويجمع إلى ذلك لطافة ورقة، وجاء اللون الأحمر للخضاب ليضفي جمالا وحسنا على هذا الفتى، وهو بذلك يصفه بصفات الأنوثة ليدلل على رقته ونعومته، لذا أعطى اللون الأحمر في الخضاب دلالة الإثارة والإعجاب.

---

[1] حمدان، أحمد، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008 م، ص 43.

[2] **الديوان**، 1/ 284.

[3] **نفسه**، 1/ 99.

[4] **نفسه**، 4 / 2271.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما المحبوبة فقد أشارت له بطرف بنانها المخضب إذ يقول:

لـــــوت بالســـــلام بنانـــــا خضـــــيباً ولحظـــاً يشـــوقُ الفـــؤادَ الطروبـــا[1]

فاللون الأحمر الذي خضبت به المحبوبة يدها لفت انتباه الشاعر، وأضفى صفة البـــروز على أصابع المحبوبة مما زادها جمالاً.

الأحمر في الطبيعة

ورد اللون الأحمر في الطبيعة بذكر عدد من النباتات هي الجلنـــار وشـــقائق النعمـــان والزعفران، وقد استخدم الجلنار من باب الكناية في وصف خدود المحبوبة إذ يقول:

والخـــــدودُ الحســـــانِ يَبْهَـــــى عليهـــــا جلُّنـــــــار الربيـــــــعِ طَلْقـــــا ووردُهْ[2]

يشير إلى حمرة الخدود التي كنى عن جمالها بكلمة (الجلنار)، لما في هـــذه النبتـــة مـــن جمال يبهر المحب، وعليه فقد ارتبط نبات الجلنار بالجمال والحسن الجذابين، حتى إنَّه جعل مـــن الخدود جلنارا، وفي ذلك يقول:

صـــبغ خـــد يكـــاد يَـــدْمَى احمـــراراً وردُه فـــي العيـــونِ أو جُلَّنـــارُهْ[3]

واحمرار الخدود صفة حياء وخجل اتصفت بها المحبوبة، مما أضـــفى عليهـــا جمـــالا ساحرا تمثله البحتري في الورود والجلنار في دلالة على البهاء والجمال والحسن.

ومن النباتات المعروفة باللون الأحمر شقائق النعمان، وقد ارتبط ذكرها مع ذكر الربيـــع، الذي يزين الأرض ويجملها، وفي ذلك يقول:

---

(1) **الديوان**، 1/ 149.
(2) **نفسه**، 509/1.
(3) **نفسه**، 906/2. وينظر 711/1، 852/2، 935/2، 989/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمـــــا تـــــرى الأرضَ وأثوابَهـــــا شـــــقائِقَ النعمـــــانِ والأَقْحُـــــوانِ[1]

فهو يصف الأرض في فصل الربيع وقد زينتها زهور شقائق النعمان والأقحوان؛ حتى غدت الأرض في ثوب مزركش وهكذا حمل اللون الأحمر لشقائق النعمان معاني الجمال والحسن، ولذلك فقد ارتبط بالعشق والصبابة، وفي ذلك يقول:

شـــقائق يحملـــن النـــدى فكأنـــه دموع التصـابي فـي خـدود الخرائـد[2]

ارتبط لون شقائق النعمان بدموع الفتيات ذوات الخدود الجميلة الحسناء، وعليه فإن اللون الأحمر لهذه النبتة ارتبط بمعاني الصبابة والحب.

رابعاً- اللون الأخضر ودلالاته

جاء الأخضر آخر الألوان في سلسلة الألوان الأساسية عند النمري، الذي عدَّ الزرقة درجة من درجات الخضرة[3]، أما بلينوس فجعله في المرتبة الخامسة من الألوان وقدّم عليه الأبيض والأسود والأحمر والأصفر[4]. ولعل طبيعة البيئة العربية الصحراوية نبهت العربي للون الأصفر قبل الأخضر والأزرق، وقد يكون ذلك هو السبب في افتقار المعجم العربي إلى الألفاظ الدالة على الأخضر والأزرق، وغناه بالألفاظ الدالة على الألوان الأخرى[5].

والأخضر من أكثر الألوان وضوحاً في الدلالة، فهو لون الخصب والخضرة والنماء[6]، وهو "رمز الحياة ذات التجدد، فهو قرين الشجرة و يرتبط بالحقول والحدائق، ولذا فهو مرتبط

---

(1) **الديوان**، 2236/4.
(2) **نفسه**، 623/1.
(3) ينظر: **الملمع**، باب الخضرة.
(4) ينظر: **سر الخليقة وصنعة الطبيعة**، ص 473.
(5) ينظر: علي، إبراهيم محمد، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، قراءة ميثولوجية، ص 211- 212.
(6) عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص 165.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهدوء الأعصاب"[1]، ولأنه يحمل هذه الدلالة فقد ارتبط بالنعيم والجنة في الآخرة من ذلك قوله تعالى في وصف لباس أهل الجنة { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ } [2].

وقد وردت في العربية ألفاظٌ حددت خصائص هذا اللون فقالوا: أخضر وأكدوه بقولهم: أخضر ناضر، وفي وصفهم الخيل قالوا: "أخضر أحم وأخضر أورق وأخضر أطحل، وأخضر أدغم"[3]. كما أطلق العرب الخضرة على السواد في مواضع عدّة فقالوا: كتيبة خضراء التي يعلوها سواد الحديد، وفي حديث الحارث بن الحكم: أنه تزوج امرأة فرآها خضراء أي سوداء فطلقها، وربما عاد ذلك إلى التشابه بين الأخضر القاتم واللون الأسود، وفي تعبيراتهم ماء أخضر ضارب إلى الخضرة في صفائه، كما جعلوا السماء خضراء لأنها مصدر الماء والخير، كما قالوا عن الليل أخضر[4].

فاللون الأخضر عند العرب يحمل دلالات الخصب والحياة والنضارة والوفرة والنعيم، إضافة إلى دلالات الدغمة والسمرة وغيرها من ألوان الخيل والحديد والناس والليل.

وفي الثياب "فاللون الأخضر لباس علية القوم"[5]، ومما يدل على ذلك قول النابغة:

يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكب[6]

وفي باب الكنايات استخدم العرب اللون الأخضر فوصفوا العيش الهنيء بالأخضر، وفي الدعاء على أعدائهم قالوا: أباد الله خضراءهم أي خصبهم وسعتهم[7]، كما يكنى عبارة الوجوه

---

(1) عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب**، ص 200/2.
(2) الإنسان، آية 21.
(3) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **الخيل**، ص 230.
(4) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خضر).
(5) حمدان، أحمد، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008 م، ص 47.
(6) **الديوان**، ص 12.
(7) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خضر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخضراء من الوجوه الخيرة، وهو ضرب من التفاؤل، كما "يجري على ألسنة العامة قولهم دربــك أخضر أو طريقك خضراء"[1].

وظهر اللون الأخضر بدلالاته في شعر البحتري على النحو الآتي:

الأخضر في الإنسان

دَلَّ اللون الأخضر في شعر البحتري في معظم الأحيان على هنــاءة العــيش، فــالعيش الأخضر هو العيش الرغد، وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع من ذلك قولــه مادحــاً الخليفــة المعتمد لتسلمه الخلافة:

أتــت بركــاتُ الأرضِ مــن كــل وجهــة وأصبح غصنُ العيشِ فينــانَ أخضــرا[2]

فقد ربط الشاعر بين تسلَّم الخلافة، وبين تغير أحــوال الــبلاد إلــى النعــيم والراحــة والاستقرار، وعبر عن هذه المعاني بأن جعل العيش غصناً أخضر بمجيء المعتمد، وعليه فقــد ارتبط اخضرار العيش بقدوم المدوح.

وفي موضع آخر ربط هناءة العيش بأيام الهوى والقرب من الأحبة فقال:

ولربمــــا كــــانَ الزَّمــــانُ محببــــاً فينــــا بمــــن فيــــه مــــنَ الأحبــــاب

أيَّــام روضِ العــيشِ أخضــر، والهــوى تــــــربٌ لأدم ظبائهــــــا الأتــــــراب[3]

فقد ارتبطت عبارة "العيش الأخضر" بلقاء الأحبة والقرب مــنهم، ممــا ولّــد الســعادة والسرور، وعليه فقد دل اللون الأخضر على البهجة والفرحة والاطمئنان.

ومن مواطن استخدام اللون الأخضر في شعر البحتري، أنَّه ربــط العــيش الأخضــر بعشــرة الممدوح الكريمة ومعاملته الطيبة إذ يقول:

---

[1] حمدان، أحمد، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008 م، ص47.

[2] **الديوان**، 2 / 1055.

[3] **نفسه**، 1 /294. ينظر: 3 / 1810، 3 / 1690.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخٍ لبســـت العـــيش أخضـــر ناضـــرا بكـــريم عشـــرته وفضـــل إخائـــه[1]

فكرم الممدوح وفضله على الشاعر جعل عيشه أخضر، وقد أكد هذا الاخضرار بكلمة ناضر ليبين الراحة والسعادة اللتين يحيا بهما في ظل ممدوحه.

ومن المعاني التي أداها اللون الأخضر الراحة والرفاه اللذين عاشهما البحتري في ظل ممدوحه، إذ أغدق عليه الأخير، مما ولد علاقة قائمة على الحب والمودة، وعبر عن ذلك بقوله:

ولـــي غـــرسُ ودٍّ فـــي ذراك تتابعَـــتْ لـــه حجـــج خضـــرٌ فـــأثَّ وأينعـــا[2]

وقد نسب الاخضرار إلى السنوات ليدلل على الهناء ورغد العيش الذي حظي به لسنوات في عهد ممدوحه، وقد حمل اللون الأخضر هنا دلالة النماء بقوله "أثَّ" ودلالة السعادة بقوله "أينع"، وهذا يدلُّ على الحياة المنعمة التي عاشها البحتري في ظل ممدوحه.

وورد اللون الأخضر في ذكر النسيج وقد أورده البحتري في باب الكنايات في وصفه أنهار مدينة الرقة البيضاء في قوله:

وَتَفَجَّـــرَتْ أَنْهارُهـــا بمياههـــا موصـــولة بفواهـــق الغـــدرانِ
مثـــل المرايـــا فـــي نمـــارقَ سُـــنْدُسٍ خضـــرٍ يَـــروقُ العَـــيْنَ باللمعـــانِ
أو فضـــةٍ فاضَـــتْ بـــأَرْضِ زُمُـــرُدٍ أو مـــاءِ دُرٍّ دارَ فـــي مُرجـــانِ[3]

يصف الشاعر الأنهار ومياهها، ويستعين بالألوان ليظهر صورتها الجمالية، فجاءت الكلمات (سندس وزمرد) بلونهما الأخضر وكلمتا (فضة ودر) بلونهما الأبيض والمرجان بلونه الأحمر مجتمعة لتعكس صورة عن جمال الطبيعة، وبالتالي فقد حملت هذه الألوان بما فيها اللون الأخضر دلالة الافتتان بالطبيعة وسحرها.

---

(1) **الديوان**، 1 /24، ينظر: 275/1، 1280/2، 1298/2.
(2) **نفسه**، 2/ 1267. أث: التف وكثر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**: مادة (أث).
(3) **نفسه**، 2378/4-2379.
زمرد: جوهر لونه أخضر، وهو مرادف (الزبرجد). ينظر البيروني، **كتاب الجماهر في معرفة الجواهر**، ص160 – 161. وينظر التيفاشي، **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار**، ص 78 – 91.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخضر في الطبيعة

يدلّ اللون الأخضر في النباتات على الجمال والخصب والخير، وقد عبر الشاعر عن ذلك بوصف الرياض وذكر أسماء بعض النباتات، وفي باب الكنايات.

وقد أحسن البحتري في وصف الرياض فاللون الأخضر زادها حسناً وجمالاً من ذلك قوله:

في رَوْضَةٍ خضراءَ يَشْرُقُ نُورُها تُسْقَى مُجاجاتِ الغُيومِ السَّجَّس[1]

فهذه الروضة الخضراء إنما أشرقت لكثرة الماء الذي سقيت به، فالماء سبب في الخصب والنماء مما حمل اللون الأخضر هذه الدلالة إلى جانب الجمال والإشراق والبهاء الذي عكسه منظر هذه الروضة.

واستخدم الشاعر اخضرار الرياض في الثناء على ممدوحه، إذ يقول:

أهلا بهذا الملك المقبل جئت مجيء العارض المسبلِ
قَدِمْتَ فابتَلَّ يَبيسُ الثَّرى واخضرَّ رَوْضُ البَلَدِ المُمْحِلِ[2]

فاخضرار الروض هنا كناية عن الاستقرار والأمان الذي عم البلاد بقدوم الممدوح، وهو كناية عن السعادة والحياة الهانئة في ظل حكمه. ومنه قوله:

فلا زلت في ظلٍّ من اللهِ سابغٍ فَظِلُّكَ رَوْضٌ للبَرِيَّةِ مُوْنِقُ[3]

فكلمة روض التي توحي بالاخضرار، جعلها الشاعر صفة للممدوح ودلل بها على الراحة والرخاء.

ويشير الشاعر في موضع آخر إلى العيش الكريم والراحة التي يحياها في ظل ممدوحه بقوله:

---

(1) **الديوان**، 1150/2.
(2) **نفسه**، 1846/3.
(3) **نفسه**، 3 /1536.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعـــودُ إلـــى أفيـــاءِ أرعَـــنَ شـــاهقٍ وأدرجُ فـــي أفنـــانِ رَيّـــانَ أَخْضَـــرِ[1]

فهو يشير إلى أصله في الشطرة الأولى، بينما يشير إلى رغد العيش والراحة التي يحياهـا فـي ظل الممدوح باستخدامه كلمات دالة على ذلك وهي "أفنان ريان" مضيفا إليها كلمة "أخضر".

ومما يتعلق بذكر الاخضرار، ذكر أسماء الأشجار مثل الزيتون والنخيـل فهـو يقـول واصفاً:

بَـيْنَ ديـر العـاقول مُرْتبـع يشُـ (م) رف محتلُّـه إلـى ديـر قُنَّـى
حيثُ بات الزيتون ومن فوقه النخـ (م) لُ عليـه وُرقُ الحمـامِ تَغَنَّـى[2]

يتبين من قوله أن تلك المنطقة كانت بساتين عامرة بأشجار الزيتون والنخـل، ممـا دل على جمال الطبيعة وسحرها، وكل ذلك تمثل لون الأشجار الأخضر رمز الجمال والنضارة.

كما ورد اللون الأخضر بكلمات إيحائية مثل العشب الذي يوحى بتجدد الحياة، وقـد ربـط الشاعر بين هذا المعنى وبين تفضل الممدوح وكرمه في أكثر من موضع من ذلك قوله:

مـــا قصـــدناه للتفضـــل إلا أعشـــبتَ أرضـــه وصـــابَتْ ســـماؤه[3]

فعبارة "أعشبت أرضه" تنم عن الفرح والسرور الذي يصيب الإنسـان، ذلـك أن نمـو العشب يحمل في ثناياه الخير مما يدلل على موسم خصب، "وبذلك لـم يعـد اخضـرار الأرض يعني الجمال فقط"[4]، بل اتخذ مدلولاً أكثر عمقاً تمثل في العطاء والبذل والجود التي نسبها إلـى الممدوح.

---

(1) **الديوان**، 890/2.
(2) **نفسه**، 3/ 2147. دير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانية بالقرب من بغداد على شاطئ دجلة، ويقع بالقرب منه دير قُنَّى. ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 520/2.
دير قُنَّى دير قُنّي بضم أوله وتشديد ثانيه يعرف بدير مر ماري السليخ، يقع بالقرب من بغداد ويقال له دير الأسكون أيضا. ينظر: **نفسه**، 528/2.
(3) **الديوان**، 1/ 30.
(4) الزواهرة، ظاهر محمد هزاع، **اللون ودلالاته في الشعر**، الشعر الأردني نموذجا، ص 46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووسم البحتري الغيوم باللون الأخضر، إذ يقول:

مـــا إن تَـــرى إلاَّ تَعـــرُّضَ مُزْنَـــةٍ مُخْضَـــرَّةٍ أو عـــارضٍ مُتَـــأَلِّقِ[1]

فهذه الغيمة الممتلئة بالمطر يتسبب عنها اخضرار الأرض الذي يعني الحياة والاستمرار والتجدد، ولذلك جعلها خضراء لما تحمل من الخير والنعيم بداخلها.

ومن كل ما تقدم يتضح أن اللون الأخضر حمل في شعر البحتري دلالات الحياة والنمـو والخير والخصب والإشراق، وهي دلالات مبهجة للنفس، ومع ذلك فقد حمل اللـون الأخضـر دلالة معاكسة وذلك في ذكره الطحلب، إذ يقول:

بقيـــةٌ مِـــنْ عطـــاءِ البحـــر رغّبَنـــي بها عن الطحلـب المُخْضَـرِّ والطِّـينِ[2]

فالطحالب هي تلك النباتات التي تعلو الماء المتكدر المزمن، وعليه فإن اللون الأخضـر قد ارتبط بجانب منفر ودلالة سلبية هي العيش الكدر الذي عاشه الشاعر قبل اتصاله بالممدوح.

خامساً - اللون الأصفر ودلالاته

"الأصفر من عائلة الألوان الساخنة، ويمثل قمة التوهج والإشراق، وهو من أكثر الألوان إضاءة ونورانية، فهو لون الشمس واهبة الحرارة والحياة والنشاط والغبطة والسرور"[3].

ولارتباطه بالشمس فقد كان مقدساً في الديانات الوثنية إذ اتخذ رمـزاً للإلـه (رع) فـي مصر وهو إله الشمس[4]. كما "تخيل المصري الشمس على شكل عجل ذهبي تلـده أمـه بقـرة السماء في الصباح"[5]، مما يدلل على "الربط بين شروق الشمس والميلاد وصـلة ذلـك بـاللون

---

(1) **الديوان**، 1484/3.
(2) **نفسه**، 2321/4.
(3) شكري، عبد الوهاب، **الإضاءة المسرحية**، ص 76.
(4) عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص 163. نقلاً عن التصوير الملون، ص 407.
(5) أدمان، أدولف، **ديانة مصر القديمة**، ص 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأصفر"[1]. ومن باب قداسة هذا اللون "فإنَّ تماثيل النساء الجيرية في مصر قد تلونت بالأصفر كما لون به أيضا في الرسم"[2].

ولم تقتصر قداسة هذا اللون على المصريين وإنما امتدت إلى الصين والهند، كما استخدمته المسيحية في الكنيسة خلفية للوحاتهم من أوراق الشجر الذهبية[3].

وتتعدد دلالات اللون الأصفر كغيره من الألوان، فهو كما يحمل دلالات الدفء والنشاط والحيوية والسطوع والنورانية، يحمل دلالات مغايرة تماما؛ فبسبب اقترانه بالنار والاشتعال أصبح معبراً عن الحقد والحسد والضغينة والخيانة والغيرة، كما ارتبط الأصفر الداكن بالمرض والشحوب والجدب والقحط[4].

وورد الأصفر في القرآن الكريم بدلالات عديدة فهو لون يسر الناظرين لقوله تعالى في ذكر بقرة بني إسرائيل: { قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ } [5]، بمعنى تعجب الناظرين. كما يظهر اللون الأصفر كحالة من حالات التغير اللوني كقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ } [6]، فقد جاء الأصفر في المرحلة الأخيرة من المراحل العمرية للنبات وبذلك مثل دلالة الجفاف، ومنها قوله تعالى: { وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّواْ مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ } [7]، والهاء في كلمة "فرأوه" تعود للنبات على النبات.

---

(1) أبو عون، أمل، **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي**، شعراء المعلقات نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص 25.
(2) جودي، محمد حسين، **فنون العرب قبل الإسلام**، ص 16.
(3) ينظر: عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص163. نقلاً عن: Color Psychology، ص 5.
(4) ينظر شكري، عبد الوهاب، **الإضاءة المسرحية**، ص 127.
(5) البقرة آية 69.
(6) الزمر آية 21.
(7) الروم آية 51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان حضور الأصفر في العربية واضحاً، ولعلَّ ذلك يعود إلى طبيعة البيئة التي عاش فيها العربي وهي الصحراء، وقد عبروا عن صفرتها بقولهم "أصحر"، واستخدموا عشرات الألفاظ التي تدل على الأصفر وتحدد ماهيته فقالو أصفر فاقع ولا يقال فاقع إلا للأصفر، فمن قال أسود فاقع كمن قال أبيض حالك، كما قالوا أصفر وارس[1]، وعن اختلاطه بغيره من الألوان قالوا: أكهب للصفرة تخالطها حمرة، وأصحم للصفرة يخالطها سواد[2].

والصفرة عند العرب السواد، فقد قال الفراء في قوله تعالى: {كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [3]، "الصفر سود الإبل لا يرى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة، ولذلك سمت العرب سود الإبل صفرا"[4].

والأصفر لون الذهب مما حمله دلالة الغنى، "كما أصبح رمزا للمجد والثروة"[5]، وقد أطلق العرب على الذهب اسم الأصفر والصفراء، وقالوا: الأصفران وأرادوا الذهب والزعفران أو الورس والذهب، وفي المثل أهلك الناس الأصفران[6].

وورد ذكر الأصفر في مواضع عدَّة في شعر البحتري، يمكن عرضها على النحو الآتي:

الأصفر في الإنسان

جاء هذا اللون مرتبطاً ببشرة الإنسان، فعبر به الشاعر عن المرض، وذلك في الحديث عن مرض أصيب به ممدوحه إذ يقول:

بَدتْ صفرةٌ في لونه إنَّ حمدَهُم من الدُّر ما اصفرَّت نواحيه في العِقْدِ[7]

---

(1) ينظر: النمري، **الملمع**، باب الصفرة.
(2) الثعالبي، **فقه اللغة**، ص 128.
(3) المرسلات، آية 33.
(4) **معاني القرآن**، 225/2.
(5) ذياب، محمد حافظ، **جماليات اللون في القصيدة العربية**، مجلة فصول، مج 5، ع 2، 1985، ص 42.
(6) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صفر).
(7) **الديوان**: 757/2

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد علت الصفرة وجه الممدوح في إشارة إلى مرضه، بينما حمل الأصفر في الشطر الثاني دلالة مشرقة عندما شبه هذه الصفرة بصفرة الدر، وقد جاء ذلك من باب إعلاء شأن الممدوح، وبذلك يكون حول الدلالة السلبية المرتبطة بالمرض إلى دلالة إيجابية عندما ربطه بالدر.

كما ورد اللون الأصفر في ذكر شخص يدعى (الصَّفار) ومن ذلك قوله:

وقد أَفِنَ (الصَّفارُ) حتى طلعت إليه المنايا في القنا والقواضِبِ[1]

وقد سمي هذا (بالصَّفار) لأنه كان يعمل في النحاس، فجاء ذكر الشخص مرتبطاً بلون النحاس الأصفر، وهو يعمم هذه الصفة على كل من يعمل في هذه المهنة ومنه قوله:

لم يَقُم صُفْرُهُم عشيّةَ زارت (م) ـه جبالٌ يضيء فيها الحديدُ[2]

فالأصفر هنا يشير إلى النحاسين الذين يعملون في ضرب النحاس، وبذلك دلّ اللون الأصفر على المهنة التي يمتهنها هؤلاء.

الأصفر في الأدوات

مما ارتبط باللون الأصفر النحاس، وقد ورد استخدامه في مواضع عدّة من بينها المقارنة بين الإخوان، وفي ذلك يقول:

فارفُضْ بإجمالٍ أخوَّةَ مَنْ يَقْلَى المقلَّ ويعشقُ المُثْرِى
وعليك مَنْ حالاه واحدةٌ في اليُسرِ - إما كنتَ - والعسر
لا تخلطنهم بغيرهم من يخلط العقيان بالصُّفر[3]

فقد استخدم الشاعر اللون الأصفر هنا بمعنيين، الأول عندما أورد كلمة (العقيان) ليدلل

---

(1) **الديوان**، 111/1. أفِنَ: ضعف رأيه. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أفن).
(2) **نفسه**، 503/1
(3) **نفسه**، 1102/2

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بها على الصديق المخلص، أما الزيف عند الأصدقاء فقد أشار إليه بكلمة (الصفر) ويعني النحاس، ولذلك جعل هؤلاء الذين يتقلبون مع تقلب الأحوال كالنحاس كونه معدناً رخيص الثمن، وبالتالي جاء اللون الأصفر ليحمل دلالة الزيف والرِّياء، بينما حمل دلالة الإخلاص والوفاء التي مثلتها كلمة (العقيان).

ومما يرتبط باللون الأصفر الذهب، وقد ذكره الشاعر في مواضع عدّة وبتعابير مختلفة، فقد أورده في وصف القصور، من ذلك قوله في وصف سقوف قصر الكامل للخليفة المعتز:

لَبِسَتْ مَنَ الذَّهَبِ الصقيلِ سُقوفُه نورا يضيءُ على الظَّلام الحافل[1]

وهو إشارة إلى كثرة الذهب الذي غطيت به سقوف القصر، حتى كادت تكون كالنور الذي يضيء وسط الظلمة، وذكر الذهب إنما يوحي بدلالة الثراء الفاحش الذي تمتع به الخلفاء حتى جعلوا قصورهم مذهبة.

ولأن الذهب معدن نفيس وثمين، فقد ربط الشاعر ذكره في وصف الأخلاق الرفيعة وذلك في قول ممدوحه:

خلق يستنيرَ كالذهبِ الـ ـرا ئق حُسناً إبريزُه وخَلاصُهْ[2]

فالممدوح على قدر عال من الأخلاق، التي صورها بالذهب الخالص، فجاء اللون الأصفر ليدلل على الرفعة وحسن الخلق الذي يتصف به ممدوحه.

كما ورد استخدام الأصفر في وصف شعره بالذهب إذ يقول مفتخراً في قصائده المدحية:

جاءت كدرٍ في سماطٍ لؤلؤٍ في جيد خَوْدٍ أو كعقيان الذهب[3]

---

(1) **الديوان**، 1649/3.
(2) **نفسه**، 2/ 1188.
(3) **نفسه**، 156/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد صوَّر قصائده بسماط الدر في عنق الفتاة الجميلة مرة، ومرة بعقيان الذهب. وقد استخدم هذا التشبيه من باب الإشارة إلى جمال نظمه وحسن صياغته.

وللشاعر وجهة نظر في نظم الشعر الجيد، فهو يرى أن اللفظ يحمل المعنى، وقد جاء ذلك في معرض إعابة مهجوه بأنه لا يحسن تخير الألفاظ، إذ يقول:

والشِّعْرُ لَمْحَ تكفي إشارَتُه ... وليسَ بالهَذْرِ طُوِّلَت خطَبَهْ

لو أنَّ ذاكَ الشريفَ وازنَ بينَ اللفظِ، واختار؛ لمَ يَقل شَجَبَهْ

واللفظ حلى المعنى وليس يريك الصُّفْرُ حسنا يُريكَهُ ذَهَبَهْ[1]

فقد ربط الشاعر حسن تخير اللفظ للمعنى المراد في قول الشعر باللون الأصفر، عندما جعل الإخفاق في تخير اللفظ كالنحاس، بينما اللفظ الذي أحسن اختياره وتناسب مع المعنى المراد فهو كالذهب، ومرة أخرى يأتي اللون الأصفر بدلالتين متضادتين، إذ حمل دلالة التحقير والتقليل من شأن المهجو بذكره (النحاس)، وحمل دلالة التميز والإجادة في قول الشعر بذكره كلمة الذهب.

سادساً: اللون الأزرق ودلالاته

الأزرق لون متعدد الدلالات؛ وارتبطت دلالاته حسب تدرجاته، "فالأزرق الفاتح يعكس الثقة والبراءة والشباب"[2]، "أما القاتم منه فهو دليل الخمول والكسل والهدوء والراحة"[3].

ويرمز اللون الأزرق للصفاء، وترتبط هذه الرمزية بالتفسير الذي نص على أن السماء لا تبدو للناظر إليها زرقاء، إلا إذا كان الجو صافياً.[4]

---

(1) **الديوان**، 209/1.
(2) عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص 183.
(3) نفسه، والصفحة نفسها. نقلاً عن: Lights and pigments، ص 30.
(4) ينظر: رشيد، فوزي، **ظواهر حضارية وجمالية في التاريخ القديم**، ص 97.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في القرآن الكريم فقد ذكر هذا اللون في قوله تعالى: {يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا }[1]، وقد اتخذ دلالة قبيحة إذ ارتبط بزرقة العيون، والمعنى عميا؛ لأن العين إذا ذهب نورها ازرق ناظرها، وقيل زرق ألوان أبدانهم وذلك غاية في التشويه إذ يجيئون كلون الرماد، وفي كلام العرب يسمى هذا اللون ازرق، ولا تزرق الجلود إلا من مكابدة الشدائد، وقيل زرقاً عطاشاً والعطش الشديد يرد سواد العين إلى البياض[2].

وقد كره العرب اللون الأزرق في العيون، وذلك لأنهم ربطوه بلون عيون أعدائهم الرومان، ومن ثم وصفوا كل عدو لهم بالزرقة فقالوا: "عدو أزرق"[3]، وإلى جانب ذلك فقد تشاءم العرب من البسوس وهي زرقاء العينين، والزباء ملكة تدمر وزرقاء اليمامة لهذه الصفة، وكذلك تشاءموا من كل أزرق العينين"[4]، كما ذم العرب هذا اللون في الذباب.[5]

وفي الشعر العربي تجنب الشعراء العرب استخدام هذا اللون في أشعارهم وذلك لارتباطه بلون عيون الأعداء، كما ربطوه بأشياء خافية على العين كالغول، ومن ذلك ما قاله امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال[6]

والبحتري كغيره من الشعراء العرب تجنب ذكر الأزرق في شعره، فجاء حظ الأزرق في ديوانه نزراً وقد ارتبط ذكره بالهجاء في قوله:

أزرقُ العينِ ومن إبداعهِ أَنْ يَرى في أعين الحُمْرِ زَرَقْ[7]

فقد وصف عيون مهجوه باللون الأزرق تقبيحا له، واشمئزازا منه.

---

(1) طه، آية 102.
(2) ينظر: أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، 8/ 118.
(3) الثعالبي، **فقه اللغة**، ص 128.
(4) الجاحظ، **الحيوان**، 2/300-301.
(5) ينظر: عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب**، 2/ 201.
(6) **الديوان**، ص 142.
(7) **الديوان**، 3/ 1475.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع ذلك فقد اتخذ اللون الأزرق دلالة إيجابية عند في وصف سيوف ممدوحه التي جعلها ذات لون أزرق فيقول:

تغـــدو أســـنَّتُه زرقـــا فيكحلهـــا يوم الكريهة، فـي الأحـداق والكحـلِ[1]

وإنما جاء اللون الأزرق هنا دلالة على السيوف الحادة الماضية القاطعة.

سابعاً: الممازجة بين الألوان ودلالاتها

أولاً: في الإنسان

كان اللونان الأبيض والأسود أكثر الألوان التي مازج بينها البحتري فـي شـعره، وقـد وردت في الإنسان في نواح عدة متمثلة في ذكر الشّعَر، ووصـف العيـون ومصـائب الـزمن ووجوه أخرى.

أما في الشَّعر فقد جمع الأسود والأبيض في إشارة للمقارنة بين عهد الشباب والشيب فقال:

أيعـــود الشـــباب أم يتـــولى منـــه فـــي الـــدهر دولـــةٌ مـــا تعـــودُ
لا أرى العـــيشَ والمفـــارقُ بـــيضٌ أســـوةَ العـــيشِ والمفـــارقُ ســـودُ[2]

فعهد الشباب متعة العيش والهناء، وما يمثله اللون الأسود للشعر فهـو دليـل الحيويـة والنشاط، على عكس اللون الأبيض الذي هو دليل التقدم في السن وتولي العيش الرغيـد، وقـد عمد الشاعر إلى استخدام الأسود الذي هو ضد الأبيض ليقف على المفارقة الواضحة بـين أيـام الشباب وأيام توليه، والملاحظ أن اللون الأسود في هذا الموضع اتخذ دلالة إيجابيـة لارتباطـه بالشباب بينما اتخذ اللون الأبيض دلالة سلبية لارتباطه بالشيب، وهو على عكس الدلالة الشـائعة لكل من اللونين، وسواد الشعر أو بياضه له أثر كبير في نفس المحبوبة، فالسواد محبب

---

(1) **الديوان**، 1907/3.
(2) **نفسه**، 502/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليها وفي ذلك يقول:

وكـــان ســـواد الـــرأس شخصـــاً محببـــا إلـــى كـــل بيضـــاء الترائـــب رُود[1]

فالسواد في الرأس دليل جمال ونضارة وحسن لأنه علامة الشباب، وهو سواد تعجب به كل بيضاء، والبياض في المرأة علامة حسن وجمال، وبهذا يكون قد جمع بين الأسود والأبيض في دلالة مبهجة ومشرقة لكل من اللونين.

ولكن هذه الشعرات السوداوات إذا تحولن إلى اللون الأبيض فإن عهد الهوى ينقضي، وينقطع وصل الحبيب، وفي ذلك يقول:

شـــعراتٌ ســـودٌ إذا حُلْـــنَ بيضـــاً حـــال عَـــنْ وِصـــلَةِ المُحـــبِّ الحبيـــبُ[2]

ويعود اللون الأبيض ليحمل دلالة منفرة تتمثل في الشيب الذي هو نذير تقدم السن، وعليه فإن ذلك سبب كاف لانقضاء عهد الوصال مع الحبيب:

وإنـــي وجـــدت، فـــلا تكـــذَبنَّ ســـواد الهـــوى فـــي بيـــاض الشَّـــعرِ[3]

فقد صبغ الهوى بالسواد ليدلل على عدم الاستمتاع وذهاب النشوة بحلول البياض في الرأس، وهنا جعل للونين الأبيض والأسود دلالة سلبية منفرة تتمثل في انقضاء عهد الهوى بظهور شيب الرأس.

كما أن انتهاء السواد إلى البياض إنما هو دليل حسرة وأسى في نفس الشاعر إذ يقول:

شَعَرٌ صـــحبتُ الـــدَّهر حتّـــى جـــاز بـــي مســـوَدُّة الأَقْصَـــى إلـــى مبيضِّـــهِ[4]

فالسواد الذي صحب الشاعر دهراً انتهى به نهاية المطاف إلى المشيب، وهو يرى أن هذا السواد طريق نهايته إلى الهلاك المتمثل في اللون الأبيض، كما تظهر دلالة أخرى للون

---

(1) **الديوان**، 2/ 778.
(2) **نفسه**، 1/ 113.
(3) **نفسه**، 2/ 848.
(4) **نفسه**، 2/ 1195.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسود وهي الغدر والخيانة، فبعد هذه الصحبة الطويلة مع الشاعر انقلب إلى عدو، وهذا العدوُّ مثله اللون الأبيض للشيب الذي هو علامة انقضاء الصبا مما دعا الشاعر إلى ذرف الدموع بحرقة. وجمع البحتري بين السواد والبياض في الإنسان في ذكر العيون الحوراء، إذ ذكرها في أكثر من موضع، ولا يخفى ما لهذه العيون من جمال وحسن وجاذبية، ويرتبط ذكر العيون الحوراء بذكر المحبوبة وفي ذلك قوله:

إن الظِّباءَ غَداةَ سفحِ مُحَجَّر هَيّجن حَرّ جوى وفرطَ تَذَكّر
من كلِّ ساجي الطَّرْفِ أغْيَدَ أجيدٍ ومهفهفِ الكَشْحَينِ أحوى أحورِ[1]

فحور العيون الذي رافقه سواد الشفة قد زاد من حسن الفتيات مما أشعل نار الجوى في نفس الشاعر، وهكذا يبدو اجتماع اللونين الأبيض والأسود سمة بارزة للجمال والحسن.

وفي موضع آخر يعبر عن جمال هذه العيون الذي يتشكل باللونين الأسود والأبيض فيقول:

ويكم بياض الصبح أحسن منظرا في العين من ظلماءِ ليلٍ أليلِ
وهل اسوداد العلوِ يكمل حسنَه في الطَّرْفِ إلا بابيضاضِ الأَسْفَلِ[2]

وهنا تبرز القيمة الجمالية للون الأبيض وبخاصة عند بروزه داخل النقيض له وهو اللون الأسود، والشاعر يقارن بين بياض الصبح الذي يبزغ من عمق الليل، وبين العيون الحوراء التي يبرز جمالها لوجود اللون الأبيض الناصع حول السواد مما يضفي عليها جمالاً وسحراً، وتظهر هنا دلالة الجمال للونين الأبيض والأسود ذلك أن اجتماعهما شكل الجمال والحسن وإلا فالواحد منهما غير قادر على إعطاء هذه الدلالة. ومنه في ذلك قوله:

وسوادُ العين لو لم يُحسَّن ببياضٍ ما كان بالموموق[3]

---

(1) **الديوان**، 2/ 1039.
الأغيد: الذي لانت أعطافه. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غيد).
الأجيد: ذو العنق الطويل الحسن. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جيد).
المهفهف: الضامر البطن الدقيق الخصر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هفف).
الكشح: ما بين السرّة ووسط الظهر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كشح).
(2) **نفسه**، 3/ 1681.
(3) **نفسه**، 3/ 1486. الموموق: المحبوب. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ومق).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالسواد لا جمال له إن لم يكن محسناً باللون الأبيض، وبهذا يكون الأسود قد استمد جماله في العيون لوجود اللون الأبيض، ذلك أن إحاطة الأبيض به تمنحه بروزاً مما يظهر جمالاً وحسناً، ومرة ثانية فقد تولدت دلالة الحسن والبهاء باجتماع اللونين الأسود والأبيض معاً.

وقد ذكر العيون الحوراء في وصف مقدم الخمر الذي ذكره الشاعر في باب التغزل به، إذ يقول:

ولقد شربتُ الكأسَ من يد أَحْوَرَ مثلُ القَضيبِ مهفهفٍ مَيَّاسِ[1]

فقد اجتمعت صفات الجمال في هذا الغلام على رأسها العيون الحوراء الجذابة.

ومن معالم الجمال العيون المكحولة، والوجه الأبيض وفي ذلك يقول:

وطرفٍ ساحر غنج كحيل ووجه ليس ينكر للضياء[2]

ومنه قوله:

عن حبِّ أحوى، أسيل الخد أبيضه ساجي الجفون، كحيل الطرف أسوده[3]

فهو يرسم صورة للجمال الفتان، إذ بدأ بتقسيمه بذكر الشفتين اللتين بهما حوّة، وهو ما يستحسن في الشفاه، ثم ذكر بياض الخدود والعيون السوداء المكحولة، واجتماع اللونين الأبيض والأسود في هذا الموضع من أسمى آيات الجمال المعروفة عند العرب.

ومن المواطن التي اجتمع فيها اللونان الأبيض والأسود ما يتعلق بمصائب الزمان وخطوبه، فالمصيبة يمثلها اللون الأسود، وانجلاؤها يمثله اللون الأبيض، والممدوح كاشف الغمة ومزيلها، وفي ذلك يقول:

لّله أنت ضياءُ خطبٍ مُظْلمٍ حتى انجَلَى وصلاحُ أمرٍ فاسدِ[4]

---

(1) **الديوان**، 2/ 1176.
(2) **نفسه**، 1/ 45.
(3) **نفسه**، 1/ 499.
(4) **نفسه**،1/ 552.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالممدوح بضيائه المشع قد تغلب على ظلمة المصيبة وجلاها، وقد جاء الأبيض صفة للممدوح ليعبر عن فضله، ولإظهار عظمة هذا الفضل جاء بالضد المتمثل في عبارة (الخطب المظلم). وفي موضع آخر يقول في ممدوحه:

وأنتَ طود الحجى في الناس قد علموا وأنتَ فجر الدُّجى في الأزمن السود[1]

فسواد الزمان دلالة الضيق والفقر والمصائب، والممدوح فجر، والفجر يحمل في طياته النور الأبيض الذي يعمل على تبديد السواد ويظهر الأبيض هنا بدلالة القوة والإشراق بينما يمثل الأسود دلالة العتمة. ومنه قوله:

قمرٌ من الفتيان أبيض صادع لوجه الزمانِ الفاحمِ الغربيب[2]

وفي هذا البيت استخدم البحتري كلمتي "أبيض، صادع" للتأكيد على قوة هذا اللون في التعبير عن جلاء مصائب الزمن، التي برز عظمها باستخدام كلمات تدل على السواد وهي "دجى، فاحم، غربيب"، وقد شكلت هذه الكلمات مجتمعة دلالة على ظلمة المصيبة وجللها ويجيء الأبيض الصادع ليشق هذه الظلمة الموغلة فيدل بذلك على قوة السطوع والقدرة على تبديد الظلام.

الأبيض والأحمر

ومن الألوان التي مازج بينها البحتري الأبيض والأحمر، من ذلك ما وصف به محبوبته:

بيضاء رودُ الشباب قد غمست في خجل ذائب يعصفرها[3]

كما التقى اللونان الأبيض والأحمر في وصف جمال المحبوبة، وفي ذلك يقول:

أبياض الثغور أم مرض الأجفان أشكو أم أحمرار الخدود[4]

---

(1) **الديوان**، 1/ 559.
(2) **نفسه**،1/ 248.
(3) **نفسه**، 1074/2.
(4) **نفسه**، 2/ 806.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبياض في الثغر من سمات الجمال التي تغنى بها شعراء العرب، وبياض الأسنان عندما ما يلتقي مع حمرة الخدود فإنه يزيد المرأة حسناً وجمالا يأسر القلوب، وعليه فإن التقاء الأبيض والأحمر في هذا الموضع دليل حسن وجمال وبهاء، "حاول الشاعر من خلالهما أن يصل بالمحبوبة إلى أعلى درجات الجمال"[1]. ومما وصف به جمال النساء، واجتمع في هذا استخدام اللونين الأحمر والأبيض في قوله:

يضحكنَ عِنْ بردِ ونورِ أقاحِ ويشبن طعمَ رُضا بهنَّ براحِ

وإذا برزن من الخدودِ سَفِرْنَ عَنْ هَميَّك من وَرْدٍ ومن تُفَّاحِ[2]

وهنا عبر عن ابيضاض الأسنان بقوله "نور أقاح"، ويبرز جمال الأسنان عندما يضحكن وإنما يزيد هذه الضحكة البيضاء جمالاً اجتماعها مع لون الخدود الأحمر، وباقتران هذين اللونين يبرز الشاعر مرة أخرى الجمال في أبهى صوره.

الأحمر والأصفر

ومن الألوان التي مازج البحتري بينها اللونان الأصفر والأحمر، وقد جمع بينهما في وصف المعركة، فقد كان الأصفر لون رايات الممدوح، أما الأحمر فهو لون الدم وفي ذلك يقول:

لقد نُصِرت راياتُك الصفر إذْ قَنا بما أحمرَّ من لون الدماء جسيدها[3]

ارتبط اللون الأصفر هنا بلون رايات الممدوح، وقد اكتسب اللون هنا دلالة التغير والتغلب، والنصر يتوج بإراقة دماء العدو، فجاء اللون الأحمر مسانداً للون الأصفر لإظهار قيمة النصر الذي حققه الممدوح، وقد منحت كلمة (نصرت) الواردة في بداية البيت اللون الأحمر للدماء دلالة عكسية فاللون الأحمر هنا مثل النصر والغلبة بدلا من سفك الدماء.

---

(1) عبيدات، عدنان محمود، **جماليات اللون في مخيلة بشار بن برد**، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق، مج80، 346/2.

(2) **الديوان**، 476/1.

(3) **نفسه**، 533/16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مجال القتل والموت ذكر اللونين الأصفر والأحمر في بيت واحد في ذكر مقتل "جعفر" "والفتح":

مضى "جعفر" "والفتح" بين مُرمل وبين صبيغ في الدماء مضرَّج[1]

واجتماع الأصفر الذي توحي به كلمة "مرمل" مع أحمر "الدماء" حمل دلالة البشاعة لارتباطها بالقتل.

الأصفر والأسود

ويدمج الشاعر بين اللونين الأصفر والأسود في باب التغزل بالغلمان، وفي ذلك يقول:

ومفاكهٍ عَبِقُ الكَلام كأنَّما يفضي إليك بلفظ فيه النرجسُ

ركِبَت إليكَ بنانهُ ذهبيةٌ صفراءُ تمزج بالظلام فتنبسُ[2]

وأورد الشاعر اللونين الأصفر والأسود بدلالة منفرة عندما ربطهما بوصف الوجوه والأكف يقول مادحاً:

لأقشَعَ عن تلك الوجوهِ سوادَها وأمطر في تلك الأكُفِّ الشواحبِ[3]

فالسواد الذي يعلو الوجوه هو البؤس والفقر والهوان، أما الأكف الشواحب فهي تلك المقلَّة المعوزة، وقد جاء هذا الوصف في باب الثناء على الممدوح الذي يغدق بكرمه على الواقفين ببابه ويردهم منعمين غانمين، والملاحظ أن السواد للوجوه ليس صفة لازمة وكذلك شحوب الأكف، وجاءت كل صفة منهما عارضة، وقد جمع بين سواد الوجوه وشحوب الأكف

---

(1) **الديوان**، 418/1. جعفر: هو جعفر المتوكل على الله بن محمد بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد أبو الفضل، خليفة عباسي ولد ببغداد وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة 232 هـ، وقد نقل مقر الخلافة إلى دمشق، مات قتلا سنة 247هـ. ينظر: ترجمته: الطبري، **تاريخ الطبري** 154/9-237 و245-249، المسعودي، **مروج الذهب** 288/2، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** 11/7.

(2) **نفسه**، 1182/2.

(3) **نفسه**، 181/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليدلل على حالة البؤس التي يعاني منها هؤلاء الناس، وقد أفلح الشاعر في توصيل الدلالة التي أراد ذلك أن اجتماع الأسود والأصفر يحملان دلالة منفرة.

الأخضر والأصفر

ويستخدم الشاعر اللونين الأخضر والأصفر من باب وصف العيش الرغيد الذي حل بعد ضنك من العيش، ومن ذلك قوله:

لتَهْنَــكَ النعمــةُ المخضــرُّ جانبهــا من بعدما اصفَرَّ في أرجائهــا العشــب[1]

وهو يخاطب في هذا البيت سليمان بن وهب[2]، يهنئه بخروجه من السجن الــذي عبــر عنه بالنعمة الخضراء، فالاخضرار دليل المسرة والفرحة والهناء، وهذه كله جاء بعــد اصــفرار من العيش الذي هو دليل المعاناة والضيق والعذاب الذي يمثله السجن، فإن كان الاصفرار يمثــل الذبول والجفاف فقد جاء الأخضر ليمثل تجدد الحياة وانبعاثها من جديد، وعليه فإن الدلالة التــي يحملها الأخضر جاءت معاكسة لدلالة الأصفر فظهر اللونان ضدين.

الأحمر والأسود

ومن صفات الإنسان الذكاء، وقد وظف البحتري لوصف ذلك اللونين الأسود والأحمــر وجمــع بينهما بقوله مادحاً:

وكــــأنَّ الــــذكاءَ سُــــبِغَتْ مِنْــــهُ فــي ســوادِ الأمــورِ شــعلَةُ نــارِ[3]

وقد حمل الأسود هنا دلالة الصعوبة والوعورة في الأمور المستعصية على الإنسان،

---

(1) **الديوان**، 170/1.

(2) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي، وزير من كبار الكتاب ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو في الرابعة عشرة من عمره وولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله ونقم عليه الموفق بالله، فحبسه ومات في حبسه سنة 272هـ، ينظر ترجمته: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 415/2، البكري، **سمط اللآلي**، ص 506، ابن تغري، **النجوم الزاهرة**، 37/3.

(3) **الديوان**، 989/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعبر عن ذكاء الممدوح بالشعلة الحمراء التي تصدع هذا السواد فتزيله، والأحمر وسط الأسود يكون أكثر سطوعاً وبروزاً[1]، وعليه فقد جاء الأحمر هنا ليحمل دلالة الوضوح والسطوع.

والأحمر في الدم هو دليل القتل وسفك الدماء، إلا أنه يصبح دليل الطهارة والبراءة عندما يرتبط بدم زكي كدم المتوكل، وفي ذلك يقول:

لَنِعْمَ الدمُ المسفوحُ ليلةَ "جعفر" هَرْقتُم، وجُنحُ اللّيلِ سودٌ دياجرهْ[2]

فاللون الأحمر للدم اتخذ دلالة أن هذه الدماء التي سالت هي دماء زكية وقد دل على ذلك بكلمة "نعم"، وقد هرقت هذه الدماء في ليل اشتدت ظلمته مما يدلل على الغدر والخيانة وهي دلالة حملها للون الأسود ليظهر من خلاله مدى قذارة هذه الفعلة وهي مقتل المتوكل، وإنما اتخذ اللون الأحمر للدم دلالة ايجابية بعيدة عن الدلالة المعروفة في سفك الدماء، وذلك لأن الدم المهدور هو دم طاهر زكي وذلك من وجهة نظر الشاعر.

الأبيض والأخضر

كما مزج بين اللونين الأبيض والأخضر للتعبير عن رَغَدِ الحياة يقول مادحا:

تحسَّنت الدنيا بعدلك فاغتدت وآفاقها بيض وأكنافها خُضْر[3]

فقد لون الآفاق باللون الأبيض رمز الاتساع ليدلل على رحابة العيش في ظل الممدوح، ثم جعل الأكناف خضرا ليدلل على هناءة العيش إذا لا يخفى ارتباط اللون الأخضر بالحياة، وهكذا شكل اجتماع الأبيض والأخضر دلالة العيش الرغيد وانقلاب أحوال الدنيا إلى الأفضل في ظل عدل الممدوح.

وجاء اللونان الأبيض والأخضر مجتمعين في وصف الممدوح والثناء عليه إذ يقول:

---

(1) ينظر: عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص 97.
(2) **الديوان**، 2/ 1049.
(3) **نفسه**، 2/ 992.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتـــى لا يـــزالُ الـــدهرُ حـــولَ رباعـــه أيـــادٍ لـــه بـــيض وأفنيـــة خضـــر[1]

فقد عبر عن كرم الممدوح وسعة عطائه باستخدام اللونين الأبيض والأخضر فقرن اللون الأبيض بالأيادي، وهذا دليل العطاء والمنح، وقرن الأخضر بالأفنية وهو دليل النعمـــة والخيـــر الكثير الذي يغدق به الممدوح، ومنه يلاحظ أن اقتران الأبيض بالأخضر في هذه المواضع حمل دلالات إيجابية ذات معان مختلفة.

المزج بين أكثر من لونين

ولجأ البحتري إلى استخدام أكثر من لونين من ذلك قوله متغزلا:

أما وما أحمَرَّ مـــن وردِ الخُـــدُودِ ضُـــحَىً واحوَرَّ في دَعْـــجِ مـــن أعـــيُنِ العِـــينِ[2]

وقد جمع في هذا البيت بين أكثر من لونين، فالأحمر لون الخدود الـــوردي، والإحـــورار يمثـــل اللونين الأسود والأبيض، وإنما جاءت هذه الألوان مجتمعة دليل جمال وحسن للمحبوبة. ومنـــه قوله:

بمـــا فـــي وجنتيـــك مـــن أحمـــرار ومـــا فـــي مقلتيـــك مـــن احـــورار[3]

ثانياً: في الطبيعة

الأسود والأبيض

أكثر ما يظهر اللونان الأبيض والأسود في ذكر الليل والنهار، وقـــد ارتـــبط ورودهمـــا بدلالات متعددة ارتبطت بالليل وبالنهار الحقيقين وبالممدوح، كمـــا ورد اســـتخدامها مـــن بـــاب الكناية.

---

(1) **الديوان**، 845/2.
(2) **نفسه**، 2248/4.
(3) **نفسه**، 935/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ذكر الليل والنهار يقول:

ترى الليـــل يقضـــي عُقْبـــةً مـــن هزيعـــه أو الصبحُ يجلـــو غـــرَّة مـــن صَـــدِيعه[1]

وقد ذكر الليل والصبح هنا ليدلل على تعاقبهما وتلازمهما، فالليل يعقبه صباح، والنهـــار يعقبـــه ليل، وهكذا فالأسود والأبيض حملا دلالة التلازم والتعاقب.

كما استخدم الليل والنهار معاً ليدلل على الاستمرار إذ يقول:

فالملـــــك فيـــــه وفـــــي بنيـــــه مـــــا بقـــــي الليـــــل والنهـــــار[2]

فإضافة إلى التعاقب الذي يرتبط بالليل والنهار، فإن اقتران الأسود بـــالأبيض هنـــا أدى معنى الاستمرارية التي ربطها بالممدوح وبقاء الحكم في بنيه ما بقي الليل والنهار.

ومن المواضع التي ذكر فيها الليل والنهار أنه قرنهما بخلق الممدوح وفي ذلك يقول:

يا (فضـــل) جـــاء بـــك الزمـــانُ مَجَـــرّرَاً كرمـــــا كَبُـــــردِ اليمنـــــة المســـــدولِ
أوضحتَ عن خُلُـــقٍ أضـــاءَ لـــهُ الـــدُّجى وأخـــــو الغزالَـــــةِ آذن بـــــأُفُولِ[3]

فهذا خلق الممدوح قد أضاء ظلمه الليل، ويظهر البياض المتمثل في كلمة "أضاء" قد طغى علـــى ظلمة الليل، وعليه فقد حمل البياض دلالة القوة والسطوع، أما الأسود الذي يمثله الدجى فحمـــل دلالة الحلكة الشديدة والعتمة التي تبددت بضياء الممدوح وأخلاقه.

ومما ذكر فيه الليل والنهار في معرض الثناء على الممدوح قولُهُ:

يُخْشَـــــى شَـــــذَاهُ وغيـــــرُ مغتـــــبطٍ نفـــــعٌ مرجَّـــــى لا يُخْتَشـــــى ضـــــررُهْ
إن سار عـــادَ النهـــارُ مـــن رَهَـــجِ الـــــ زحـــــوف لـــــيلاً يســـــوَدُّ معتكِـــــرُه[4]

وهنا غلب لون الليل الأسود على لون النهار الأبيض، إذ لكثرة الزحف وعظمـــة جـــيش الممدوح غدا النهار ليلاً أسود، ويدل ذلك على القوة والشجاعة التي يتصف بها ممدوحه، وأمام

---

(1) **الديوان**، 1275/2.
(2) **نفسه**، 2/ 1014.
(3) **نفسه**، 3/ 1665.
(4) **نفسه**، 1037/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا اللون الأسود فقد خبا ضوء النهار، وذلك ليكون هذا الجيش دماراً على أعدائه فجعله كالليل.

كما جمع بين الليل والنهار في ذكر العشق من ذلك قوله:

وما برحت حتى مضـــى الليـــل فانْقَضَـــى وأعجَلَهـــا داعـــي الصـــباحِ الملمـــعِ[1]

وليل العاشقين فيه وصال وخلوة أما النهار فهو هجر وبعد وفي ذلك يقول:

إذا الليـــل أعطانـــا مـــن الوصـــل بُلغـــة ثنتنـــا تباشـــير النهـــار إلـــى الهجـــر[2]

فالليل ستار يلهو خلفه العاشقون، ومع انقضائه وبزوغ الفجر ينتهي اللقاء، وبهذا فالليل هو الملجأ للعشاق، وهو يشكل مصدراً آمناً لهم على عكس الصباح الذي يكشف أسرارهم، ومن هنا فقد حمل اللون الأسود دلالة السترة والأمان، بينما بدا الأبيض عاملٍ خطرٍ ومقلقٍ، مما جعل المحبوبة تستعجل الرحيل، والبيت هنا يشكل دلالة إيجابية للون الأسود، بينما ظهر اللون الأبيض بدلالة سلبية.

وفي الليل يجد العاشق مهرباً وملاذاً لنفسه ليفرغ فيه ما يعاني من الألم والوجد بعيداً عن ضوء النهار إذ يقول:

ليـــلٌ "بـــذات الطلـــح" أســـدافاتُه أشـــهى إلـــى المشـــتاق مـــن أســـحارِهِ
ومِـــنْ أجـــلِ طيفـــكَ عـــادَ مظلـــمُ ليلـــه أحظـــى لديـــه مِـــنْ مضـــيء نهـــارِهِ[3]

وفي أحضان الليل المظلم يزور طيف المحبوبة الشاعر، وهو ينعم برؤيته ويستمتع بهذا الليل، مما جعل اللون الأسود يحمل دلالة الاستمتاع، كما يحقق له النشوة لما يراه من طيف المحبوبة وعليه فإن الأبيض المتمثل في لون النهار يفسد عليه هذه المتعة إذ حمل دلالة التنغيص وعليه فلم يعد محبباً للشاعر.

---

(1) **الديوان**، 2/ 1237.
(2) **نفسه**، 1004.
(3) **نفسه**، 867/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي باب الفخر بنفسه جمع بين الصبح والظلام فقال:

مـــالي أرى القـــوم لا يخشـــون عـــاديتي وقـــد أشـــاد بهـــا صـــبحي وإظلامـــي[1]

ولأنه ربط الصبح والظلام بالحرب، فقد حمل اللونان الأبيض والأسود دلالة الإقدام والشجاعة والاستطاعة.

وفي موضع آخر حمل اللونين الأسود والأبيض دلالة سلبية:

أصـــاب الـــدهر دولـــة "آل وهـــب" ونـــال الليـــل مـــنهم والنهـــار[2]

فقد ربط هنا الليل والنهار بالمصائب، فالليل والنهار قد اقتصا من آل وهب وعليه فإن الأسود والأبيض دليلا شؤم ومصاب.

ومن الناس الذين يطول ليلهم أصدقاء اللهو وشاربو الخمر وفي ذلك يقول:

ونـــديم نبهتـــه ودجـــى الليـــ ـــل وضـــوءُ الصَّـــباح يعتلجـــان
قـــم نبـــادر بهـــا الصـــيام فقـــد أقـــ ـــمر ذاك الهـــلال مـــن شـــعبان[3]

وقد أظهر صورة جميلة للونين الأسود والأبيض وكأنهما دخلا في صراع. ومما أورد فيه السواد والبياض ذكره للظلام والنور يقول:

يـــا بـــرق أفـــرط فـــي اعتلائـــك أو صُـــبْ بجـــودك وانهمائـــك
أو كشـــف الظلمـــاء بـــالنـــ ـــور المضـــيء مـــن انجلائـــك[4]

وفي الحيوانات قارن بين طائر البازي والغراب بذكر لون كل منهما إذ يقول:

وبيـــاض البـــازي أصـــدق حســـناً إن تأمَّلْـــتَ مـــن ســـواد الغُـــرابِ[5]

فبياض البازي هنا دليل جمال وحسن، أما سواد الغراب فهو دلالة قبح واشمئزاز.

---

(1) **الديوان**، 4/ 2098.
(2) **نفسه**، 961/2.
(3) **نفسه**، 2270/3.
(4) **نفسه**، 9/1.
(5) **نفسه**، 84/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

أبعاد اللون في شعر البحتري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: البعد النفسي

للألوان دورٌ في التأثير على الجسم والنفس والمزاج، ولها ارتباط واضح وتأثير جلي في حياتنا اليومية، فمنها ما يبعث على إثارة النفس، ومنها ما يهدئها، ومنها ما يوحي بالراحة وهكذا....، ولكل لون معنى نفسي نابع من قدرته على إحداث جملة من الانفعالات والتأثيرات النفسية المتكونة أصلاً من التأثيرات والمستويات الحضارية والثقافية والبيئية في تشكيل معنى الألوان.

ويعتقد أن قدماء المصريين هم أول من عرف التأثير النفسي للألوان، فابتكروا المعالجة بها، إذ استخدموا الحوائط الملونة فكان يتم وضع المريض تحت تأثيرها وملاحظة الآثار الإيجابية لهذه الطاقة اللونية مما يساعد على الشفاء[1]، كما "كان في معابدهم – كالكرنك وطيبة– ثمة قاعات مخصصة لإجراء الأبحاث على الألوان لاستخدامها في العلاج"[2]، أما الإغريق فقد استخدموا الألوان عند بنائهم جدران وساحات ضخمة ملونة ليستريح الأفراد تحت الضوء المسلط من نوافذ وألواح زجاجية مختلفة الألوان[3]. وقد كان لديهم اعتقاد "أن الجلباب الأبيض إذا لبسه المحزون هنئ بأحلام سعيدة"[4].

أما في التراث النقدي العربي فقد أشار ابن حزم إلى تأثير الألوان في النفس وذلك بما أورده عن بعض القافة[5]، أنه أتى بابن أسود لأبيضين، فنظر إلى أعلامه فرآه لهما من غير شك، فرغب أن يُوقَفَ على الموضع الذي اجتمعا عليه، فأدخل البيت الذي كان فيه مضجعهما، فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة أسود على الحائط، فقال لأبيه: من قبل هذه أتيت في

---

(1) ينظر: الحسيني، أيمن،**العلاج بالألوان**، ص5.
(2) حجازي، أحمد توفيق، **تأثير العطور والألوان على نفسية الإنسان**، ص 108.
(3) الأشفر، ظريفة، **دراسة في الألوان**، ص4.
(4) عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، ص150.
(5) قافة: جمع قائف، وهو الذي يتقصى الأثر ويتتبعه. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قوف).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابنك[1]، ومغزى هذا أن الابن ولد أسود لكثرة مداومة الزوجة النظر إلى صورة الأسود على الحائط، الذي كان له الأثر في نفسها حتى انعكس على جنينها "ليتحول اللون نفسياً من التصوير المادي إلى لون يتجسد عضويا فيكتسبه الجنين سوادا في جلده"[2].

وفي رؤية نفسية أخرى لأثر الألوان، يفرق ابن حزم بين رؤيته للحبيبة جسداً وعشقاً فيقول: وأما ما يقع لأول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدي، واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان، فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة، فإذا غلبت الشهوة، وتجاوزت الحد ووافق الفصل اتصال نفساني تشترك فيه الطبائع مع النفس يسمى عشقا[3] وهذا يعني أن ابن حزم يرى أن النظر الحسي للألوان إن كان جزئياً هو استحسان جسدي، أما الاتصال النفسي بين المحبين فهو العشق.

وفي العلم الحديث اتسعت دائرة دراسة اللون وتأثيرها على النفس، فقد غدا اختيار اللون دليلاً على ميول الفرد وحالته النفسية، فأثبت كثير من الأبحاث مدى علاقة الألوان المفضلة لدى الإنسان بميوله وأهوائه ونشاطه وحالته النفسية، كما ثبت أن لكل إنسان ألوانا معينة تثير لديه الحركة، وألوانا أخرى مهدئة ومسكنة[4].

ويرتبط مفهوم الألوان نفسيا، بمفهوم الألوان الدافئة والألوان الباردة، والإحساس بالدفء أو البرودة في الألوان "هو إحساس سيكولوجي خارج عن كل التغيرات الحرارية للإنسان، فالألوان الدافئة تعطي الإحساس بالدفء والسخونة، ومنها الأحمر والبرتقالي، وهي ألوان النار والدم، أما الألوان الباردة فتعطي الإحساس بالبرودة، ومنها الأزرق الذي هو لون السماء"[5].

---

(1) **طوق الحمامة**، ص23.
(2) المغربي، حافظ، **اللون بين فلسفة الفن والشعر**، مجلة جذور، مج4، 2004م، 333/18.
(3) ينظر: **طوق الحمامة**، ص 45.
(4) ينظر: حجازي، أحمد توفيق، **تأثير العطور والألوان على نفسية الإنسان**، ص111.
(5) طالو، محي الدين، **الرسم واللون**، ص 166.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبناء على ذلك فقد اهتم الأطباء وعلماء النفس بهذا الأمر، لما للألوان من أثر في شفاء المرضى، فقد أثبتت الأبحاث أن اللون الأزرق والأخضر والأبيض تريح العضلات وتجلب الهدوء والراحة والنوم، كما أن هناك إجماعاً من الأطباء النفسيين على أن اللونين الأزرق والأخضر قد يؤثران إيجاباً على الإنسان، لأنهما يؤديان إلى استقرار الحالة النفسية والتخلص من الخوف والتوتر[1]، ولذلك "تلجأ بعض إدارات المستشفيات إلى تهدئة فرط الانفعال عن طريق استخدام جميع درجات اللونين الأزرق والأخضر"[2].

أما اللون الأحمر فهو "لون يشعر بالدفء والإثارة وهو يهيئ الجسم للحركة، فيعزز عملية الشهيق ويؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم"[3]، أما اللون الأصفر فيشحن الذهن وينشط العقل، ولذلك يفاد منه في حالات الخمول العقلي، ويمكن الاستعانة به لتقوية المقدرة على التصور والتخيل.

وبناء على ما تقدم لا يخفى ما للألوان من تأثير على نفس الإنسان، إذ إن العلاقة بين اللون والنفس الإنسانية تعتمد على المخزون الفكري والثقافي للإنسان، ومدى تجربته مع اللون ولذلك لا يمكن الجزم أن ما يحدثه لون ما في النفس ينطبق على جميع الشخصيات، إذ لا بد من وجود تفاوت في ذلك لاختلاف أمزجة الناس وطرق تفكيرهم.

وقد لجأ الشعراء إلى استخدام الألوان في شعرهم، وفي كثير من الأحيان اتخذت هذه الألوان مدلولات نفسية عاش تجربتها الشاعر، والبحتري كغيره من الشعراء عبّر من خلال اللون عن مكنونات نفسه.

---

(1) ينظر: حجازي، أحمد توفيق، **تأثير العطور والألوان على نفسية الإنسان**، ص112.
(2) أندرسون، ماري، **الصحة والتداوي باللون**، ص6.
(3) حجازي، أحمد توفيق، **تأثير العطور والألوان علي نفسية الإنسان**، ص124.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللون والشيب

اتخذ الشيب أبعاداً متعددة كان لها أثرها في نفس البحتري وقد انعكست هذه الأبعاد فيما تكشفه أشعاره في الشيب عن تأثير ذلك في نفسه. فظهور الشيب نذير بانقضاء عهد الشباب وتوليه، وهذا ما يثير الحسرة والحزن في نفس الشاعر إذ يقول:

ما لَبْثُ ريعان الشباب إذا نُذر المشيب تلاحقت شُرَعُهْ
والشيب فيه على نَقيضَتِه مَسْلَى أخي بثّ ومُرْتَدعُهْ[1]

فالحسرة والألم يعتملان نفس الشاعر لفراق عهد الشباب، وحلول عهد الشيخوخة الذي ينذر به ظهور أبيض الشيب، مخلفاً ذلك أثراً أليماً في نفس الشاعر الذي يتنازعه الحنين إلى عهد الشباب وأيام الصبا.

وهذه الحسرة التي تفيض بها نفس الشاعر بحلول المشيب وتولي الشباب يعبر عنها في مجموعة من الأبيات تعكس ما يعتلج نفسه من مشاعر إذ يقول:

جلوتُ مرآتي، فيا ليتني تركتُها لم أجل عنها الصَّدا
كي لا أرى فيها البياض الذي في الرأس والعارض مني بدا
يا حسرتا! أين الشباب الذي على تعديه المشيب اعتدى
شبتُ فما انفك من حسرة والشيب في الرأس رسول الردى
إن مدى العمر قريب، فما بقاء نفسي بعد قرب المدى[2]

لقد نظر الشاعر في مرآته التي كان قد هجرها، فرأى البياض قد غزا رأسه، وعندها تمنى لو أنه لم ينظر فيها، مما يدلل على أن رؤيته للشيب قد تركت أثراً أليماً عميقاً في نفسه، جعله يظهر حسرة مريرة لفقده أيام الشباب، ويظهر نفوراً من الشيب الذي حل محله، ثم يقرُّ

---

(1) **الديوان**، 1248/2.
(2) **نفسه**، 65/1. وينظر: 119/1، 290/1، 350/1، 1034/2، 1207/2، 1248/2، 1480/3، 1775/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشاعر بحقيقة الشيب بقوله (شبت) لتختلط الحسرة في نفسه باليأس، وذلك أن ظهور الشيب ليس مؤشراً لانقضاء الشباب بل هو بداية النهاية فهو رسول الأجل.

وعليه فإن الشاعر يبدو يائساً بائساً، لأنه يشعر أن عمره قد غدا قصيراً مع حلول الشيب في رأسه، إضافة إلى شعوره بالأسف العميق لتولي أيام الشباب الحافلة باللهو والمتع والملذات، وبهذا فتأثير اللون الأبيض بدا سلبياً إذ جلب المعاناة والتوتر لنفس الشاعر. وهذا ما يتناسب مع اعتبار "اللون الأبيض من الألوان الباردة لما له من خاصية قاسية"[1]. وفي أبيات أخرى يظهر الشاعر ما بثه ظهور الشيب في نفسه من الرعب والخوف إذ يقول:

قد رابني هرب الشَّباب، وراعني شيب يدبُّ بياضُهُ في مفرقي
إمَّا ترينِي قد صحوتُ من الصّبا ومشيتُ في سنن المبلِّ المُفْرِقِ
وذكرتُ ما أخذ المشيبُ فأرسلت عيناي واكف ديمة مغرورق[2]

ويبدو الشاعر في نفسيه قلقة مضطربة،وقد تولد هذا الشعور عنده بسبب ظهور الشيب في مفرقه، فالذي دبَّ الرعب في نفس الشاعر هو انقضاء الشباب الذي عبر عنه بعبارة (هروب الشباب) وهي عبارة توحي بتحسر الشاعر على حاله، فقد قضى أيام الصبا لاهيا، فمرت الأيام دون أن يشعر بها، وهو الآن كالمريض الذي عوفي، فتذكر ما أخذه المشيب منه، فما كان من شدة ألمه وحزنه على شبابه إلاّ أن غرق في دموعه التي ذرفها في صمت عميق.

ونتيجة الآلام النفسية التي يعاني منها الشاعر بظهور الشيب، لم يعد يرى جميلاً في الدنيا حتى وصل به الحال إلى فقدان الرغبة في قول الغزل حيث يقول:

بل كيف يحسن بي التقريظ والغزلُ وشيب رأسي على الفودين مشتعل؟[3]

---

(1) عبد الوهاب، شكري، **الإضاءة المسرحية**، ص144.
(2) **الديوان**، 3/1479-1480. وينظر 112/1، 350/1.
(3) **نفسه**، 3/ 1725.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمعاناة الشاعر النفسية التي تركها الشيب قد جعلته يرى أن قول التقـريظ والغـزل لـم يعودا لائقين به، وهكذا يكون الشيب رادعا للشاعر في هذا الأمر، مما جعل اللون الأبيض يشكل حاجزاً نفسياً عند الشاعر منعه من ممارسة أمور اعتاد عليها، وهي حالة نفسية أخـرى يظهـر فيها الشاعر استسلامه للشيب.

ومما تحدث فيه الشاعر عن أثر الشيب في نفسه، أبيات تقطر حزناً وألماً لزوال الشـباب واحتكام المشيب:

فـــإنْ ســـتٌّ وســـتون اســـتقلت ... فـــلا كـــرَّت برجعَتهـــا الخطـــوبُ

لقـــد ســـرَّ الأعـــادي فـــيَّ أنِّـــي ... "بـــرأس العـــين" محـــزونٌ كئيـــبُ

وأنِّـــي اليـــومَ عـــن وطنـــي شـــريدٌ ... بـــلا جُـــرم ومـــن مـــالي حريـــبُ

تعاظمـــتْ الحـــوادثُ حـــولَ حَظـــي ... وشُـــبَّتْ دُونَ بغْيَتـــي الحـــروبُ

علـــى حـــين اســـتتم الـــوَهنُ عظمـــي ... وأُعْطِـــيَ فـــيَّ مـــا احـــتكم المشـــيبُ[1]

تشير الأبيات السابقة إلى الألم النفسي والمرارة التي يحياها الشاعر لمضي ست وسـتين سنة من عمره، فهو يعبر عن حزنه و كآبته، ومما عمق هذا الشـعور لديـه شـماتة الأعـداء، وبخاصة أنه أصبح بعيداً عن وطنه، وماله مسلوب، وأكثر ما يؤلم الشـاعر الـوهن والضـعف اللذان صار إليهما، واحتكام الشيب في رأسه وسطوته عليه، من هنا كان اللون الأبيض عـاملا من عوامل انهدام الأمل في نفس الشاعر، وتغلغل اليأس في أعماقه حتى أوهنه الضـعف وسـلم نفسه للكآبة والحزن.

وقد كان ظهور الشيب سبباً في صدود الفتيات عن الشاعر، وتولي زمن العشق والهوى، مما كان له الأثر السلبي في نفسه إذ يقول:

---

[1] **الديوان**، 258/1. حريب: مسلوب المال. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حرب).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصـــدُّ عنـــي الحســـناء مبعـــدة إذ أنـــا لا قُرْبُـــهُ ولا صـــدَدَهْ

شـــيبٌ علـــى المفـــرقين بارضُـــه يكثُرُنـــي أن أُبيّنُـــهُ عـــدَدَهْ

تطلـــب عنـــدي الشـــباب ظالمـــةً بعيـــد خمســـينَ حيـــثُ لا تجِـــدُهْ[1]

فالحسناء تصدُّ عن الشاعر وتبتعد عنه؛ لأن البياض قد غزا مفرقيه، ويوضح الشاعر أن مراد الحسناوات هو الشباب، إلا أن الشاعر لم يعد يمتلكه فقد جاوز الخمسين والشيب بدا يظهر في مفارقه، وهو إشارة إلى بداية الشيخوخة والتقدم في العمر، وهكذا وقف الشيب حائلا بين الشاعر والحسناوات تاركاً أثراً في نفسه؛ إذ شعر بالضعف والوهن وأنه ليس مرغوباً فيه لأنه فقد أبهى عناصر الجمال المتمثلة في الشباب.

وفي مواضع أخرى يترك أبيض الشيب في نفس الشاعر أثرا يظهر فيه اتزان الشاعر وارعوائه ومن ذلك قوله:

اليـوم حـولني المشـيب إلـى النُّهـى وَذَلْلـتُ للعـذَّالِ بعـد شِـمَاس[2]

فظهور الشيب قد حول الشاعر إلى العقلانية والاتزان، إذ كان له أثر كبير في نفس الشاعر جعله يدرك أن مرحلة المشيب تفرض على الإنسان أن يكون متزناً، وهكذا يغدو اللون الأبيض باعثاً نفسياً يوحي بالاطمئنان والوقار.

وفي أحيان أخرى يظهر الشاعر محاولته في التغلب على اليأس والإحباط اللذين يشعر بهما لوجود الشيب، فهو رغم ظهور الشيب ما زالت نفسه تتوق إلى الصبا واللهو، وفي ذلك يقول:

قالـت: الشـيبُ بَـدا: قلـت: أجـل سـبقَ الوقـتَ ضِـرَاراً وعجـل

---

(1) **الديوان**، 736/2. وينظر: 108/1، 1296/2، 1399/3، 2121/4. البارض: أول ما يطلع من النبات وهو غض، ينظر: **لسان العرب**، مادة (برض)،

(2) **نفسه**، 1135/2. وينظر: 123/1، 342/1. شماس: الامتناع والإباء. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شمس).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومـــــع الشـــــيب علـــــى علاَّتِـــــه مهلـــــةٌ للهـــــو حينـــــاً والغـــــزل[1]

وهنا رغم أن المحبوبة قد أشارت إلى مشيب الشاعر، وأنها عدت ذلك نقصاً، فإنه يفخر بهذا الشيب الذي ظهر مبكراً، وأنه لم يكن حائلا بينه وبين اللهو والتصابي، وبهذا يظهر الشاعر لا مبالاته تجاه الشيب، فهو قادر على مواصلة حياته اللاهية، وهنا كان أثـرٌ معـاكس لأبـيض الشيب في نفس الشاعر فلم يعد يشعره باليأس والإحباط والشعور بدنو الأجل، بـل كـان مبعثـاً للأمل، والتواصل في حياته اللاهية، وأخذ نصيبه منها.

وفي دفاعه عن الشيب يقول:

بكَـــرَتْ تعيِّرنـــي "تَـــوَار" سَـــفاهةَ وضَـــحَ المفـــارق وابيضـــاضَ المِسْـــحَل
ويْكـــم بيـــاضُ الصُّـــبحِ أحســـنُ منظـــراً فـــي العـــينِ مـــن ظلمـــاءِ ليـــلٍ أليـــلِ
وهـــل اســـودَادُ العلـــوِّ يَكْمُـــلُ حســـنُهُ فـــي الطَّـــرْف إلاَّ بابيضـــاضِ الأسْـــفَل
والصـــارمُ المصـــقولُ أحســـنُ حالـــةً يـــومَ الـــوَغَى مـــن صَـــارمٍ لـــم يُصْـــقلِ
والشمسُ لولا ضَـــوْؤُها مـــا استحْسِـــنَت والبـــدرُ لـــولا نـــورُه لـــم يَجْمُـــلِ[2]

وهي أبيات تعكس رؤية نفسية مخالفة لما يتركه الشيب من أثر نفسي سلبي عند الشاعر، فهو يفخر ويعتز به، ويرد على "نوار" التي عيرته بالشيب برسم صورة جميلة للشـيب تعكـس مشاعره، فهو يقارنه ببياض الصبح ثم بالسيف المصقول في المعركة إذ هـو شـديد اللمعـان، وكذلك بضوء الشمس، ثم بالبدر، وكلها مقارنات استحضرها الشاعر ليحبب نفسه إلـى نـوار، ويقنعها أن الشيب ليس عاراً، إنما هو مصدر فخر لأنه يشكل صـورة مـن الجمـال والحسـن والوقار.

---

(1) **الديوان**، 1715/3.
(2) **نفسه**، 1681/3. "نوار": محبوبته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللون و المرأة المحبوبة

كان للألوان في ذكر المرأة المحبوبة دور في إظهار صفات هذه المحبوبة، وبيان أثر ذلك في نفس البحتري، وأول هذه الصفات اللون الأبيض للمحبوبة الذي يعكس صفة الطهارة والنقاء، إضافة إلى الحسن والجمال والإشراق إذ يقول:

ما يستفيقَ ددٌ لقلبك من دَدِ يعتادُ ذكراها طوال المسند
بيضاء إن تُعْلِلْ بَلحْظٍ لا تَهبْ بُرْءاً، وإن تقتل بِدلٍّ لا تَدِ[1]

فالمعشوقة بيضاء البشرة، لحاظها شديدة الوقع على المحب، إذ من الصعب شفاء من يصاب بها، وقد يتعدى تأثير هذه النظرات المرض إلى القتل دون أن تدفع دية لمقتولها، وهكذا كان اللون الأبيض للمحبوبة ولحاظها سبباً في تعلق الشاعر ووقوعه في الحب، وبخاصة أن بياض المحبوبة سمة من سمات جمال المرأة التي تجعلها محببة إلى النفس؛ إذ يمنحها جاذبية يكون لها تأثير في نفس المقابل.

والوقوع في هوى تلك البيضاء هو طريق الألم والعذاب إذ يقول:

أين تلك الظِّباء أصْبَحْنَ في الحسـ نِ بدوراً، وفي البعادِ نجوما
قد وجدن السلو بردا وسلاما إذ وجدنا الهوى عذابا أليما[2]

فقد كان للون الأبيض أثر سلبي في نفس الشاعر تمثل في الألم والعذاب الذي يعانيه في بعد الغواني، اللواتي وصفهن بالظباء، بينما هن يشعرن بالنشوة والسعادة في هذا البعد لأنه يشكل عذابا للمحب ويجدن متعة في تعذيبه وتشويقه.

ولإبراز أثر العشق في نفس الشاعر، فإنه يستخدم اللون الأسود ليبين أنه مصاب بالعشق في الصميم إذ يقول:

---

(1) **الديوان**، 689/2.

(2) **نفسه**، 2057/4. دد: الأولى معناها اللهو واللعب. والثانية: اسم امرأة. **حاشية الديوان**: 2057/4. المسند: الدهر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سند).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورَمَت سوادَ القلــب حــينَ رنَــت علــى عَجَــل فأصْــمَتْه بطــرفٍ أَصْــيَد[1]

فقد استطاع الشاعر باستخدامه عبارة (سواد القلب) أن يكشف عما تركه الحب في نفسه، فهو مصاب بالهوى حتى الصميم، إذ كان لنظرات المحبوبة الأثر الأكبر في وصوله إلى مرحلة العشق والغرام، فجاء اللون الأسود بما يحمل من معاني القسوة ليكشف عن مكامن نفس الشاعر التي أصماها سهم الحب.

ومن صفات المحبوبة التي تثير الهوى في نفس الشاعر الخدود الموردة، التي لهــا أثــر كبير في استمتاع الشاعر وهيامه، وفي ذلك يقول:

أربُ الــنَّفْسِ كلُّــه، ومتــاعُ الــ ــعينِ، فــي خَــدِّه وفــي توريــدِه[2]

فالشاعر بكل مشاعره ووجدانه متعلق بالمحبوبة، وإنما تتأتى متعته في رؤية خدها الــذي شكل مصدر جاذبية للمحب، للون الأحمر لما لهذا اللون من ارتباط بدوال الخصــوبة الجنســية، وقد زاد جمال هذه الخدود العيون الحوراء التي كان لها الأثر في نفس الشاعر إذ يقول:

هــواكِ ألــجَّ فــي عَينــي قَــذَاها وخَلِّــى الشــيبَ يلعــب فــي عــذاري
بمــا فــي وجنتيــك مــن أحمــرار ومــا فــي مقلتيــك مــن احــورار[3]

وهنا يبرز الشاعر الأثر النفسي للخدود المحمرة والعيون الحوراء، فقد كانت طريقاً منع الشاعر النوم لشدة تعلقه بها، كما أدى إلى ظهور الشيب، مما يشير إلى طــول تفكيــر الشــاعر وأرقه، وعليه فإن اللون الأحمر للخدود واحورار العيون كان له وقع قوي في نفس الشــاعر إذ تعلقت نفسه بالهوى مما جعل هذه الألوان تشكل بعداً نفسياً عند الشاعر أوقعه في معاناة الهــوى والحب.

---

(1) **الديوان**، 545/1.
(2) **نفسه**، 597/1. وينظر: 457/1، 523/1، 528/1، 852/711،2/2، 906/2. 1831/3.
(3) **نفسه**، 935/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوريد الخدود هذا إنما كان له أثر أعمق في نفس الشاعر إذ يقول:

سِـــحْرُ العيـــونِ النُّجـــلِ مســـتهلكُ لُبِّـــي، وتوريـــدُ الخـــدودِ المـــلاحْ[1]

ومرة أخرى يربط بين العيون الواسعة والخدود الموردة التي عدها الشاعر سمة جمـال وجاذبية في المحبوبة، ولعل الخدود الموردة من أجمل صفات المحبوبة التـي تأسـر العقـول، واللون الأحمر هنا يشكل لون إثارة جنسية لجذب المحب وهيامه بالمحبوبة حتى الجنون.

ويتوسع الشاعر في ذكر أوصاف المحبوبة مستخدما مزيجاً من الألوان ليظهرها في أبهى صور الحسن فيقول:

وهـــو فـــي حِلْيَـــةِ الشَّـــباب يُضَـــاهي جِـــدَّة الـــروضِ مشـــرقاً نُـــوَّارهْ
صِـــبْغُ خَـــد يكـــادُ يَـــدْمى أحمِـــرَارا وردُهُ فـــي العُيُـــونِ أو جُلَّنَـــارهْ
وفتـــور مـــن طـــرف أحـــوى إذا صـــ رفـــه أعنَـــتَ القلـــوبَ احـــورارُهْ[2]

فقد كان لجمال المحبوبة الأثر الأعمق في نفس الشاعر، وقد استطاع باستخدام الألـوان أن يبين هذه الصفات في بوتقة جميلة، فالمحبوبة المفعمة بحيوية الشباب مشرقة كالروض الـذي أزهر نواره، ثم يأتي باللون الأحمر للخدود الذي يوحي بالإثارة الجنسية، جامعاً إلى ذلك فتـوراً في النظرات، مما يبين ما لذلك من أثر عميق في نفس الشاعر فهو مضنى بهذا الجمال.

وهذا الجمال الساحر الذي يراه الشاعر في الفتيات المحبوبات قد أثار الغيظ في نفسـه لإخـلاف وعودهن:

أجِـــدَّ الغـــواني لا تـــزالُ تكيـــدُنا بـــإخْلاَفِ وَعْـــدٍ أو بـــنجحِ وَعيـــد
رمـــين فـــأدمين القلـــوبَ بـــأَعْيُنٍ دَوَاعٍ إلـــى حُكْـــمِ الهَـــوى وخُـــدود[3]

---

[1] **الديوان**، 436/1. وينظر: 457/1، 806/3.
[2] **نفسه**، 906/2.
[3] **نفسه**، 778/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإن سبب الكيد والغيظ اللذين يعتملان نفس الشاعر إخلاف الفتيات الجميلات وعودهن بلقاء المحب بعد تعلقه بهن، ويأتي اللون الأحمر "أدمين القلوب" لإبراز الأثر الذي تركه الهوى في نفس الشاعر، سيلان دماء القلب يحمل في طياته معنى القتل، والقتل المقصود هنا هو قتل العشق، أما أداة القتل فقد كانت العيون الجميلة، والخدود المحمرة، وإن لم يذكر اللون، لأنه كما سبق تبين أن جمال الخدود يكون في توردها وهذا يشير إلى أن نفس الشاعر ترزح تحت وطأة الحب وتعاني الألم والحسرة لعدم لقاء المحبوبة.

وامتناع المحبوبة وصدودها جعل نفس الشاعر تفيض حزناً وألماً، ونار الحب تشتعل في نفسه إذ يقول:

وفي كبدي نارُ اشتياقٍ كأنها إذا أضْرِمَتْ للبعدِ نارُ حريقِ[1]

فاللون الأحمر يسيطر على البيت (نار، أضرمت، نار حريق) مما يشير إلى أن نفس الشاعر تتأجج شوقاً، فاللوعة والحرقة اللتان تعتملان نفسه صارتا ناراً تحرق "كبده" وإنما جاءت كلمة (كبد) لتكشف عن عمق معاناة الشاعر؛ وذلك لأهمية الكبد في جسم الإنسان فمن أصيب كبده فقد أصيب جسمه كاملاً، وبتكثيف اللون الأحمر فقد أبان عن نفس مشحونة بالعواطف الملتهبة، وإحساس مثقل بالشوق وآلام الفراق. ولإخماد هذه النار فإن الدموع هي سبيل الشاعر لذلك، إذ يقول:

عَلَّ ماءَ الدَّموعِ يُخْمِدُ ناراً من جوى الحبِّ أو يَبُلُّ عليلاً[2]

فالحال التي بلغها الشاعر هي حال العاشق الهائم الذي لا يجد ما يطفئ نار الحب إلا الدموع، فكلمة (نار) بما تحمل من معاني الحرارة والاحتراق تنم عن عواطف متأججة وثائرة خلفها عذاب الحب في نفس الشاعر.

---

(1) **الديوان**، 3/ 1516. وينظر: 870/2، 946/2، 3/ 1610، 1767/3.
(2) **نفسه**، 3/ 1767.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الطرق التي يلجأ إليها الشاعر لإخماد هذه النار طيف المحبوبة، وفي ذلك يقول:

أمـــا الخَيَـــالُ فإنّـــه لـــم يَطْـــرُق إلا بعقـــب تَشـــوّفٍ وتشـــوُّق

قـــد زارَ مـــن بُعْـــدٍ فبـــرَّدَ مـــن حشـــا ضَـــرِم، وســـكَّنَ مـــن فـــؤاد مُقْلَـــق[1]

فخيال المحبوبة الذي زار الشاعر بعد طول انتظار كان سبباً في إطفاء النار المتأججة في صدره وفؤاده، كما خفف من شدة الإثارة العاطفية التي يظهرها اللون الأحمر في عبارة (حشا ضرم).

اللَّون والليل

ترك الليل بدلالاته المختلفة أثرا في نفس الشاعر، فمن ليل العاشق إلى ليل الأهوال والمخاوف، وقد ارتبط الليل في تجربة البحتري العاشق بأحوال نفسه، فهو يجده قصيراً عند وصال الحبيب، وفي ذلك يقول:

ليـــلُ تقَضَّـــى ومـــا أدركـــتُ مَـــأْرُبَتي مـــن اللِّقـــاءِ ولا قضـــيتُ أوطـــاري[2]

فالشاعر مشفق لزوال الليل، وذلك أنه لم ينل مطلبه من لقائه فقد غدا الليل قصيراً، وتولد الشعور بقصر الليل للمتعة والنشوة اللتين شعر بهما بالقرب من المحبوبة، وبذلك أصبح الليل محبباً إلى نفس الشاعر لما منحه له من أسباب الاستمتاع واللذة التي تصل إلى حد التنعم، إذ يقول:

فكـــم ليلـــةٍ قـــد بتُّهـــا ثـــمَّ ناعمـــاً بعينَي عَلَيـــلِ الطَّـــرْفِ بـــيضٍ ترائبُـــه[3]

فقد عاش الشاعر ليالي كثيرة متنعماً في وصال المحبوبة، وإنما أتاح له سواد الليل ذلك، لأن عيون الحساد بعيدة، فمنحه فرصة لمطارحة العشق وتبادله والغبّ من نعيمه، ومن هنا فإن اللون الأسود كان ستاراً وفرَّ الأمان والاطمئنان للشاعر مما جعله يأخذ نصيباً وافراً من أسباب اللذة والمتعة، ولكن هذا الشعور ينقلب في حال انقطع الوصال إذ يقول:

---

(1) **الديوان**، 1479/3.
(2) **نفسه**، 858/2. وينظر 214/1، 1461/3.
(3) **نفسه**، 214/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَحــل الحبيــبُ فطــال ليــلٌ لــم يكــن لقصــــيرهِ بعــــدَ الرحيــــل مَقَــــام
أيــنَ التــي كانَــت لــواحظُ طرفِهــا يَصْــبو إلَيْهَــا القَلْــبُ وهــي سِــهَام[1]

فرحيل المحبوبة وبعدها عن الشاعر قد جعل الليل طويلاً "مما يستجلب الهمــوم وينفــي عن النفس استسلامها للنوم"[2]، وبعد أن كان مفعماً باللذة فكان قصيراً، وأصــبح يمثــل المــلاذ والمتنفس ليستغرق الشاعر في همومه، ويبث تباريح ألم البين والفراق وفي ذلك يقول:

أَبَــــى اللَّيْــــلُ إلاّ أنْ يَعــــودَ بطولِــــه عَلــــى عاشــــق نَــــزرِ المنَــــام قليلــــه
إذا مــــا نهــــاه العــــاذلون تَتَابَعَــــتْ لــــه أدمــــع لا تَرْعَــــوى لَعذُولِــــه[3]

ويعمق مأساة الشاعر وشعوره بالألم عودة الليل بطوله، إذ يلقي بظلاله الثقيلة على نفس الشاعر، الذي بات نومه قليلاً لطول شوقه ولوعته لبعد المحبوبة عنه، والعودة تــوحي "بتتــابع الهموم وتزاحمها عليه ودوامها على هذا الحال"[4]، حتى إنّه يجد أن ذرف الدموع ملجــؤه فــي حال نهاه العاذلون عن السهر، وبث مشاعر الألم واللوعة التي يشعر بها، ولهذا كله فإن ســواد الليل يزداد سواداً في نفس الشاعر لما تلقاه من العذاب والشقاء في حبه، ولكن هذه الظلمة تزول وتنقلب الحال عند زيارة طيف المحبوبة فيقول:

ليــــلٌ "بــــذات الطلــــح" أَسْــــدَافَاتُهُ أشــهى إلــى المشــتاق مــن أســحاره
ومــن أجــلِ طيفــكَ عــاد مظلــمُ ليلِــهِ أحْظَــى لديــهِ مــن مضــيءِ نَهَــارِه[5]

فظلمات الليل بدت أكثر متعة للمشتاق من وقت السحر، وقد تولدت هذه المتعــة لزيــارة طيف المحبوبة وزيارة الطيف "وصل من قاطع، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وبذل مــن ضنين، وجود من بخيل"[6] وبهذا وفر الليل للشاعر العيش مع الطيف بحيث يغرق فــي أحلامــه

---

(1) **الديوان**، 2111/4.
(2) ملحم، إبراهيم أحمد ذيب، **الحب والموت في شعر بشار بن برد**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1990م، ص38.
(3) **الديوان**، 3/ 1633.
(4) إبراهيم، نوال مصطفى أحمد، **الليل في الشعر الجاهلي**، ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1997م، ص92.
(5) **الديوان**، 867/2. ذات الطلح: وهي (طلح) موضع بين المدينة وبدر، وموضع بين اليمامة ومكة. ينظر: **الديوان**، 867/2. أسدافاته: ظلماته. ينظر: **لسان العرب**، مادة (سدف).
(6) المرتضي، الشريف، **طيف الخيال**، ص5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهانئة بلقاء المحبوبة، ويستمتع بطيفها وبهذا يحظى الليل بمكانة في نفس الشاعر تفوق مكانة النهار، فهو بزيارة الطيف ليلاً يجد المتعة واللذة، ومتنفساً عن آلامه وعذابه مما يشعره بالارتياح والطمأنينة، ومرة أخرى يتحول سواد الليل كباعث للاطمئنان والراحة النفسية، ومن ذلك أيضاً يقول:

ليل بذي الطَّلحِ لم تثقلْ أواخره أهوى لقلبي من ليلٍ بعسفانا[1]

وبهذا يكون طول ليل العاشق أو قصره، يتوقف على الحالة النفسية التي يحياها الشاعر، فهو يبدو قصيراً في حال الوصال، طويلاً في حال الهجران، وممتعاً مفعماً بالنشوة في حال زيارة طيف المحبوب، وعليه فإن "تباطؤ حركة الزمن في ليل العاشق أو سرعتها يظل محكوماً بأحوال النفس وإحساسها الذاتي بالحركة"[2].

ولليل تأثير مغاير في نفس الشاعر عندما يفخر بنفسه، فيذكر سواد الليل وأهواله ليكشف عن نفس قوية وذات همة، وفي ذلك يقول:

يا ابنةَ الدَّهرِ! هل رأيت كمثلي عندَ دفعِ المُنَى ونفي الشُّكوك
أركبُ المهمه المّهُولَ بِعَزْمٍ وثيابي ظَلامَةُ الحلْكُوك
وأشقُّ الجيوبَ من خلعِ اللَّيْـ لِ بكفٍّ من الزَّماع بتوك[3]

فالشاعر في معرض فخره بنفسه، وتعظيم ذاته يأتي بالكلمات الدالة على المشقة وتحدي الصعاب والمصائب، ثم يأتي بالألفاظ الدالة على السواد (ظلامة، حلكوك، الليل) لتوحي مجتمعة بالمخاطر والأهوال التي يواجهها، ليبرز نفسه بالشجاع الجريء، "وإن كان وصفه للمخاطر يخفي بداخله عنصر الخوف الذي يتمثل بالليل وعناصره"[4]، فيجيء فخره بنفسه من باب

---

(1) **الديوان**، 2149/4.
(2) إبراهيم، نوال مصطفى احمد، **الليل في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1997، ص90.
(3) **الديوان**، 1591/3. بتوك: قاطع. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بتك).
(4) إبراهيم، نوال مصطفى احمد، **الليل في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1997، ص111.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"محاولة إثبات الذات والتصدي للواقع"[1]، فقد انطوت نفسه على الخوف ومع ذلك أظهر شجاعة وقوة في مواجهة الرعب والهول الذي ينشأ عـن ظلمة الليل حتى غـدا الليل مطية يركبها، إذ يقول:

أركـبُ الليـلَ فـي زُهـا هائـلِ الليـ ... ـل ورأدُ الضُّـحَى لوقـتِ الـدُّلوك[2]

فالشاعر يظهر قوة في نفسه، وشجاعة جعلته قادراً على السرى ليلاً دون خوف أو قلق، وعلى شق الظلمة وتخطيها، وهذه القدرة منحته ثقة بنفسه ولَّدها لون الليل الأسود.

وفي أحيان أخرى يلقي الليل بثقله على الشاعر فيغدو بائساً متألماً إذ يقول:

مـالي وللأيَّـامِ صَـرَّف صـرفُها ... حـالي، وأَثَّـرَ فـي الـبلاد تقلبـي
أُمْسِـي زمـيلاً للظَّـلام، وأغتـدي ... رِدْفـاً علـى كِفْـل الصَّـباح الأشـهبِ[3]

فمزاملته الليلَ تعكس حالة من اليأس والملل يحياها الشاعر، فقد غيـر الـدهر أحوالـه، وكثر تقلبه في البلاد مما ولد شعوراً بالضجر في نفسه، وذكره الظلام يتناسب وحالتـه النفسـية التي يحياها، وفي موضع آخر يذكر سأمه من الترحال ويربط ذلك بسواد الليل، وفي ذلك يقول:

كـم تنـدمتُ للفـراق! وكـم أز ... معـتُ بينـا، فمـا حمـدتُ زمـاعي
آن أن أسـأمَ اجتيـابي الفَيَـافي ... وارتـدائي مـن الـدُّجى وادِّراعـي[4]

فالشاعر يحيا حالة من الإحباط والقنوط لفراق المحبوبة، مما جعله يسأم رحيله وقطعـه المفازات ليلاً، -وفي ذلك إشارة مبطنة إلى شجاعته- وذلك لأنه يرغب في البقاء بـالقرب مـن المحبوبة ويجد فيه متعة تفوق متعة الفخر بقطع المفازات ليلاً.

كما عكس ذكره لليل شعوره الناقم على مهجوه إذ يقول:

هُـو الظـلامُ فـلا صُـبحٌ ولا شَـفَقُ ... هل يطلق الليـلُ مـن طرفـي فـأنطلقُ؟
يستنشـد الضـيفَ والظلمـاءُ حالكـة ... وقـد تعلَّـمَ مـن أخلاقـه الأفـق[5]

---

[1] عوض، ريتا، **بنية القصيدة الجاهلية**، ص266.
[2] **الديوان**، 1592/3.
[3] **نفسه**، 79/1.
[4] **نفسه**، 1243/2.
[5] **نفسه**، 1469/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي قوله السابق، يتبين اللون الأسود في نفسية الشاعر المتمثلة في كرهه الشديد ونقمته على المهجو، فقد جعله ظلاماً، وليزيد من قباحته كثف استخدامه للون الأسود بتعبيرات دالة عليه (الظلام، الليل، الظلماء، حالكة) مما يشير إلى بغض دفين تحمله نفس الشاعر نحو مهجوه، فذكر الليل وظلمته ليسقط صفات بشعة عليه تحط من قدره.

اللون والحياة الهانئة

عبر البحتري عن عيشه الهانئ باستخدام اللون الأخضر، ولهذا اللون تأثير على النفس، فهو يبعث الراحة والسعادة والاطمئنان، وقد وظفه البحتري ليعبر عن مشاعر الفرحة والسعادة التي عاشها وقت الرخاء، وبخاصة في ظل ممدوحيه، ومنه قوله:

أيامُكم هي أيامي التي عَدَلَتْ ... ميلي، ودولتُكم حَظِّي من الدُّول
أقمتُ في سَيْبِكم في يانعٍ خَضِرٍ ... وسرتُ من جاهكم في وابلٍ خَضِلِ[1]

فنفس الشاعر تفيض سعادة وسروراً لما لقيه في ظل ممدوحه من نعيم ورخاء، وقد عكس اللون الأخضر هذه المشاعر لما له من خاصية قادرة على التغلغل في النفس، ومنحها الشعور بالارتياح والنشوة، كما يتأتى العيش الكريم والهانيء بالمعاشرة الطيبة إذ يقول:

وأخٍ لبستُ العيشَ أخضرَ ناضراً ... بكريمِ عِشرته وفضلِ إخائه[2]

فاللون الأخضر مبعث الشعور بالراحة، وقد تولد هنا نتيجة العشرة الطيبة للممدوح وفضله، مما زاد العيش جمالاً في نظر الشاعر، فاطمأنت نفسه وهدأت وعاش هانئاً، وأما أيامه الأكثر هناء فقد كانت في ظل المتوكل إذ يقول:

فكأنما الدنيا هنالك روضةٌ ... راحت جوانِبُها تُراح وتوبلُ
أو ما ترى حسنَ الربيعِ وما بدا ... وأعاد في أيَّامه المتوكِّلُ

---

(1) **الديوان**، 1872/3.
(2) **نفسه**، 24/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشْــرَقْنَ حتـــى كـــادَ يقتـــبسُ الـــدُّجَى ورَطُـــبْنَ حتـــى كـــادَ يجـــري الجَنْـــدلُ

مِن بعـد مَـا اسـودَّ الزمـانُ المنتَضَـى فينـا، وجـفَّ لنـا الثَّـرى المتبلِّـلُ[1]

تعكس هذه الأبيات بما فيها من ألوان فرحة الشاعر وسعادته في ظل الخليفة المتوكل، فقد بدت الدنيا روضة ملئت بكل ما يسر ويطيب النفس، أما أيامه فهي (ربيع)، ولا يخفى ما تتضمنه هذه الكلمة من ألوان زاهية جميلة تبعث الارتياح والسعادة في النفس، وهذا الحسن والجمال جاءا بعد اسوداد من الزمان، وإنما ذكر السواد لما يحمله من معاني الشدة وضيق الحال ليظهر في المقابل أنه يحيا في رخاء وهناء، وأن سعادته تفوق كل سعادة.

ومن ذلك قوله أيضاً:

أمـــا تـــرى الأرضَ، وأثوابُهـــا شـــقائقُ النعمـــانِ والأقُحُـــوَان

وهـــذه الأيَّـــامُ قـــدْ أُبْـــدِلَت فهـــي ظِـــرَافٌ ناضـــراتٌ حســـان[2]

كما كان للألوان دور في الكشف عن نفسية البحتري في مواضع أخرى، من ذلك ما يظهر من أثر وقعه مقتل المتوكل في نفسه إذ يقول:

صـــريعٌ تقاضـــاه الســـيوفُ حُشَاشـــةً يجـــودُ بهـــا والمـــوتُ حُمْـــرٌ أظـــافرُهْ

أدافـــعُ عنْـــه باليـــدين، ولـــم يكـــنْ لِيَثْنـــي الأعـــادي أعـــزلُ اللَّيـــل حاســـرُهْ

ولو كان سيفي ســـاعةَ القتـــل فـــي يـــدي دَرى القاتـــلُ العَجْـــلانُ كيـــفَ أســـاورُهْ

حَـــرامٌ علـــيَّ الـــراحُ بعـــدكَ أو أرى دمـــاً بـــدمٍ يجـــري علـــى الأرض مـــائرُهْ

وهـــل أرتَجـــي أن يَطلُـــبَ الـــدَّمَ واتـــرٌ يَد الـــدّهرِ، والموتـــورُ بالـــدَّمِ واتـــرُهْ[3]

يشير الشاعر في الأبيات السابقة إلى حادثة مقتل المتوكل التي شهدها بأم عينه، "وكاد أن يكون واحداً من ضحاياها"[4]، ولا تخفي الأبيات الحسرة والألم اللذين اعتملا نفسه في هذه

---

(1) **الديوان**، 3/1755- 1756.
(2) **نفسه**، 4/2236.
(3) **نفسه**، 2/1048.
(4) بدوي، أحمد أحمد، **البحتري**، ص68.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحادثة التي عدها فاجعة ألمت به، كما يظهر الشاعر عميق أسفه لقلة حيلته في الدفاع عن المتوكل، فقد حرّم الشراب على نفسه حتى يثأر للمتوكل، ولكن الغصة تستوطن نفسه لاشتراك المنتصر ابن المتوكل في حادثة الاغتيال فكيف يثأر هذا لوالده وهو القاتل.

وقد جاءت الألوان مساندة للألفاظ لتوضح ألم الشاعر وحسرته، واستقباحه هذا العمل، فعبارة (الموت حمر أظافره) تكشف عن مدى اشمئزاز الشاعر واستقباحه لهذه الفعلة، ثم تأتي كلمة (دم) في البيت الرابع لتنم عن نفس عازمة على الأخذ بالثأر والانتقام، وأن دم المتوكل لا يقابله إلا الدم، أما استخدامه كلمة (الدم) في البيت الأخير مكررة، فيشير إلى شفافية إحساسه واستبشاعه ما جرى، إذ يرى "أن في ذلك انهيار القيم الروحية العليا وإحلال المنافع الذاتية محلها"[1]، ومن هنا كان اللون الأحمر الذي توحي به كلمتا (الموت، الدم) المكررتان قد أجج مشاعر مختلطة عند الشاعر من استفجاع لمقتل المتوكل، إلى الحسرة والألم اللذين خلفتهما هذه الحادثة، إلى مشاعر الانتقام والأخذ بالثأر، وهكذا "فإن سيطرة اللون الأحمر في الأبيات قد حمل صورة العذاب ومكمنه في نفس الشاعر"[2].

وفي موضع آخر يشير إلى وقعة مقتل يوسف بن محمد، ويستخدم اللون الأحمر للموت ليكشف عن تأثره العميق بهذه الحادثة إذ يقول:

وإلا لقيـــتُ المـــوتَ أحمـــر دونـــه كما كان يلقـــى الـــدهرَ أغبـــر دونـــي[3]

والبيت يشير إلى أسف الشاعر، كما يظهر ندامة شديدة، وهذه المشاعر جسدها اللون الأحمر في عبارة (الموت أحمر).

---

(1) الرباعي، عبد القادر، **جماليات المعنى الشعري "التشكيل والتأويل"**، ص52.
(2) جواد، فاتن عبد الجبار، **اللون لعبة سيمائية**، ص138.
(3) **الديوان**، 2183/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبدي الشاعر حسرة وألماً في رثاء والدة المتوكل، ومما قاله في ذلك:

غـــروبُ دمـــعٍ مـــن الأجفـــانِ تنهمـــلُ وحرقـــةٌ بغليـــلِ الحُـــزنِ تشـــتعلُ

ولـــيس يطفـــئُ نـــارَ الحـــزنِ إذ وَقَـــدَتْ علـــى الجـــوانحِ إلا الواكـــفُ الخَضِـــلُ[1]

فنفس الشاعر تنشطر حزناً لوفاة أم المتوكل، وقد ورد اللون الأحمر (نار، وقدت)، ليتناسب والموقف الشعوري الذي يحياه، فشدة الحزن هي كالنار المتقدة التي تحترق فلا يجد إلا الدمع يخفف ألمه وحزنه.

ثانياً: البعد الاجتماعي

لقد ضمن البحتري شعره أبعاداً اجتماعية كان للون ظهور في كثير منها، وقد برزت هذه الأبعاد في حديثه عن لون البشرة ولون العيون والخضاب والثأر والخمر والغراب.

اللون والبشرة

فضل العرب البشرة البيضاء على غيرها، وقد ارتبط ذلك عندهم بأن البشرة البيضاء هي بشرة علية القوم وسادتهم، بينما ارتبطت البشرة السوداء في أذهانهم بطبقة العبيد، ومن هنا فقد كانت المرأة البيضاء محببة إلى نفوسهم، مما جعلهم يصفون المحبوبة بأنها بيضاء لما يعكس ذلك من سمات الطهارة والنقاء، التي ولدها اللون الأبيض في أذهانهم، وهذا ما يظهر عند البحتري في وصف محبوبته إذ يقول:

بيضـــاءُ أوقـــدَ خـــدَّيها الصِـــبا، وسَـــقى أجفانَهـــا مـــن مـــدامِ الـــرَّاح ســـاقيها

فـــي حمـــرةِ الـــوَرْدِ شـــكل مـــن تَلَهُّبِهَـــا وللقضـــيب نصـــيب مـــن تثنيهـــا[2]

إذ يعزز النص فكرة حب العربي للمرأة البيضاء، فقد مثل اللون الأبيض سمة جمال وحسن فيها، مما عمق حبها في نفس الشاعر، وقد أشارت الأبيات إلى ظاهرة ارتباط المرأة بالخصوبة والجنس، عندما يضيف إلى بياضها أوصافا أخرى تتضح في (أوقد خديها الصبا) في

---

(1) **الديوان**، 1887/3.

(2) **نفسه**، 2409/4 – 2410.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(حمرة الورد تلهبها) إذ يشير إلى الخدود الحمراء، التي عرفت في المجتمع العربي أنها سمة جمال تزيد المرأة البيضاء حسناً مما يولد الرغبة فيها؛ ويعبر عن هذه الرغبة بقوله:

فيا شوْمَ جَدِّي كيفَ أَبكي تلهفاً على ما مَضى من وَصْلِ بيضَاء كاعبِ
رأَتْ رغبَتي فيها فأبدَتْ زَهَادَة ألا رُبَّ محرومٍ من الناسِ راغبِ[1]

ويتضح أن الشاعر متلهف لوصال محبوبته البيضاء، ويربط البياض هنا بصفة أخرى أحبها العرب وتعارفوا عليها وهي الطهارة والعفة، مما جعل لهذه المرأة منزلة رفيعة يكن لها المجتمع الاحترام والتقدير.

وارتبط اللون الأبيض للبشرة عنده بأن نسبه إلى قومه في باب الفخر، إذ جعلهم بيضاً وفي ذلك يقول:

فداءَ "التليديَّتين" نفسي، فإنهم تليدونَ في العَلياء بيضٌ، أفاضل[2]

وقد أشار باللون الأبيض إلى المكانة الاجتماعية الرفيعة التي احتلها قومه، ويربط الشاعر لون البشرة البيضاء للممدوح، بأفعاله العظيمة التي جعلها بيضاء لعظمتها من باب أنها مما يستحق أن يفخر به، فهو يقول في ممدوحه:

أبا الفضلِ إن يصبْح فعالك أزهرا فمن فضلِ وجهٍ في السَّماحة أزهرِ[3]

ويشير بذلك إلى عرف اجتماعي يتمثل في كون الممدوح سيداً في قومه فإن ذلك ينعكس على أفعاله، فيجعلها عظيمة مشرقة يعتز بها ويفتخر، والبياض الذي مثلته كلمة (أزهرا) هو من صفات البشرة التي أحبها العرب ورغبوا فيها، إذ تشير إلى بياض محمود تخالطه صفرة كلون التمر والدر[4]، وعليه فإن اختيار كلمة (أزهرا) يتناسب والغرض الذي يريده الشاعر وهو

---

(1) **الديوان**، 311/1.
(2) **نفسه**، 1869/3.
(3) **نفسه**، 891/2.
(4) ينظر، الثعالبي، **فقه اللغة**، 121.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإعلاء من شأن ممدوحه متمثلاً بذلك وجهة نظر المجتمع نحو بياض البشرة.

وارتبط اللون الأصفر للبشرة في المجتمع العربي بأنه لون العدو (الروم) فقد أطلق عليهم العرب (بني الأصفر)، وذلك للشقرة التي تميزوا بها، وقد أشار البحتري إلى ذلك بقوله:

ما بأرضِ "العراق" يا قومُ حرٌّ يفتديني مِنْ خدمةِ الأحرَار
هل جوادٌ بأبْيَضٍ من بَني الأصْـ فَر، ضخْمِ الجُدُودِ، محضِ النِّجَار؟[1]

وجاء القول السابق في غلام له، دأب على السرقات والفرار، وهو يطلب ممن يهبه غلاماً أن يكون من أصل عريق، وربط الشاعر بين اللونين الأبيض والأصفر مشيراً إلى أن الروم قد عرفوا ببشرتهم البيضاء ولذلك أطلق عليهم العرب بني الأصفر، وهو عرف اجتماعي كان سائدا بين العرب.

ويذكر البحتري اللون الأسود للبشرة من باب الكناية، وذلك في باب التقليل من شأن مهجوه، إذ يقول:

ويكْلَفُ الوجه منه حين يفقدها كأنَّه لاربِدَاد الوجهِ فحَّام[2]

ويذكر سواد البشرة في أبشع ما تعارف عليه العرب، إذ يقول هاجيا:

وكان ابنُ سوداءٍ كرهتُ خِلاَطَه؛ فَأَنْأَى رَوَاحٌ دارَهُ وبُكُورُ[3]

فقد نعت الشاعر مهجوه بقوله "ابن سوداء"، وقد عدَّت هذه العبارة "(سبة) بالغة عند العرب"[4]، وذلك أن من ارتبط ذكره بأم سوداء هو ابن أَمَة، وكانت نظرة المجتمع له أنه من أدنى طبقات المجتمع لارتباط سواد البشرة بلون العبيد، ولهذا نعت البحتري مهجوه بهذه الصفة تحقيرا له وتقليلا من شأنه.

---

(1) **الديوان**، 988/2.
(2) **نفسه**، 4/ 2136.
(3) **نفسه**، 2/ 898.
(4) متوج، سمران، **دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي**، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين بسوريا، 2004م، ص 161.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللون والعيون

أحب العرب العيون الحوراء وتغنوا بها، لما لها من دور فاعل في إبراز جمال المـرأة، كما تعارفوا على أن العيون الحوراء سمة جمال مميزة للمرأة، وهذا ما ذكره الشـعراء ورددوه في أشعارهم، والبحتري في غزله جعل محبوبته ذات عيون حوراء أخَّاذة يقول:

تَقَضَّـــي الصِّـــبا إلا خيـــالاً يعـــودنُي بـــه ذو دَلالٍ أحـــورُ الطَّـــرفِ فـــاتره[1]

فطيف المحبوبة ما زال يطرق خيال الشاعر، ويشير إلى سمة فيه جعلته يتعلق به ألا وهي الطرف الأحور الفاتر الذي يزيد المحبوبة جمالا، وتغنى البحتري بصفات محبوبته، وجمع إلـى صور العيون سمات أخرى إذ يقول:

مِنْ كـلِّ سـاجي الطَّـرْفِ أغيَـد أجيـد ومهفهـف الكشـحين أحـوى أحـور[2]

وجمال العيون وحورها معروف بتأثيره في القلوب، وأن هذا الجمال مـن أعلـى سـمات الجمال العربي وفي ذلك يقول:

وفتـور مـن طَـرْفِ أحـوى إذا صـرَّ فَـه أعنَـت القلـوبَ احـورارُه[3]

إذ يشير إلى عيون المحبوبة الحوراء، وما تتركه من تأثير في القلوب، مما يوضـح بعـدا اجتماعيا تمثل في أن العيون الحوراء ترتبط بالجمال والحسن، وتمثل أعلى صوره، كمـا أحـب العرب العيون المكحولة وهذا ما يذكره البحتري في قوله:

ولـرَّب جيـدٍ واضـحٍ زرنـا بهـا ومقبَّـلٍ عـذبٍ، وطَـرفٍ أكحـل[4]

وقوله:

وطـرفٌ سـاحرٌ غَـنْجٌ كحيـلٌ ووجـهٌ لـيسَ ينكَـرُ للضـياء[5]

---

(1) **الديوان**، 877/2.
(2) **نفسه**، 906/2.
(3) **نفسه**، 360/2.
(4) **نفسه**، 1800/3.
(5) **نفسه**، 45/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كان الكحل من أدوات الزينة التي تتخذها المرأة العربية، فيزيدها حسناً وجمالاً، مما يجعلها قريبة إلى قلب الرجل.

وفي المقابل، فقد نفر العرب من العيون الزرقاء، لارتباطها بلون عيون أعدائهم الروم، ولذلك عرف عنهم تشاؤمهم من كل أزرق العينين ويشير البحتري إلى ذلك بقوله:

أزرقُ العينِ ومِنْ إبداعِه أَن يُرى في أَعْينِ الحُمْرِ زَرَقُ[1]

والشاعر ينقص من قدر مهجوه بأن نعته بصاحب العيون الزرقاء، في إشارة إلى ارتباطها بالشؤم وكره العرب لهذا اللون في العيون، وعليه فقد اتخذ البحتري من هذه السمة عيباً يعير به مهجوه.

اللون والخضاب

يعد الخضاب بالحناء من أشهر أنواع الصبغ الذي عرفه العرب، والخضاب كل ما يخضب به من حناء ونحوه[2]، "وقد خضب العرب بالحناء للحمرة وبالزعفران للصفرة، وبالوسمة للسواد"[3].

وقد أعجب الشعراء العرب بمنظر الخضاب في أيدي النساء وأقدامهن وشعورهن فراقهم ذلك[4]، لما يوحي به من مظاهر الجمال، وهذا ما يظهره البحتري في بعض أشعاره، ولعل الخضاب في الكف من أجمل مظاهر الزينة التي اتخذتها النساء وأدركت ما يثيره خضابها في نفوس الرجال، وفي ذلك يقول:

رَفَعَتْ من السَّجفِ المنيفِ، وسلمت بأنامِلٍ فيهن درسُ خضاب

---

(1) **الديوان**، 3/ 1475.
(2) ينظر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خضب).
(3) الهدروس، محمد، **تجليات اللون في شعر شعراء المعلقات**، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2002م، ص 178.
(4) **نفسه**، 178.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعجّبَـــتْ مـــن لـــوعَتي فتبَسَّـــمتْ عن واضحاتٍ – لـــو لُـــثِمْنَ - عِـــذَاب[1]

فقد برز الخضاب في أصابع المحبوبة عند تسليمها، وهي عادة اجتماعية درجـت النسـاء عليها لما لها من إبراز مظاهر الجمال، وبخاصة إذا كان الخضاب أحمر زاهيـا، وقـد كانـت النساء تحاول لفت النظر بالحركة والتلويح، ويظهر ذلك في قوله:

لَـــوتْ بالسَّـــلام بنانـــاً خَضـــيباً ولحظـــاً يشـــوقُ الفـــؤادَ الطروبـــا[2]

فقد أشارت المحبوبة بإصبعها المخضب مما أثار شوق الشاعر وحبه، وفي ذلك إشـارة إلى زينة الخضاب التي عرفتها المرأة العربية في مجتمعها، واتخذت منها وسيلة للوصول إلـى قلب الرجل والإيقاع به، حتى إنَّه لا ينسى ذلك في لحظة الوداع وفي ذلك يقول:

بـــاتَ يَخْشَـــى علـــى البِعـــادِ اجتنـــابي شِقُّ نَفْـسٍ قـد كنـتُ أخشـىَ اجتنابَـهْ
صـــافحا عـــنْ خَفِـــيٍّ ذَنْـــب، وقـــد صـــا فحـــتُ فـــي ســـاعةِ الـــوداعِ خَضَـــابَهْ[3]

ومنه قوله:

ولا اســـتَخفَّ غرامـــي يـــومَ وقفتنـــا علـــى الـــوداعِ بنـــانٌ منـــكَ مختضِـــبُ[4]

إذ يعاني الشاعر إثر وداع محبوبته، ومع ذلك فهو يشير إلى خضابها مما يدلل علـى أن العربي كان يعشق هذه الزينة التي تجلت في اللون الأحمر.

اللون والثأر

الثأر من العادات الاجتماعية عند العرب الجاهليين، وقد سادت في المجتمع العربي فيمـا بعد، ويظهر البحتري في شعره إشارات متفرقة إلى هذه العادة الاجتماعية، من ذلك قوله:

وكانت يـــدُ الفـــتح بـــن خاقـــان عنـــدكم يَد الغيـــثِ عنـــدَ الأرضِ حرَّقَهـــا المحـــلُ

---

(1) **الديوان**، 294/1.
(2) **نفسه**، 149/1.
(3) **نفسه**، 144/1.
(4) **نفسه**، 338/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولـــولاه طُلَّـــت بالعقـــــوق دمـــاؤكم فـــلا قَـــوَدٌ يُعطـــى الأذلُّ ولا عقـــلُ[1]

يظهر البيتان السابقان دور الفتح بن خاقان في إحلال الصلح بين المتخاصـــمين، ووقـــف هدر الدماء، وجاءت عبارة (طلَّت بالعقوق دماؤكم) في إشارة إلى أن الدّماء ذهبت هـــدرا ولـــم يثأر لها، ولذلك فإن لون الدم هنا قد أشار إلى عادة اجتماعية عرفت عند العرب وهـــي الأخـــذ بالثأر، وقد ارتبط اللون الأحمر بهذه العادة الاجتماعية ليتحول رمزاً تعارف عليه العرب قديماً، فمن طُلب للثأر يبقى دمه مهدورا، ويحيا في حالة من الرعب والتوجس، ويشير إلى ذلك بقوله:

كـــم مـــن عـــدوٍّ لـــك مطلـــولٍ دمُـــه يَرعَـــى النجـــومَ، والنُّجـــومُ ترجُمُـــه[2]

فيصور الشاعر حال من هدر دمه من العدو، فهو في قلق دائم لشدة خوفـــه، وحرصـــه على حياته، ويوضح بذلك الأثر الذي كان يتركه هذا العرف الاجتماعي في نفوس الناس، حتـــى العدو منهم، وقد ذكر الشاعر ذلك ليصور ممدوحه بالشجاعة، وباستطاعته في إخافة العدو ودب الرعب في صفوفه، وقد كان اللون الأحمر وسيلة الشاعر في التعبير عن هذه المعاني.

ويستخدم (الثأر) من باب الكناية في قسوة الزمان وتلاحق المصائب عليه إذ يقول:

فقلـــتُ الـــدَّهر يطلبنُـــي بثـــأرٍ وأيـــامُ الحَـــوادثِ بالـــدِّماء[3]

يتحدث عن الثأر كعادة اجتماعية، وكنى بالدَّهر عن إنسان يريد أن يثـــأر منـــه، وفـــي الشطر الثاني يوضح ارتباط الثأر بالدماء عند حديثه عن مصائب الزمان.

---

(1) **الديوان**، 1619/3. طلت: هدرت. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (طلَّ). القود: القصاص. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قود).
(2) **الديوان**، 2139/4.
(3) **نفسه**، 46/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللون والغراب

ارتبط ذكر الغراب عند العرب بالتشاؤم والنفور من لونه الأسود، كما حمل رمزية الغـدر والقباحة، ويشير البحتري إلى بعض ما تعارف عليه العرب نحو الغراب من ذلـك قولـه فـي وصف الليل:

والليـلُ فـي لـونِ الغـرابِ كأنَّـه هـو فـي حُلوكَتِـه وإن لـم ينعَـبِ[1]

يجمع بين وحشة الليل وحلوكته، وبين سواد الغراب الذي يرتبط في ذهن العربي بالتشاؤم حتـى قيل "أشأم من غراب"[2]، فهذا الليل بسواده قد بدا في نظر الشاعر غرابا، إلا أنه يختلف عنه في أنه لا ينعب، وما يريده الشاعر أن يعطي صورة مرعبة لليل ومثيرة للتشاؤم، ليبين مـن ذلـك جرأته وشجاعته في سرى الليل.

وقد أطلق العرب على الغراب الأسود حاتم (لأنه يحتم بالفراق)[3] كمـا لقبـوه (بغـراب البين)، لأنه ينذر بالفراق بين الناس حتى صار رمزا للشؤم[4]، وقد تمثل البحتري هـذه الدلالـة الاجتماعية بقوله:

يـا ابنـةَ (العـامري) عمَّـا قليـلِ يـأذنُ الحَـي واعلَمـي بالرحيـلِ
قَـدْ سـمعتُ الغـرابَ يَوعِـدُ بَيْنـاً وانصـراماً لحبلِـكِ الموصـولِ
كيـفَ لـي بالسُـلوِّ؟ لا كيـفَ والبـد ن غـدا نـازل بخطـب جليـل[5]

فقد توقع الشاعر رحيل المحبوبة، وقد اعتمد في ذلك على صوت الغراب، الذي أخبره بأن بيناً سيقع، وينقطع حبل الود مع المحبوبة، فذكر الغراب إشارة إلى التشاؤم والنفور الذي ربطـه الشاعر بما عرف عند العرب عن هذا الطائر لسواده وفي ذلك يقول:

---

(1) **الديوان**، 80/1.
(2) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غرب).
(3) عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب**: 324/1.
(4) ينظر: الجاحظ، **الحيوان**، 315/2.
(5) **الديوان**، 1677/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صدق الغـــرابُ، لقـــد رأيـــتُ شموسَـــهم بالأمسِ تَغْربُ مـــن جوانـــبِ (غُـــرَّبِ)[1]

فقد نعت الغراب هنا بالصدق، مما يشير إلى عادة اجتماعية مؤصلة عند العرب، وهـــذا الغراب إنما هو "غراب البين، وقد لزمه هذا الاسم لأنه إذا بان أهل الـــدار للنجعـــة وقـــع فـــي مرابض (مواضع) بيوتهم يتلمس، فيتشاءمون به ويتطيرون منه، إذ كان لا يعتري منـــازلهم إلا إذا بانوا، فسموه غراب البين".[2]

ولقباحة هذا الغراب، وما عرف به عند العرب، فقد نعت به البحتري مهجوه في قوله:

متـــــى أرضـــــى، ودجَّـــــالُ النَّصـــــارى يُقـــــوِّمُ مـــــا أبيـــــعُ بفـــــردِ عَـــــيْن

وأجـــــورُ خطَّـــــةٍ طـــــاووسَ حُسْـــــنٍ يُـــولّى الحكـــمَ فيـــه غـــرابُ بَـــيْنِ[3]

وقال هذين البيتين في رجل قوّم غلاما له بنصف ثمنه، إذ وصف غلامـــه بالطـــاووس الحسن، أما ذلك المقوم فجعله كغراب البين، وهكذا كان سواد الغراب في المجتمع العربي مرتبطاً بالتشاؤم والقباحة.

اللون والخمر

انتشرت عادة شرب الخمر عند العرب، فشربوا من دنانها، وأنفقوا أموالهم فـــي حاناتهـــا تفاخراً ولهواً، وقد تغنى بها الشعراء فوصوفها ووصفوا مجالسها، وقد ظهر عند البحتري تغنيـــه بالخمر على عادة الشعراء العرب، فالخمر تزيل الهموم وتخففها وبخاصة هم العاشق إذ يقول:

إذا باكرتْـــــهُ غاديـــــاتُ همومِـــــه أراحَ عليهـــا الـــرَّاحَ حمـــراءَ كـــالورد[4]

فمعاقرته للخمر تنسيه همومه، وقد تبدت الخمر في لونها الأحمر الذي عشقه الشعراء، وقد أظهر ما كان لهذه الخمر من دور في إزالة همومه وجلائها، ويربط بين الخمـــر والنشوة التي

---

(1) **الديوان**، 78/1.
(2) الجاحظ، **الحيوان**، 2/ 315.
(3) **الديوان**، 2282/4.
(4) **نفسه**، 759/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجدها في معاقرتها حتى غدت كأنها ذهب مذاب وفي ذلك يقول:

عش سعيداً، واشربْ هنيئا، ولا تعـ (م) دَمْ سراةً من عِلْيَةِ الإخْوَان

من مُدامٍ كأنها ذوبُ تِبْرٍ مائعٍ أو مُجَاجَةُ الزَّعفران[1]

وقد ارتبط شرب الخمر بالسعادة والهناء، حتى جعلها الشاعر كالذهب المذاب مرة أو كالزعفران، وبالتالي ارتبط لون الخمر الأصفر المائل للحمرة في المجتمع بالسعادة والنشوة، ولذلك فهو متعلق بشربها وبخاصة إن كان له نديمٌ في ذلك إذ يقول:

في ليلَةٍ لا يَنَالُ الصبحُ آخرَها عَلِقْتُ بالرَّاح أُسْقَاها وأَسْقِيها[2]

فالخمرة بلذتها ولونها علقت الشاعر بها، حتى أنه يرى أن هذه الليلة ستطول وصبحها سيتأخر، ولجمال لون الخمر فقد ارتبط ذكرها بذكر المحبوبة ومزج بينهما وفي ذلك يقول:

أفي الخمرِ بعضٌ من تَعصْفُرِ خدِّها أَمْ التَهَبتْ في خَدِّها نشوةُ الخَمْر؟[3]

فقد امتزج لون الخمر الأصفر مع لون خدود المحبوبة الحمراء، وجمع بينهما لما يحققه كل منهما من النشوة والمتعة، وهو بهذه الألوان يشير إلى عادة المجتمع العربي الذي كان يجمع بين النساء والخمر، ولم تقتصر متعة شرب الخمر على ربطها مع المحبوبة بل تعدى ذلك إلى التغزل بمقدم الخمر، مما يزيد من لذتها وعشقها في ذلك يقول:

ولَقَدْ شربتُ الكأسَ مِن يدِ أحورٍ مثلِ القضيبِ مهفهفٍ ميَّاس[4]

فمقدم الخمر فتى بهي الطلعة، أحور العينين رقيق مياس ورؤية هذا الفتى تزيد من لذة الخمر، لما تثيره أوصافه في النفس من النشوة والمتعة، وهو بذلك يشير إلى عادة المجتمع في

---

(1) **الديوان**، 2367/4.
(2) **نفسه**، 2416/4.
(3) **نفسه**، 2/ 1004.
(4) **نفسه**، 1176/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عصره في شرب الخمر، إذ كان يقدمها الغلمان الوسيمون مما يزيد من استمتاع شـاربها بهـا، وهو يخاطب ساقيه قائلا:

هـــل أنـــتَ مســـقينا ســـخاميةً حَمـــراءَ مثـــلَ الـــذَّهبِ الأحْمَـــر[1]

فكلمة (سخامية) التي يشير بها إلى الخمر ذات اللون الأحمرالتي تعدُّ من أجـود أنـواع الخمر التي عرفها العرب، لما فيها من اللذة، حتى جعلها كالذهب الأحمر.

وتظهر في شعر البحتري إشارات متفرقة إلى أبعاد اجتماعية أخرى فهو يـذكر عـادة إكـرام الضيف، وتقديم الطعام له مستخدماً لون النار في ذلك إذ يقول:

وموِّرثـــوا النـــارِ العتيقـــةِ للقِـــرَى ومشـــيِّدو البيـــتِ الرفيـــعِ الأَقْـــدَم[2]

فإشعال النار ارتبط بعادة الضيافة، فإشعالها يكون، لإعداد الطعام للضيف وهكذا حمـل اللون الأحمر الذي تمثله النار بعدا اجتماعيا، وهو عادة إكرام الضيف.

ثالثاً: البعد الثقافي

ظهرت ثقافة البحتري في جوانب كثيرة من شعره، وقد كان للألوان حيـز مـن ذلـك، إذ عكست أحيانا بعض جوانب هذه الثقافة، من ذلك لجوئه إلى المنطق والبراهين والأدلة العقليـة، فقد أورد في دفاعه عن الشيب:

ورأت لِمَّـــة ألـــمَّ بهـــا الشيـــ ـــبُ، فريَعتْ مـن ظُلْمـةٍ فـي شُـروق
ولَعَمْـــري! لـــولا الأَقَـــاحي لأبصـــرْ تُ أنيـــقَ الرِّيـــاضِ غيـــرَ أنيـــقِ
وســـوادُ العيـــونِ لـــو لـــم يُحَسَّـــن ببيـــاضٍ مـــا كـــان بـــالموموق
ومِـــزاجُ الصـــهباءِ بالمـــاءِ أَملَـــي بصَـــبُوحٍ مستحســـنٍ، وغَبُـــوقِ

---

(1) **الديوان**، ص996/2.
(2) **نفسه**، 2084/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيُّ ليـــــل يبهـــــى بغيـــــرِ نجـــــوم؟ أَمْ ســـــحابٍ ينْـــــدَى بغيـــــر بُـــــروق[1]

في الأبيات السابقة، يظهر الشاعر مدافعا عن الشيب الذي يشـــكل حـــاجزاً بينـــه وبـــين محبوبته، ويلجأ إلى ثقافته فيأتي بالأدلة والبراهين العقلية ليثبت جمال الشيب الأبـــيض وحســـنه، وأنه ليس بالمنفر، وأن لونه متفرد بين الألوان، ويسوق أمثلة ليدعم رأيه فلون زهـــور الأقـــاحي الأبيض يزين الرياض، ولولاه ما كانت أنيقة جميلة، وكذلك يظهر جمال العيون السوداء بـــاللون الأبيض المحيط بها، أما الخمر الحمراء فإن شربها أكثر متعة ولذة في الصباح ذي الإشراق، ثم يأتي إلى الليل الذي استمد بهاءه من النجوم المتلألئة، وكذلك السحاب لا يلقي ما به من مطر إلا بحدوث البرق، وقد جاء استخدام هذه الأدلة مستنداً إلى اللونين (الأبيض والأسود) ليظهر بـــذلك ثقافة اكتسبها في عصره متأثراً بالحركات العقلية والفكرية، وفي أبيات أخرى يلجـــأ إلـــى أدلـــة وبراهين جديدة ليثبت جمال الشيب في محاولة للتقرب من المحبوبة، إذ يقول:

بكَـــــرت تعيرُنـــــي نـــــوارُ ســـــفاهَة وضـــحَ المفـــارق وابيضـــاضَ المســـحل
ويكـــم! بيـــاضُ الصـــبحِ أحســـنُ منظـــرا فـــي العـــين مـــن ظلمـــاءِ ليـــلٍ أليـــل
وهـــل اســـوِدادُ العلـــوِ يَكمُـــلُ حســـنه فـــي الطَّـــرْفِ إلا بابيضـــاض الأســـفل
والشمسُ لولا ضـــوؤها مـــا استُحْسِـــنَت والبـــدرُ لـــولا نـــورُه لـــم يَجْمِـــل[2]

تظهر الأبيات السابقة بعدا ثقافياً عند البحتري مكنه من الدفاع عن الشيب، والـــرد علـــى (نوار) ليقنعها أن الشيب ليس عاراً ينقص من قدر الإنسان، فيلجأ إلى ظـــواهر طبيعيـــة ماثلـــة للعيان، فبياض الصبح أجمل منظراً وأبهى من ظلام الليل الدامس، ومرة أخرى يكرر أن جمـــال العيون السوداء إنما تأتي لوجود اللون الأبيض، أما الشمس والقمر فجمالهما ينبـــع مـــن إشـــاعة

---

(1) **الديوان** 1485/3 – 1486 الموموق: المحبوب ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رمق). الغبوق: ما يشرب في العشي. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غبق).

(2) **نفسه**، 1681/3، المفارق: مواضع افتراق الشعر. ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة فرق المسحل: جانب اللحية، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سحل).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النور على الدنيا، وهكذا اتخذت الألوان دورا مسانداً للفكرة ومدعماً لها، وهي أن بياض الشيب أمر مستحسن، ويستمر في دفاعه عن الشيب بتمثل ظواهر أخرى من الطبيعة فيقول:

عيَّرتني المشيبَ وقد بَدَتْه ... في عَذاري بالصَّدِّ والاجتناب
لا تريهِ عارا، فما هو بالشيـ ... ـب ولكنَّه جلاءُ الشَّباب
وبياضُ البازي أصدقُ حُسْنا ... إن تأمَّلْتِ من سوادِ الغُرَاب[1]

إذ يحاول الشاعر أن يتغلب على ما يسببه الشيب من عقدة له بالتعليلات المنطقية، الدالة على ثقافته العقلية، فلو وضع طائري البازي والغراب في كفتين لاختير البازي لبياض لونه، ولترك الغراب لريشه الأسود. وتظهر الأبعاد الثقافية للون في أبيات أخرى إذ يقول:

دَنَوتَ تواضعاً وبَعدْتَ قَدْرا ... فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ
كذاكَ الشمسُ تبعدُ أن تُسَامَى ... ويدنُو الضُّوءُ منها والشُّعَاعُ[2]

يرى الشاعر ممدوحه متواضعاً، ولذلك فهو قريب من أبناء قومه الذين يتلمسون نفعه وعطاءه، ومع ذلك فهو عال برفعته ومجده وعلو همته فهو قريب بعيد، ويلجأ إلى توضيح ذلك وتبيانه بالإفادة من ثقافته، ويوظف اللون في ذلك، فالشمس قريبة بضوئها بعيدة بمكانها، وقد استخدم لون الشمس الأبيض ليشير بالضوء إلى أنه جزء من حياة البشر لا يستغنى عنه، وكذلك الممدوح في قومه، وفي موضع آخر يوظف القمر ليبرز مكانة ممدوحه فيقول:

دانٍ على أيدي العفاةِ وشاسعٌ ... عَنْ كلِّ نِدٍ في العلا وضريب
كالبدْرِ أفرَط في العُلوِّ وضوؤه ... للعصبةِ السَّارين جِدُّ قريب[3]

---

(1) **الديوان**، 84/1.
(2) **نفسه**، 1247/2.
(3) **نفسه**، 249/1. – 250. العفاة: جمع العافي وهو كل طالب رزق أو فضل. ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عفا). الشاسع: البعيد. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شسع). الضريب: المثل والنظير. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ضرب).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعلل في البيتين السابقين قرب ممدوحه وبعده باستحضار البدر ونوره مثالاً، فالممدوح قريب بعفوه وعطائه الجزل لمن يتلمسون ذلك من بابه، وهو بعيد في أن يكون له مثيل أو ند في ذلك، ويوضح ذلك بدليل قائم على البرهان العقلي فالقمر عال بعيد بمكانه، وفي الوقت ذاته قريب بنوره الذي ينير للسراة في ظلمة الليل وعليه فقد استحضر هذا المثال الذي تكتنفه الألوان ليستند إليه في توضيح فكرته وتثبيتها.

ومن ملامح الثقافة العقلية التي وردت في شعر البحتري قوله:

واللَّفْظُ حُلَى المَعْنَى، وليسَ يريكَ الصُّفرُ حسناً يريكَهُ ذهبه[1]

إذ يرى الشاعر أن تخير الألفاظ بإجادة يزيد المعنى جمالا، وليس كثرة الكلام وإطالته هي ميزة الشعر المجاد، ويسوق مثالا ليؤكد فكرته فاصفرار النحاس لا يوازي اصفرار الذهب ولمعانه.

وتظهر عند البحتري ملامح الثقافة الفارسية، في بعض الألفاظ التي توحي بالألوان من ذلك قوله في وصف الحصان:

أوأَدهمٍ صافي السوادِ كأنَّهُ تَحْتَ الكَمِيِّ مُظهَرٍ بيرندج[2]

تتضح الثقافة الفارسية في كلمة بـ"يرندج التي تعني جلداً أسود"[3]، وقد جاء بهذه اللفظة في تشبيه للحصان العربي، وهكذا جاء اللون الأسود ليعكس ثقافة البحتري، كما يستخدم لفظة فارسية في وصف نوع من أنواع الخيل وفي ذلك يقول:

لا (ديزج) يَصِفُ الرَّمادَ، ولَمْ أَجِدْ حالا تُحسِّنُ من رَواءِ الديزجِ[4]

---

(1) **الديوان**، 209/1.
(2) **نفسه**، 403/1.
(3) الجواليقي، **المعرب**، ص647.
(4) **الديوان**، 405/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلفظة (ديزج) لفظة معربة "وهي نوع من الخيل، وهي لون بين لونين غير خالص وهو الرمادي"[1].

ومن الكلمات المعربة التي تدل على الألوان كلمة (الزاج) ويظهر ذلك في قوله:

وجُـــــوهُ حسَّـــــادكِ مســـــودَّةٌ أمْ صـــــبِغَتْ بعـــــدي بـــــالزَّاج[2]

فيضفي على حساد الممدوح صفة السواد، ويصفها كأنها صبغت (بـــالزاج)، وهـــي كلمـــة فارسية معربة، وهو من أخلاط الحبر ويوحي باللون الأسود[3]، واستخدامه لهذه الكلمة يدل على التأثر بالثقافة الفارسية واستعمالها في العربية، كما استخدم كلمة (ديبـــاج) التـــي تعنـــي الثيـــاب الملونة في قوله:

فصَاغَ ما صـــاغَ مـــن تِبْـــرٍ ومِـــنْ وَرِق وَحاكَ ما حـــاكَ مـــن وَشْـــيٍ وديبـــاجِ[4]

وكذلك وردت كلمة (الجلنار) من ذلك قوله:

والخـــدودُ الحســـانُ يَبْهَـــى عَلَيهـــا جُلُّنَـــــارُ الرَّبيـــــعِ طَلْقَـــــا وورْدُه[5]

وقد ضمن البحتري ثقافته في معرفة الفلك والعلوم الأخرى، ومما قاله في ذلك قوله:

قد جارَ موسى، وجَـارَى حتـفَ مهجَتِـهِ فـــإنْ يكـــنُ جـــائراً فـــالرُّمحُ معتـــدلُ

وأمَّـــلَ الـــثَّلْجَ، والجـــوزاءُ مُلْهِبَـــةٌ في نـــاجرٍ، ســـاءَ هـــذا الظَّـــنُّ والأمـــلُ

وعنـــد بقـــراطَ داءٌ لـــو تصـــفَّحه بقراطُ قال: الـــدواءُ البـــيضُ والأســـلُ[6]

---

(1) الجواليقي، **المعرب**، ص 306.
(2) **الديوان**، 409/1.
(3) ينظر: الجواليقي، **المعرب**، 345.
(4) **الديوان**،411/1. وينظر: 2/ 1113، 1159.
(5) **نفسه**، 509/1، وينظر 711/1، 852/2، 906/2، 935/2، 989/2، 2295/4.
(6) **نفسه**، 1761/3.
ناجر: كل شهر من شهور الصيف، لأن الإبل تنجر به وتعطش. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نجر).
بقراط الواردة في (صدر البيت) هو بقراط بن آشوط أحد بطارقة أرمينية، وقد أسلم هو وابنه عام 238هـ. ينظر ترجمته: ابن الأثير، الكامل فقي التاريخ 7/ 58- 59.
بقراط (عجز البيت) هو أبقراط الطبيب اليوناني الذي عاش قبل ميلاد المسيح بأربعمائة سنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعرض الأبيات السابقة محاولة موسى بن زرارة[1]، الفتك بالممدوح (أبو سعيد محمد بن يوسف) ولكنه لم ينل منه، والشاعر يسخر منه بقوله إنه تأمل الثلج في شهور الحر التي يظهر فيها برج الجوزاء، وقد رافق اللون هذه الثقافة، فأبيض الثلج يوحي بالبرودة، بينما كلمة (ملهبة) التي تحمل اللون الأحمر تدل على الشدة، وهو يريد بذلك أن محاولة الفتك قد تكللت بالفشل، ولذلك فهو يرى أن دواء هؤلاء موجود عند الطبيب اليوناني بقراط المتمثل في السيوف البيض، في إشارة إلى شجاعة الممدوح وقدرته على النيل ممن يغدرون به، ولا يخفى استناد الشاعر إلى الألوان لتوضيح فكرته.

ويصف غلاماً له بالكواكب المضيئة، ويذكر أسماء تلك الكواكب فيقول:

مضيءٌ تظَلُّ العينُ تَصْبِغُ خدَّه متى تُثْنِ فيهِ لحظةً تتَعصْفَر

كأن النجومَ الزُّهرَ أدَّتْهُ خَالصا لزهرةِ صُبْحٍ قد تعلَّتْ ومشتري[2]

فهو يرثي غلامه ذاكراً صفاته الحسنة باستخدام اللونين الأبيض والأصفر اللذين يضيفان جمالاً وحسناً على وجهه، ثم يأتي بذكر النجوم المضيئة ويذكر كوكبي الزهرة والمشتري إذ يشبه الغلام بهما، والنجوم الزهر هي تلك النجوم المضيئة ذات اللون الأبيض، وهكذا وظف البحتري الألوان ضمن ثقافته في معرفة الكواكب في الإشادة بذلك الغلام الذي رثاه.

كما يتحدث عن ساقي الخمر ويصف الخمر مشبها إياها ببعض الكواكب:

فسقى بكأسِ مدامةٍ ذهبيةٍ وبطرْفه كأسانِ دائرتان

فكأنَّما بَهرامُ وسْطَ نَدِّينا والزُّهرةُ البيضاءُ مقترنان[3]

---

(1) موسى بن زرارة: صهر بقراط بن آشوط وهو الذي وافق سنة 237 هـ على الفتك بيوسف بن أبي سعيد. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7/ 58-59 .

(2) **الديوان**، 1059/2.

(3) **نفسه**، 2382/4

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا يصف مقدم الخمر وبيده الكأس وقد امتلأت بالخمر ذات اللون الـــذهبي، ويوظـــف ثقافته في معرفة الكواكب فيستعير لذلك كوكبي بهرام والزهرة، فيشبه الغلام في جماله بكوكـــب بهرام أما الخمر فهي ككوكبا الزهرة اللامع.

كما يذكر المشتري وكوكباً آخر اسمه الشعرى بقوله:

رأيـــتُ تفـــاريقَ المحاســـنِ جُمعَـــتْ إلى مُشْتَرٍ أَهْدى إلى "القمـــرِ" الشِّـــعرى[1]

والشِّعرى هو كوكب شديد السطوع وقريب إلى الأرض[2]، وبهذا وظف ثقافته ومعرفتـــه بهذا الكوكب في الثناء على ممدوحه معتمداً في ذلك اللون الأبيض الساطع ليدلل علـــى شـــهرة الممدوح.

ويشير إلى بياض المشتري في وصفه قصر الجعفري، وذلك في قوله:

عَـــالٍ علـــى لَحْـــظِ العيـــونِ كأنَّمـــا يَنْظُرْنَ منـــه إلـــى بيـــاضِ المُشْـــتَري[3]

يربط بين ارتفاع قصر الجعفري وفخامة بنائه وبياض كوكب المشتر في علّوه.

رابعاً: البعد الديني

حملت الألوان في شعر البحتري لمحات من الأبعاد الدينية، وهو ما يظهر تأثر البحتـــري بالعقيدة الإسلامية وتمثلها في شعره، من ذلك ما قاله في الرسالة المحمدية الخالدة:

وبمســـقطِ العَلمَـــين ناعمـــةُ الصِّـــبا حَيـــرْى الشَّـــبابِ تَبِـــينُ إنْ لَـــمْ تَصْـــرِمِ

بيضـــاءُ تكتُمهـــا الفِجَـــاجُ وخَلفَهـــا نَفَـــسٌ يَصِّـــعدُه هَـــوَى لـــمْ يُكْـــتَمِ[4]

---

(1) **الديوان**،60/1.
(2) ينظر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شعر).
(3) **نفسه**، 1042/2.
(4) **نفسه**، 4/ 2081.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول عبد القادر الرباعي في تحليل البيتين السابقين " فناعمة الصبا إن لم تكن رمزا لذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي رمز لرسالته الخالدة التي تتمتع بشباب متجدد لا يبلى، وهي وإن نأت زماناً أو مكاناً حريصة على ألا تقطع مودة من تحب، لأنها نقية صافية (بيضاء)، وقد تمنع الحواجز والعقبات صوتها عن مسامع أولئك المحبين، لكن أنفاسها تتصعد حاملة لهم هوى لا تستطيع تلك الحواجز كتمانه[1]، ويتضح من ذلك أن الشاعر عمد إلى اللون الأبيض ليصف الرسالة المحمدية به، وهو لون ارتبط دينياً بالنورانية والضياء، فمن اتقى كانت له هذه الميزة، وقد جعل البحتري ذلك في ممدوحه إذ يقول:

حتى طَلَعَتْ بضوءِ وَجْهِكَ فانْجَلَى ذاكَ الدُّجى وإنجابَ ذاك العَثيرُ[2]

فطلعة الممدوح بما فيها من النورانية الإيمانية التي يشع بها وجهه تنجلي أمامها الظلمات، كما يزول الغبار الذي أثارته حركة الفرسان في المعركة، حتى جعل طلعته تذكر بطلعة النبي – r – ولا يخفى ما في هذه الطلعة من بهاء ونورانية تنعكس على حاله وشخصه فيقول:

حتى انتهيتَ إلى المُصلَّى لابساً نورَ الهُدى يبدو عليك ويظهرُ[3]

فقد وصل الممدوح المصلى متوشحا نور الهداية في إشارة إلى اللون الأبيض، وبهذا يدل على ورعه وتقواه وصلاحه، مما يشير إلى انتمائه لآل النبي إذ يقول:

وأبيضُ من (آل النبي) إذا اجتنى لساعةِ عَفْوٍ فالنُّفوسُ مواهِبُه[4]

---

(1) جماليات المعنى الشعري، **التشكيل والتأويل**، ص 68.
(2) **الديوان**، 1071/2.
(3) **نفسه**، 1072/2.
(4) **نفسه**، 217/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد نسب الممدوح إلى آل النبي – r - ووسمه بالبياض في إشارة إلى التقوى، والـورع، والإيمان، الذي يعكسه اللون الأبيض من ناحية دينية، وهذا الورع يدفع الممدوح إلى العمل دون أن ينقص ذلك من شأنه إذ يقول:

تبيـــتُ علـــى شُـــغْل، ولـــيس بِضَـــائرٍ لمجْـــدِكَ يومـــاَ أن تبيـــتَ علـــى شُـــغل

كمـــا لـــم يَنَـــل إبلـــيسُ آدمَ إذ سَـــعَى ولم يمحُ من نـــورِ النبـــيِّ أبـــو جهـــل[1]

يقصد أن الممدوح يحرص على متابعة شؤون الدولة، فهو إنسان كريم سـمح وهـذا لا يقلل من شأنه، ويأتي بمثال من الناحية الدينية ليرفع من شأن ممدوحه، فإبليس لا ينال مـن آدم وقت السعي، وكذلك أبو جهل لم يتغلب بكفره على نور النبوة، وتأتي عبارة (نـور النبـيّ) فـي إشارة إلى اللون الأبيض الذي يمثل الهداية والخشوع وهو صفة من صفات الله تعـالى. لقولـه تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [2].

ويذكر اللون الأسود مرتبطاً ببعد ديني في وصف مناسك الحج إذ يقول:

سَـــرَوا مُـــوجفين لســـعي "الصَّـــفا" ورَمْـــي الجِمَـــارِ ومَســـحِ الحَجَـــر[3]

فكلمة (الحجر) تشير إلى الحجر الأسود الذي له قداسة خاصة فـي الـدين الإسـلامي، فالجميع ممن يزورون الكعبة يتبركون به ويمسحون عليه اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسـلم، ولذلك مثّل اللون الأسود هنا بعداً دينياً تمثل في القداسة والتبرك.

ويذكر كلمة (السندس)، وهي مقتبسة من القرآن الكريم بقوله:

وتَفجـــرَتْ أنهارُهَـــا بمياهِهَـــا موصـــولةً بفواهِـــق الغُـــدْران

---

(1) **الديوان**، 1807/3.
(2) **النور**، آية 35.
(3) **الديوان**، 849/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثـــل المرايـــا فـــي نَمـــارِق ســـندسٍ خُضْـــرٍ يـــروقُ العَـــينَ باللَّمَعَـــان[1]

يصف "الرقة البيضاء"[2] ويتحدث عن أنهارها وجمالها، فيصفها بالمرايا الموجودة علـــى وسائد من سندس، والسندس هو نوع من النسيج ورد في القرآن بذكر لونه الأخضر فـــي قولـــه تعالى: { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ } [3].

---

(1) **الديوان**، 4/ 2379.

(2) الرقة البيضاء: هي مدينة مشهورة على الفرات على الجانب الشرقي منه. ينظر **معجم البلدان** 3/ 59-60.

(3) الإنسان، آية 21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أثر اللون في تشكيل الصورة الشعرية عند البحتري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعد الألوان عنصراً من عناصر الصورة، ولجوء الشاعر إلى استخدامها في الصورة الشعرية "يدفع إلى استكشاف الصورة أولا، ثم إثارة القارئ أو المتلقي ثانيا، فالشعر ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان سواء أكانت منظورة أم مستحضرة في الذهن، وهو بالنسبة للقارئ وسيلة لاستحضار هذه الأشكال والألوان في نسق خاص"[1]، ولذلك فإن اللون في الصورة يتعدى دلالته الحسية إلى ما وراء الحس، لأنه يرتبط بنفسية الشاعر حينا أو يحمل أبعادا رمزية تختفي وراء الكلمات. "ولأن القصيدة تراكب صوري فقد كان اللون شديد الالتحام بعناصر الصورة كالصوت والحركة"[2]. ولا تتوقف أهمية الألوان في الصورة عند هذا الحد فهي "من أبرز عناصر التشكيل المكاني المرئي وهي تحدث سعة في فضاء الصورة وتعدداً في دلالاتها وثراء في إيحاءاتها".[3]

أولاً: أنواع الصور الشعرية ودور اللون في تشكيلها

الصورة المفردة

تعد الصورة المفردة أصغر وحدة من مكونات التصوير، فمن خلالها يمكن "دراسة القصيدة من حيث اشتمالها على تصوير جزئي محدد، يقدم للقارئ صورة بسيطة قد تدخل في بناء الصورة المركبة التي تكون أشمل وأكثر تعقيدا"[4]، وهي صورة لها قدرتها في التعبير عن المعاني والأبعاد النفسية للتجربة الشعرية، وتتشكل من خلال التشبيه والتشخيص والتجسيد وتراسل الحواس وعناصر أخرى.

---

(1) إسماعيل عز الدين، **التفسير النفسي للأدب**، ص67-68.
(2) ينظر: الدخيل، محمد ماجد، **الصورة الفنية في الشعر الأندلسي - شعر الأعمى التطيلي انموذجا**، ص40.
(3) العف، عبد الخالق محمد، **التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ط1، مطبوعات وزارة الثقافة، 2000م، ص 211 .
(4) أبو اصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، ص 42.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبرز اللون عنصراً مهماً في تشكيل الصورة المفردة عند البحتري في الجانب التشبيهي، وتأتي تشبيهاته تساندها الألوان لتكتمل الصورة في ذهن المتلقي، ومن ذلك قوله في وصف الخمر:

تـــرى الكـــأسَ صـــافيَةً كاللُّجيـــــ ـــــنِ، والخمـــرَ طافيَـــةً كالـــذهب[1]

ففي البيت السابق، يرسم صورة لكأس الخمر، فالكأس يشبه الفضة في صفائه، والخمر فيه كالذهب، ليلتقي اللون الأبيض للفضة داخله اللون الذهبي مشكلا صورة جميلة قوامها اللونان الأبيض، والأصفر، مما يشعر المتلقي بلذة الخمر ونشوتها، كما تثير في نفسه رغبة الإقبال عليها، كما وظّف اللون الأحمر في وصفها في مخاطبته ساقي الخمر إذ يقول:

هـــل أنـــتَ مســـقينا ســـخاميةً حمـــراءَ مثـــل الـــذهبِ الأحمـــر[2]

فيشبه الخمرة السخامية (وهي ذات اللون الأحمر) بالذهب الأحمر، وهو بهذا التشبيه يشير إلى جودتها ويمنحها قيمة عالية كالذهب النفيس، مما يعطي صورة واضحة عن أهمية هذه الخمر لديه، كما أن اللون الأحمر بقوته عمل مثيراً للشهوة في حب شرب الخمر، كما يرسم صورة بهية للخمر عندما يربط بينها وبين الفتى الذي يقدمها إذ يقول:

بنـتُ كـرم يَـدنُو بهـا مُرْهـفُ القَـدِّ غريـرُ الصِّـبا، خضـيبُ البنـان
أرجوانيـــةٌ تشـــبُّه بالكـــأ سِ، بتفـــاح خَـــدِّه الأرجـــواني[3]

وهنا يرسم صورة مشرقة لمقدم الخمر فهو دقيق الخصر، مفعم بالشباب ناعم، مخضب البنان، والخمر في الكأس ذات لون أرجواني تشبه خدود ذلك الفتى المحمرة، وبذلك اجتمعت في

---

(1) **الديوان**، 131/1.
(2) **نفسه**، 996/2.
(3) **نفسه**، 2271/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الصورة معالم جمال الفتى مع جمال الخمر التي أصبغ عليها الفتى شيئا من حسنه، وقد سيطر اللون الأحمر على الصورة في قوله (خضيب البنان، أرجوانية، تفاح خده، الأرجواني) فصبغها بصبغة الإثارة والنشوة تجاه الخمر، وصبغة التلهف تجاه ذلك الفتى، ومن ذلك أيضا قوله:

وليتني الشَّمولُ فيها دراكاً بيَدَيْ مرهفٍ خضيب بنانُهْ
بات يثني بلونِها لونَ خَدٍّ مشَّبه أرجوانَها أرجوانُهْ[1]

ومن التشبيهات التي تظهر فيها الألوان قوله:

كأن القبابَ البيضَ والشمسُ طلقةٌ تضاحكها أنصافُ بيضٍ مفلَّق[2]

ويعكس البيت السابق صورة القباب البيضاء في القصر عندما تطلع الشمس عليها، فترخي أشعتها الذهبية لتمنح تلك القباب روعةً وحسناً، هذه الصورة يشبهها البحتري بالبيض المفلق، إذ يظهر صفاره داخل البياض في صورة جذابة للعين مثيرة لها، كما يظهر الشاعر صورة جميلة في وصف قصائده الشعرية بقوله:

موصوفةٍ باللآلي من نوادِرها مسبوكةِ اللَّفظِ، والمعنى من الذَّهب[3]

فهو يصور كلماته في ندرتها باللؤلؤ، وأما ألفاظها فهي كالسبائك، ومعانيها من الذهب، وذلك في إشارة إلى جودة الصياغة و قوة الحبك، وعمق المعنى في شعره، وقد وظف كلمتي (اللؤلؤ والذهب) باللونين الأبيض والأصفر ليدلل على فخامة كلماته؛ وذلك لارتباطهما بالجواهر النفيسة كاللؤلؤ والذهب، وهو يفخر بذلك في مخاطبته لممدوحه بقوله:

جئناك نَحملُ ألفاظاً مُدَبَّجَةً كأنما وشْيُها مِنْ يُمنةِ اليمن[4]

---

(1) **الديوان**، 2295/4.
(2) **نفسه**، 1510/3.
(3) **نفسه**، 121/1.
(4) **نفسه**، 2194/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشبه قصائده المدبّجة بحسن اللفظ والمعنى بالبردة اليمنية المزركشة، وهي برود "يضرب بها المثل في الحسن وتتشبَّه بها الرياض والألفاظ"[1]، فإذا كان جمال البردة يتأتى من ألوانها المزركشة الجميلة المتناسقة فإن جمال قصائده يتأتى من جمال الألفاظ وقوة المعنى وما وظفه من ألوان في نسج صورته، ويفخر بقصائده في موضع آخر ويعطيها صورة أخرى تمثلها الألوان في قوله:

قصائدُ يَطرَبُ مِنْ تُهدى له ... ولَذَّةُ النَّفْسِ مِنَ العيشِ الطَّرَبِ
لم أستَعِرْ حليَتها يوماً، ولا ... أَغرْتُ حين قُلتُها على الكتبِ
جاءَتْ كدرٍ في سماطِ لؤلؤ ... في جيدِ خودٍ أو كعقيان الذهبِ[2]

إذ يرسم صورة لقصائده تقوم على اللونين الأبيض والأصفر، فهي كقلائد اللؤلؤ في عنق الفتاة الناعمة، ثم يصفها مرة أخرى بالذهب، وهو بذلك يمنح المتلقي فرصة ليدرك جمال القصائد من خلال الصورة المرسومة لما تثيره في النفس من نشوة وفرحة وسرور، وتظهر الألوان في تشبيهاته لممدوحه المعطاء إذ يقول:

وكأنَّ وجهَك حين تُسألُ مُشْرَبٌ ... من حسنهِ ماءَ الحُسامِ المُذهَبِ[3]

فيصور حسن وجه الممدوح وبهاءه وجماله بماء الذهب التي تطلى به السيوف، "وجمال الوجه وحسنه مما يجب المدح به، فإن الوجه الجميل يزيد من الهيبة ويتيمن به العرب"[4]؛ لأنه يدل على الخصال المحمودة، وعليه فإن اللون الأصفر الممثل في كلمة (الذهب) قد أضفى على الصورة جمالاً وبريقاً يعكسه وجه الممدوح، وقد أدى لون الوجه الأصفر في هذا الموضع دلالة مخالفة لما هو معروف عنه بأنه دلالة مرض وإعياء، وذلك عندما ربط هذا اللون بمعدن نفيس

---

(1) الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص424.
(2) **الديوان**، 156/1. الخود: الشابة الناعمة، ينظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خود).
(3) **نفسه**، 342/1.
(4) الآمدي، **الموازنة**، ص79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كالذهب، وإشراق الوجه هذا يعيد رسمه بصورة أخرى متمثلاً في ذلك لـــوني الشـــمس والبـــدر بقوله:

مَلِـــــــكٌ بـــــــدا وجبينُـــــــه شَـــمْسُ الضُّـــحى بَـــدْرُ الظَّلَـــمِ[1]

وقد حذف أداة التشبيه ليقرب بين المشبه والمشبه به حتى درجة التلاحم، فجبين الممدوح شـــمس الضحى ذات الإشراق، ثم يصوره بالبدر الذي يزيل الظلام، ليمنحه صورة فيها مـــن الإشـــراق والبهاء ما يطيب النفس ويحببه إليها ويقربه منها

ويصور ممدوحه وقد كلله التاج بصورة كلها إشراق وسطوع وبهاء بقوله:

كـــأنَّ وَمـــيضَ التّـــاجِ فـــوقَ جبينـــه علـــى قمـــرٍ بالشـــعريين مكلـــلِ[2]

فبياض وجه الممدوح الذي يعلوه بياض التاج جعله كالقمر الذي كلله كوكبا الشـــعريين، وهي صورة مفعمة بالإشراق لما فيها من إضاءة منحها اللون الأبيض لها.

ومن صور الإشراق التي وصف بها ممدوحه تلك الصورة التي ينير فيها وجه الممدوح عتمة الليل وظلامه إذ يقول:

يجلـــو بِغُرَّتـــهِ الـــدُّجى، فكأنَّنـــا نَسْـــري ببـــدرٍ فـــي الـــدآدي الســـود[3]

يصور ممدوحه بالبدر الذي ينير سواد الليالي شديدة الظلمة، وقد جاء على ذكر الليـــالي الســـود ليزيد تلك الإضاءة ويعلي بذلك من شأن ممدوحه، مما جعل الصورة تظهر أكثر اتساعا، فوجود اللون الأسود في قوله (الدجى، الدآدي السود) جعل إشراق الممدوح أكثر بروزاً وظهـــوراً فـــي لوحة أحاطها السواد، وتتكرر عنده هذه الصورة في وصف النساء الجميلات في قوله:

---

(1) **الديوان**، 1999/3.
(2) **نفسه**، 1923/3. الشعريين: كوكبان شديدا السطوع، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شعر).
(3) **نفسه**، 699/2. الدآدي: الليالي الشديدة المظلمة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دأدأ).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشـــوقكَ توخيـــدُ الجمـــالِ القَنـــاعِس بأمثـــالِ غـــزلانِ الصـــريمِ الكـــوانسِ
ببـــيضٍ أضـــاءَتْ فـــي الخـــدورِ كأنهـــا نجومُ دُجَـــى جلَـــتْ سـوادَ الحنـــادِسِ[1]

فالفتيات البيضاوات قد أشرقن في خدورهن كنجوم الليل التي تزيل العتمة، وقد غـدون ضـوءاً يلمح داخل الخدر، مما يجذب النظر والتعلق به، والشاعر يقرب هذه الصورة إلى ذهن المتلقـي بأن جعلهن نجوماً مضيئة في ظلمات الليل، إذ يتعلق بها بصر الإنسان ولبّه، وينشغل بهـا عـن عتمة الليل وظلمته الحالكة.

ويأتي بصورة تشبيهية أخرى لتلك الفتيات أكثر إيضاحاً فيصف مظاهر جمـال أخـرى لديهن إذ يقول:

أَمَـــا أبصـــرَتْهُنَّ شـــموسُ دَجْـــنٍ علـــى قُضُـــبٍ مهفهفـــةٍ دِقـــاق
وأبـــدين الخـــدودَ كـــروضِ وَرْدٍ ومـــاءِ الحســـنِ فـــي أَدمٍ رِقـــاق[2]

فقد صور الفتيات في جمالهن بشمس الشتاء التي تخترق عتمة الغـيم لتسـقط علـى أغصـان الأشجار فتمنحها جمالاً وبهاء، ثم وصف خدودهن الموردة بذلك الـروض الـذي امـتلأ ورودا ليعكس من خلال اللون الأحمر الذي اكتنف اللوحة شدة حسن تلك الخدود، وفي صورة ثالثة فإن حسن الفتيات يشابه جمال الظباء، وهكذا شكّل الشاعر صورته بالألوان حتى يتخيل المتلقي أنـه يقف أمام تلك الفتيات يمتع نظره بجمالهن وحسنهن، ويلون الشـاعر صـوره التشـبيهية فـي مواضع أخرى باللون الأخضر ومن ذلك قوله:

أعَـــدْتَ حُسْـــنَ الـــدُّنيا وجِـــدَّتها فينـــا فأضَـــحت كالروضـــةِ الخَضِـــرَة[3]

---

(1) **الديوان**، 1123/2.
توخيد: الوخد: ضرب من سير الإبل، وهو سعة الخطو في المشي. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وَخَدَ).
القناعس: مفردها القنعاس، وهو الجمل الضخم العظيم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قنعس).
الصريم: الأرض السوداء لا نبت فيها. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صرم).
الحنادس: الليالي المظلمة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حندس).
(2) **نفسه**، 1555/3.
(3) **نفسه**، 1008/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث يصور الشاعر نفسه في ظل عطاء الممدوح وسخائه، وما آل إليه من السرور ورخاء الحال وكأن الدنيا أصبحت روضة خضراء، وقد زين صورته باللون الأخضر لما يمنحه من الحياة والنضارة وذلك لارتباطه باخضرار الشجر الذي يدل على جريان الحياة وجمالها.

والتشخيص جانب تصويري في الصورة المفردة ويقصد به "خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية"[1]، ويعد التشخيص جوهر الخيال الشعري لأنه يبث الحياة في أجزاء الواقع مما يجعل الصورة حية نامية تحمل السمات الإنسانية المسقطة عليها ممن داخل الفنان[2]، وقد عمد البحتري إلى هذا الجانب التصويري في صوره اللونية من ذلك ما قاله في وصف المعركة:

واسودَّ وجهُ الشَّمس، وأحمرت ظبا بيضِ الصفاح وبلَّد البَطَلان[3]

فجعل الشمس إنساناً اسودَّ وجهه، واسوداد الوجه يتأتى لموقف عصيب يمر به الإنسان، وقد بدت الشمس سوداء في إشارة إلى شدة المعركة، والجو الحار الذي يكتنف ساحتها، إضافة إلى تلك السيوف البيضاء التي أصبحت ذات لون أحمر لكثرة سفك الدماء حتى أصبحت تقطر دما، وبهذا التشخيص للشمس الذي جاء في بداية البيت الشعري فإنه استطاع أن يرسم صورة قاتمة تمثلها البشاعة التي تحيط بساحة المعركة لما فيها من الشدة والقتل، وفي موضع آخر يتعلق بالمعركة وأدواتها فإنه يصف الرماح والسيوف ويصورها بصورة أشخاص فيقول:

تغدو أسَّنتهُ زُرقا فيكحلُها يومَ الكريهةِ في الأحداق والكَحلِ
إذا انتضى السيفَ يومَ الرَّوعِ أغمدَه مخضباً من دمِ الأعداءِ في القُلَلِ[4]

---

(1) قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن الكريم**، ص 73. وينظر: زايد، علي عشر، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، ص 8.

(2) ينظر: الجبار، مدحت سعد محمد، **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**، ص27.

(3) **الديوان**، 4 /2381.

(4) **نفسه**، 1907/3. الكحل: سواد منابت شعر الأجفان خلقة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كحل).
القلل: قبيعة السيوف وهي ما علا طرف مقبضه من فضة أو حديد. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قلل).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث شخَّص الرمح إنساناً يتخذ يوم المعركة من الأحداق زينة يكتحل بهـا، وشـخص السـيف إنسانا يتخذ من الدم خضاباً له، رغم أن هذه الصورة تتعلق بالقتل وسـفك الـدماء فـي سـاحة المعركة إلا أن المتلقي يستشعر فيها جمالا ولا يتداخله شعور الرهبة والرعب من المعركة الذي ورد في التصوير السابق، ذلك أن الشاعر على وعي بما يريد، إذ يسعى لجعل ممدوحه بطـلاً في ساحة المعركة قادراً على الفتك بأعدائه، وفي الوقت نفسه لا يريد أن يظهر ممدوحه بالسفَّاح أو القاتل، لذلك لجأ في تصويره إلى ألوان الزينة (الكحل، الخضاب) في محاولة لإبعاد الصـورة البشعة للقتل، وإظهار الممدوح في صورة مشرقة تتقبلها النفس كونهـا تعكـس روح الشـجاعة والبطولة، ويشخص من السيوف إنساناً سكراناً بقوله:

يَتَعثَـرْن فـي النُّحـورِ وفـي الأوْ جُـهِ سُـكْرَا لَمَّـا شَـرِبْنَ الـدَّماء[1]

فهو يجعل السيوف لكثرة سفك الدماء أناسا سكارى، وقد ساندت الحركة التشخيص فـي قوله (يتعثرن) ليرسم صورة واضحة المعالم لأثر السكر على الإنسان، فهو لا يدرك مـا يحـيط حوله ويظهر ذلك في مشيته المتعثرة، وكذلك فإن ضربات السـيوف فـي المعركـة لا تميـز مواضعها فمرة تضرب النحور ومرة تضرب الأوجه، مما يدلل على شتدَّة المعركة وحدتها وقـد كانت الدماء بمثابة الخمر.

ويحشد مجموعة من الصور التشخيصية ليصور نزول المطر ومـا ينـتج عنـه مـن اخضرار الأرض وتفتح الزهور، وذلك بقوله:

إنَّ السَّـماءَ إذا لَـمْ تَبْـكِ مقلَتُهـا لم تضحكْ الأرضُ عن شيءٍ مِنْ الخُضَـرِ
والزَّهْـرُ لا تنجلـي أحداقُـه أبَـدا إلا إذا مَرِضَـتْ مِـنْ كَثْـرَة المَطَـر[2]

---

(1) **الديوان**، 18/1.
(2) **نفسه**، 1116/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد امتلأت اللوحة السابقة بالتشخيص إذ جعل من السماء الممطرة شخصاً باكياً، وبكاء السماء تقابله الأرض بالضحكات المكللة باللون الأخضر، ثم شخص الزهر إنساناً لا تشفى أحداقه إلا إذا مرض لكثرة المطر، وبذلك اجتمعت صور التشخيص في لوحة واحدة صور من خلالها تساقط المطر الذي فيه حياة الأرض وتفتح الزهور، وقد وظف اللون الأخضر في خدمة الصورة فربطه بضحكات الأرض التي هي دليل الحياة والخصوبة والنضارة مما منح الصورة جمالاً ينبض بالحياة.

كما وظف اللون الأخضر في صورة تشخيصية أخرى في حديثه عن الهوى إذ يقول:

ودموعُ المُحِبِّ إن عَصَتْ العُذَّال كانَتْ طوع النَّوى والصُّدودِ
يا لَخُضْرِ يَنُحْنَ في القُضُبِ الخُضْرِ على كلِّ صاحبٍ مفقودِ[1]

يعبر عن لوعة المحب من الفراق الذي يؤدي إلى انسكاب الدموع، حتى إنّ الحمائم قد شعرت به فشخّصها إناساً ينوحون على كل من فقد حبيبا، والنواح دليل ألم وعذاب يشعر به الإنسان، ولكن لم جعل الشاعر هذه الحمائم تنوح رغم أنها تعيش في اخضرار العيش ؟ إنه يريد أن يبين اللوعة والألم اللذين يعتصرانه حتى إن تلك الحمائم قد شعرت بألمه وحزنه.

و يصور نائبات الزمان بأشخاص في قوله:

تقَضّى الصِّبَا إلا تَلُّومَ راحلٍ وأغْنَى المشيبُ عنْ مَلام العواذلِ
وتَأْبَى صروفُ الدَّهْرِ سوداً شُخوصُها على البيضِ أن يحظينَ منِّي بطائلِ[2]

ويبدو الشاعر حزيناً متألماً في هذه الصورة ذلك أن الصِّبا قد تولى، وظهور الشيب قد أغناه عن الملامة، ثم يصور في البيت الثاني نائبات الدهر بأشخاص سود وقفوا حائلا أمام الفتيات أن يأخذن نصيبهن من الشاعر، ويأتي هذا التصوير ليعكس صورة مصائب الدهر التي مثلها

---

(1) **الديوان**، 632/1.
(2) **نفسه**، 1862/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأشخاص سود مما يوحي بالرعب والخوف وتعاسة العيش التي يحياهـا الشـاعر، وكـل هـذه المعاني التي حملتها الصورة إنما عكسها اللون الأسود.

ومن الجوانب التصويرية في الصورة المفردة التجسيد ويعني "تقديم المعنى فـي جسـد شيئين أو نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية"[1]، وقد ورد التجسيد عند البحتـري في صور عدة من ذلك قوله:

تركـتُ سـوادَ الشـكِّ وانحـزتُ طالبـا بيـاضَ الثُّريـا حيـثُ مـالَ ذبالهـا[2]

فالشك معنوي، وقد أكسبه الشاعر صفة المحسوس المتمثل في اللون في كلمـة سـواد، ليرسـم صورة ظلالها الابتعاد عن الوقوع في الشك والانجرار في هواه، وهو بذلك التجسيد نقل الشـك من معناه المحدود إلى معنى أكثر اتساعاً عندما أضاف السواد إليه مما عمق أثره فـي الـنفس فأصبح منفراً، وفي صورة أخرى ظهر فيها اللون الأسود قوله:

أَدَبٌ لـم تُصِـبْهُ ظُلمـةُ جَهْـل فهو كالشَّـمسِ عنـد وقـتِ الطُّلـوعِ[3]

ويظهر التجسيد في قوله "ظلمة جهل"، الجهل معنوي ونقله الشاعر إلى العالم المحسوس بقولـه "ظلمة"، ليرسم له صورة يحيطها السواد حيث العتمة وانعدام الرؤية، مما يثير في النفس الخوف والرعب، كما جسد من الظلم ظلاما في قوله:

تَجَلَّـى فَـأَجْلَى ظلمـةَ الظلُّـمِ عـنهم وأشـرقَ فـيهم عدلُـهُ وروافـدهُ[4]

فيتجلى التجسيد في صورتين متقابلتين، الأولى في قوله ظلمة الظلم، فالظلم ليس محسوساً وجسد منه ظلاماً وهو أمر مدرك ومحسوس مشاهد، ليرسم بذلك صورة البشاعة للظلم تمثلـه بـاللون

---

(1) الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ص168.
(2) **الديوان**، 164/3.
(3) **نفسه**، 1280/2.
(4) **نفسه**، 584/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسود رمز القبح، وفي صورة مقابلة يصور فيها العدل في قوله "أشرق عدله" حيث جسد العدل في صورة الشمس المشرقة ليؤكد بهذا التجسيد عدل الممدوح مما يثير في نفس المتلقي البهجة والفرحة، والصورتان متقابلتان: الأولى شكَّلها اللون الأسود للظلم والثانية شكَّلها اللون الأبيض للعدل، وقد خدم هذا التضاد المعنى الذي أراده الشاعر وهو الإعلاء من شأن ممدوحه وإكسابه صفة العدل ومحاربة الظلم، ومن صور التجسيد التي كان للون الأسود دور في تشكيلها قوله:

ومـــدَّ الهـــوانُ علـــى شَخْصِـــه حواشـــي ثيـــابٍ مـــن الـــذُّلِ أســـود[1]

فالذل معنوي، وقد أكسبه الشاعر صفة المحسوس حين جعل منه ثيابا سوداء؛ فاللون الأسود لون شؤم وكآبة وقد جاء اختياره مناسبا لصفة الذل التي لا تتقبلها النفس الإنسانية.

ومن صور التجسيد أيضا قوله:

إلى فتـــى مشـــرق الأخـــلاق لـــو سُـــبِكَتْ أخلاقهُ مِنْ شـــعاعِ الشَّـــمْسِ لـــم تَـــزِدِ[2]

فكلمة الأخلاق تحمل مدلولاً معنوياً، وقد منحها الشاعر صفة المحسوس حين صبغها بالإشراق وهي أمر محسوس مشاهد، فأخلاق الممدوح رفيعة وعالية حتى لو أنها سبكت من أشعة الشمس لم تزد عليها شيئا، في دلالة على حسن خلقه ورفعته، وقد وظَّف الشاعر اللون الأبيض في صورته "الإشراق" ليرسِّخ في ذهن المتلقي أن ممدوحه على قدر عالٍ من الأخلاق.

الصورة المركبة

تتكون من مجموعة من الصور المفردة أو البسيطة المتآلفة مع بعضها بعضاً، يسعى الشاعر بها إلى تقديم فكرة أو عاطفة أو موقف على قدر من التعقيد أكبر من أن تستوعبه صورة

---

(1) **الديوان**، 766/2.
(2) **نفسه**، 574/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسيطة، فيجعلها متلاحمة في هذا البناء ليرسم بها لوحة من لوحاتــه أو مشــهداً مــن مشــاهده الشعرية[1]، ومن الصور المركبة التي وردت عند البحتري -وقد صبغت باللون- قوله في غلام رومي:

رَشَــــأٌ تخبـــــرُ القَراطِـــــقُ منـــــه ... عَـــنْ كَنَـــارٍ يضـــيءُ تحـــتَ الكنـــارِ
لـــكَ مِـــنْ ثغـــره وخدَّيْـــهِ ماشئـــــ ... ـــــتَ مِـــنْ الأُقحـــوانِ والجُلَّنـــارِ
أَعجَمـــــيٌّ إلا عُجَالَـــــة لفـــــظٍ ... عربـــــيٍّ تَفَـــــتُّحَ النُّـــــوَّارِ
وكـــــأن الـــــذكاءَ يَبْعَـــــثُ منـــــهُ ... فـــي ســـوادِ الأُمـــورِ شـــعلةَ نـــارِ[2]

ويصف الشاعر في هذه الأبيات الغلام الذي يريد أن يمتلكه، فيأتي له بصور عدة تتجمع لتشكل صورة مكتملة لصفات ذلك الغلام، فهو أولا كالظبي ثم كالكنار حسن الصوت والشــكل، ويوضح ملامح وجه ذلك الغلام فثغره كزهر الأقحوان وخدوده كالجلنار فطلعتــه بهيــة حســنة يستحسنها المتلقي، ثم ينتقل فيصور لغته ومعرفته القليلة بالعربية بتفتح النوار، ثم هو غلام ذكــي وهذا الذكاء مثل شعلة النار إذ يضيء بها الأمور التي صورها بدورها بــاللون الأســود، وقــد اجتمعت هذه الصور مكونة فكرة عن الغلام الذي يريده الشاعر، وقد لعبت الألوان دوراً بــارزاً في توضيح معالم الصورة إذ أعطت أوصافاً دقيقة للغلام استطاع المتلقي بها أن يرسم صــورة بهية في ذهنه، أما جمال محبوبته فيصفه بصورة أخرى إذ يقول:

إذا ســـفَرَتْ رأيـــتَ الظَّـــرَفَ بَحْتـــا ... ونـــارَ الحُســـنِ ســـاطعةَ الضِّـــرامِ
تَظُـــنُّ البَـــرقَ معترضـــاً إذا مـــا ... جَـــلا عَـــن ثَغْرِهـــا حُسْـــنُ ابتســـامِ
كَنَـــوْرِ الأُقْحُـــوانِ جَـــلاهُ طَـــلٌّ ... وَسِـــمْطِ الـــدُّرِ فُصِّـــل فـــي النِّظـــامِ[3]

---

(1) ينظر: أبو إصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين**، ص 60.
(2) **الديوان**، 989/2. القراطق: جمع قرطق وهو شبيه بالقباء. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قرطق).
(3) **نفسه**، 1932/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتشكل الأبيات السابقة صورة مركبة من صور جزئية عدة ليصف الشاعر جمال محبوبته وحسنها، وقد جاءت هذه الصور ممتزجة بعنصر اللون فطلعتها كالنار المشعة التي تؤجج المشاعر، ثم يصف ثغرها وابتسامتها بالبرق لشدة جماله، كما يصفه بنور الأقحوان الذي تساقطت عليه حبات الندى.

وفي صورة ثالثة شبه أسنانها بعقد الدر، وقد عمد الشاعر في صوره إلى تكثيف اللون الأبيض في الكلمات (البرق، نور، الأقحوان، الدر) ليمنح المحبوبة صفة الجمال النقي الطاهر مما يضفي عليها صفة القداسة وهذا ما يظهر في قوله:

ما جُرْمُ مَنْ هام بِذي لوعةٍ شبيهةٌ شَمْسِ الضُّحى الأكبر
كأنما صورَتُها في الدُّجى قنديلُ قِسِّيسٍ على مِنْبَر[1]

وهو يعطي صورة مشرقة للمحبوبة إذ يصورها بشمس الضحى فهي متلألئة يعم نورها الأرض، وهو بهذا يزيد من بهاء محبوبته، ويعلي من شأن جمالها بأن يصفها في الظلمة بقنديل الراهب على المنبر، وتظهر هذه الصورة قدسية مثلها اللون الأبيض منعكساً في قوله (شمس الضحى ونور القنديل) وكأن الشاعر يريد أن ينتقل من الوصف الحسي للمحبوبة إلى الصفات الروحانية لها المتمثلة في العفاف والطهر والنقاء.

أما الصفات الحسية فقد مثلها في قوله:

من قِبَل داعيةِ الفُراق ورحلِه منَعتْ مغازلةَ الغَزالِ الأدْعجِ
رَفعوا الهوادجَ معتمينَ، فما تَرَى إلا تلألُؤَ كوكبٍ في هودَج[2]

إذ يرسم صورة للمحبوبة في هودجها لحظة الفراق، فهي كالغزال ذي العيون السوداء ثم أنها تظهر في الهودج كالكوكب المتلألئ، وقد أشار إلى عتمة الهودج ليبرز جمال المحبوبة، وتجتمع

---

(1) **الديوان**، 1088/2.
(2) **نفسه**، 400/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصورتان لترتسم في ذهن المتلقي صورة مركبة مضمونها فتاة في غاية الحسن والجمال الـذي تستمتع به العين وتعشقه الروح، وقد خطت الألوان الصورة وزادتها جمالا بما فيها اللون الأسود للعيون واللون الأبيض لبشرة المحبوبة، وهي سمات جمال عرفها العربي ممـا مـنح الصـورة بروزا وعلوقا في الذهن.

ومما صور به المحبوبة قوله:

هـل أنـتِ إلا قضـيبُ البـانِ تَعْطفُـهُ مَرضـى الريـاحِ وتَعْـدوه فيعتَـدِلُ

أو الغزالـةُ فـي دَجْـنٍ يغازلُهـا أو ظبيـةُ البـانِ فـي أجفانِهـا كَحَـلُ[1]

حيث يصور المحبوبة بصور عدة مفردة، تجتمع مشكلة صفات جميلة لها؛ إذ صور قدها بغصن شجر البان الذي يتمايل مع الرياح، ثم يصورها بالشمس عند ارتفاعها بين الغيوم، ثم هي كظبية البان في جمال عيونها، وقد اتحدت هذه الصور معا لتعطي صفات المحبوبة الجسدية من طـول القد والإشراق، والعيون المكتحلة باستخدامه الألوان، فرسم بذلك صورة مشرقة للمحبوبة ويكرر ذلك في وصف غلام له:

سِـحْرُ عينيـكِ قَهْـوَتي، وثَنَايـا كِ مَزاجـي، وَوَرْدُ خـدّيكِ وِرْدِي[2]

ففي الصورة الأولى وصف جمال عينيه بالقهوة (الخمر) فعيونه مسكرة كـالخمر، أمـا شـفتاه فيكمن فيهما مزاجه، ثم صور خدود ذلك الغلام بالورود التي يقطفها ليعطي صورة من الحسـن لوجهه.

ومن الصور المركبة الواردة عنده قوله:

عِشْ سـعيدا، واشـربْ هنيئـاً ولا تعـ دَم سـراةً مِـنْ عِلْيَـةِ الإخـوانِ

مِـنْ مـدامٍ كأنَّهـا ذوبُ تِبْـر مـائعٌ أو مُجاجَـةُ الزَعفـرانِ[3]

---

(1) **الديوان**، 1725/3.

(2) **نفسه**، 523/1.

(3) **نفسه**، 2367/4. مجاجة: عصارة كل شيء. ينظر ك ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مجج).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا يصور الشاعر مجلس الخمر والسعادة التي تكتنفه، بسبب معاقرة الخمر مع الإخوان، فصورها أولا بالذهب ثم بعصارة الزعفران، والصورتان تعكسان صفاء وبريقا أوحى بهما اللون الأصفر، لتكتمل الصورة الجذابة للخمر مما يزيد الرغبة في الإقبال عليها والتمتع بلذتها.

ومن جمال الصور المركبة التي وردت عنده قوله يصور عطاء ممدوحه:

وَوَجْهٌ رَقَّ مَاءُ الجودِ فيه ... على العَرنينِ والخَدِّ الأسيلِ
يُريكَ تَألُّقُ المعروفِ فيه ... شعاعَ الشَّمْسِ في السّيفِ الصقيلِ[1]

حيث يصور العطاء الجزل الذي هو سمة في الممدوح، متخذاً من الوجه أداة للتصوير فيأتي بصورتين مفردتين تشكلان معاً صورة مضمونها الكرم والسخاء، الأولى صور العطاء الذي يعلو وجه الممدوح كالماء الذي يسيل على الأنف والخد، وجاءت الصورة الثانية لترسم ملامح المعروف المتألقة في وجهه بشعاع الشمس الساقط على السيف الصقيل. وإنما استعار الوجه ليرسم صورته لأنه مرآة النفس الإنسانية، ويظهر اللون الأبيض ببريقه وتألقه طاغياً على الصورة ليمنحها سمة السطوع والنورانية المتمثلة في كرم الممدوح وسخائه، وهي الفكرة التي أراد أن يبرزها الشاعر.

الصورة الكلية

تجسد الصورة الكلية الفكرة العامة في القصيدة، وهي تتشكل من صور جزئية تتلاحم معاً مكونة الفكرة الكلية للقصيدة، إلا أن "تلاحم الصور الجزئية لها جمالياتها الخاصة التي تنبع من ذاتها، ويكون للصورة الكلية القدرة على منح المتلقين تأثيراً فريداً يختلف عن تأثير الصورة

---

(1) **الديوان**، 1738/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجزئية المفردة"[1]، وذلك أن "كثيراً ما تكون المفردات والصور الجزئية غير مثيرة أو مؤثرة بذاتها، ولكننا حين نتمثلها في الصورة الكلية نستكشف من خلالها الأعاجيب، تبدأ رحلتها من وجدان الشاعر تخرج للوجود بما تجسم فيها من أهواء ونزعات تختلج في اللاشعور الجمعي عند الإنسان"[2]، ولذلك "فالصورة الكلية لها القدرة على الإشعاع في كل اتجاه، وفي مجموع أبيات القصيدة تكشف عن المعاني وعن الجديد في الصور الجزئية، تؤلف بينها فلا تبقى مبعثرة ينساح فيها تفكير القارئ وتتمزق وحدة شعوره"[3].

وقد ظهرت الصور الكلية في كثير من شعر البحتري، وكان اللون أحد عناصرها، من ذلك قوله:

سقى الغيثُ أكنافَ الحِمَى من مَحِلَّة ... إلى الحقْفِ من رملِ اللَّوى المتقاود
ولا زالَ مُخْضَرٌّ من الروضِ يانعٌ ... عليه بمحمرٍّ من النَّوْرِ جَاسدِ
يذَكِّرُنا ريَّا الأحبَّةِ كلَّما ... تَنَفَّس في جُنحٍ من الليل بارد
شقائقُ يحملنَ النّدَى فكأنَّهُ ... دموعُ التَّصابي في خدودِ الخرائد
ومْن لؤلؤ في الأقْحُوانِ مُنَظَّمٍ ... على نُكَتٍ مصفرَّةٍ كالفَرَائدِ
كأنَّ جنَى الحوذان في رَوْنَقِ الضُّحى ... دنانيرُ تِبْرٍ من تُوأَمٍ وفاردِ[4]

وتبدأ الصورة الشعرية بذكر هطول الغيث الذي يتسبب عنه الاخضرار، ثم يصور الروض المخضر اليانع بما فيه من النوار الأحمر، وهو بجماله ونسيمه يذكر برائحة الأحبة، وذلك كلما هبَّ نسيمه ليلاً حيث الوقت الذي يخلو فيه الشاعر بنفسه ويلتقي بطيف الأحبة، ثم ينتقل إلى

---

(1) علي، أبو زيد، **الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي**، ص 403.
(2) إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر**، ص 163.
(3) عساف، ساسين، **الصورة الشعرية ونماذجها في شعر أبي نواس**، ص 35.
(4) **الديوان**، 1/623-624.
الحقف: المعوج من الرمل. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حقف).
اللوى: ما التوى من الرمل. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لوي).
المتقاود: المستوي. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قود).
الخرائد: جمع خريدة وهي البكر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خرد).
الفرائد: جمع الفريد وهي الجواهر الفريدة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (فرد).
نكت: الدر إذا نظم وفصل بغيره. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نكت).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصوير آخر يجمع فيه وجه الشبه بين الروض وما يحويه ودموع المحب، فيأتي بصورة الندى الذي تساقط على شقائق النعمان وكأنه دموع الفتيات على خدودهن المحمرة، ثم يصور زهر الأقحوان باللؤلؤ المنظم في عقد نفيس، ثم يكمل صورة الروض بذكر نبات الحوذان إذ يشبهه في الضحى بالدنانير الذهبية، وترتسم الصورة بمجموعة من الألوان (الأخضر والأحمر والأبيض والأسود والأصفر) في تناسق ملحوظ يثير انتباه المتلقي، وكأنه أمام لوحة لتلك الرياض ترغبه في إطالة النظر فيها لجمال ألوانها ودقة رسمها.

ويحشد ألوانا أخرى لإبراز صورة الأرض في قوله:

أَسعدا الغيثَ إذ بكاها وإن كا ... نَ خَليا مِنْ كلِّ ما تجدانِ
جاد فيها بنَفْسِهِ فاستجَدَّت ... حُلَلا مِنْه جَمَّةَ الألوان
فهي تهتزُّ بين إفْرِنْده الأخ ... ضَر حُسْناً ووشيهِ الأرجُوَاني
في سماءٍ مِنْ خُضْرَةِ الرَّوضِ، فيها ... أنجُمٌ من شقائق النُّعْمَان
واصْفِرارٍ مِنْ لونهِ وابيضاضٍ ... كاجتماعِ اللُّجَيْنِ والعِقْيان
وتُريكَ الأحبَابَ يومَ تلاقٍ ... باعتِنَاقِ الحَوْذان والأُقْحُوان
صاغَ منها الرَّبيعُ شَكْلاً لأخلا ... قِ "حسين" ذي الجودِ والإحْسان
فكأنَّ الأشجَار تعلُو رُباها ... بنثيرِ اليَاقوتِ والمُرْجان
وكأنَّ الصَّبا تردد فيها ... بنسيمِ الكافورِ والزَّعفران[1]

ويشكل النص السابق صورة مفعمة بالألوان داخلها صور جزئية تكاتفت معا لبناء صورة الرياض، وقد اعتنى الشاعر برسم صورته للإشادة بالممدوح وأخلاقه العالية، فتشكلت بداية بنزول المطر وقد جاد هذا الغيث حتى جددت الأرض حللها بمختلف الألوان، ثم تبدأ معالم الصورة بالبروز جزءاً جزءا لتكتمل في النهاية في ذهن المتلقي، فالأرض تتراقص باللون

---

(1) **الديوان**، 4/2197 - 2198.
حسين: هو الممدوح الحسين بن حسن بن سهيل. ينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 118/8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخضر الذي كساها، وكذلك لون الورود الأرجواني، وقد طغى اللون الأخضر على الرياض حتى شكَّل سماءً لها كانت شقائق النعمان نجومه. أما اللونان الأصفر والأبيض للأزهار الأخرى فهي مثل صورة اجتماع الفضة والذهب، وأما نباتات الحوذان والأقحوان فهي تذكر بلقاء الأحبة، وهذه الصورة البديعة في ألوانها تعكس صورة أخلاق الممدوح في الكرم والإحسان ثم يعود ليتم بناء الصورة فالأشجار فيها كأنها ياقوت ومرجان، والنسيم العليل محمل برائحة الكافور والزعفران، والمتأمل للصورة يجد أن الشاعر قد مزج بين ألوان النباتات في الرياض وبين أدوات الزينة (اللجين والعقيان والياقوت والمرجان) ليزيد من قيمتها، ثم يمزج في البيت الأخير في هذه الصورة بين اللون والرائحة عندما ذكر الكافور والزعفران إذ أشار إلى الرائحة الذكية مما حرك حاسة الشم لدى المتلقي، وجعل الصورة نابضة بالحياة.

وفي صورة أخرى تجتمع فيها الألوان يصف غصنا في أحد الرياض فيقول:

وقضيبٍ كأنَّهُ نفحَةُ المِسْـ ... ـكِ على زهْرةٍ غَدَت بين غُدْر
تتكفَّا به رياضٌ مِنَ الرَّيـ ... ـحان تهفُو على دَيابيج خُضْر
رقَّ حتى كأنَّهُ الفضةُ البيـ ... ـضاءُ إذ أُلبسَتْ خميصةَ تِبْر
صِيغ من صفوةِ الزُّلال، ولكنْ ... مِنْ زُلَال مجَسَّدٍ ليس يجري
لم تُطِقْ وصْفَه العقولُ فأضحى ... رَهْنَ خَطْر يدورُ في كلِّ فكر
بأبي مَنْ إذا نظرتُ إليهِ ... طابَ عُمْري، ولذَّ فكري وذكري
واكتَستْ وجنتاه وَرْدا جنيا ... واكتسى جِسْمُهُ غلائلَ خَمْرِ
خَجَلاً يكْتَسْي به حمرةَ العصـ ... ـفُرِ من خيفَتي وطاعةِ أمري[1]

وهذه صورة أخرى يرسمها الشاعر لأحد الأغصان في الرياض، يصل بها إلى وصف محبوبته، يصور الغصن برائحة المسك على الزهور بين الغدران، وهو وسط رياض من الرياحين التي

---

[1] **الديوان**، 2/ 1113.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتحرك في اخضرار من العشب، ثم تأتي الصورة الثالثة تصور نعومته كأنه الفضة المطلية بالذهب، ثم يبين في صورة رابعة أن صياغته كانت كالجليد، وهو لجماله لا تستطيع العقول وصفه حتى إنّه غدا كالخاطر في فكر كل من يراه، وبذلك أثار التفكير حول جمال هذا الغصن وشغل العقول به، وفي هذا اللحظة ينتقل إلى وصف محبوبته بصور جمالية أخرى إذ ينقل المتلقي من صورة جمالية بديعة تمثلها في الغصن إلى صورة محبوبته لتتضح في الذهن معالم الصورة مكتملة، فعند النظر إلى المحبوبة يلذ الفكر، تتتابع الصور فتأتي صورة الخدود الموردة، أما الجسد فقد كسي لباس الخمر، ولعله يشير إلى النشوة التي يشعر بها عند النظر إلى محبوبته كتلك التي يشعر بها في معاقرة الخمر، ثم إن هذه المحبوبة خجلة مما يزيدها أحمرارا، والأحمرار صفة حياء تميزت بها المحبوبة مما زاد في جمالها وحسنها، والرغبة فيها، وقد تداخلت في هذه الصورة عناصر عدة إلى جانب الألوان، فقد ظهر عنصر الرائحة المرتبط بالمسك ثم تأتي حركة الريحان بين الرياض المخضرة مما أشعر المتلقي بأنه حقيقة يجلس في الروض فهو لا يرى الصورة فحسب بل يشم الرائحة ويشعر بحركة النسيم من حوله، مما يدل على براعة الشاعر في إثارة خيال المتلقي بإضفائه هذه العناصر على الصورة.

ومن الصور الكلية التي يثني فيها على ممدوحه قوله:

فتى لا يزالُ الدهرُ حولَ رِباعِهِ ... أيادٍ لهُ بيضٌ وأفنيةٌ خُضْرُ
أضاءَ لنا أفْقَ البلاد، وكَشَّفَتْ ... مشاهدهُ ما لا يكشِّفُه الفَجرُ
بوجهٍ هو البَدْرُ المُنيرُ نَفى الدُّجى ... سناهُ، وأخلاقٌ هي الأَنْجُمِ الزُّهرُ
غمامُ سماحٍ ما يَغِبُّ لهُ حيا ... ومسعرُ حربٍ ما يضيعُ لهُ وترُ
وحارسُ مُلْكٍ ما يزالُ عَتَادُه ... مهندةٌ بيضٌ وخطيَّةٌ سمرُ[1]

[1] **الديوان**، 2/ 845. يغبُّ: يجيء يوماً، وينقطع يوماً. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غبَّ).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذ يظهر ممدوحه في أبهى الصّور والصفات المحبذة في القائد، يرسم الصورة الأولى لعطائه وكرمه فأيديه بيضاء وأما أفنيته فهي خضر دلالة على الحياة الهانئة في ظل حكمه، ثم يصفه بالعادل ويرسم صورة له بالضياء الذي عمَّ البلاد وأنارها أكثر مما ينير الفجر الدنيا، أما وجه ممدوحه فهو كالبدر الذي يجلي عتمة الدجى وأخلاقه الكريمة كالنجوم اللامعة، ثم هو إنسان متسامح، وشجاع في المعركة لا يضيع ثأرا له، ونهاية هو حارس للملك يحمي ملكه بسيوفه البيضاء ورماحه السمر، وقد تدرج الشاعر في عرض صوره من العطاء إلى الحياة الهانئة إلى الأخلاق الكريمة ثم التسامح فالشجاعة ليخط من خلالها معالم صورة مشرقة وبراقة مثلها باستخدامه الألوان وما كانت الصورة لتظهر بهذا الرونق لولا وجود الألوان التي صبغتها بتلك الصبغة.

وفي صورة أخرى يصف ممدوحه إذ يقول:

لاقيتُ جودَك بالسَّماعِ ودونَنا ... شُغل المهاري من فضاء سبسب
ورأيتُ بشْرَك والتنائفُ دونَه ... واللَّيلُ يكشف غيهباً عن غيهب
وتبسُّماتِك للعطاءِ كأنَّها ... زهرُ الرَّبيعِ خلالَ روضٍ مُعْشب
هل أنتَ مبلغي التي أغْدُو لها ... بمقلَّص السِّربَال أحمَرَ مُذْهب
لو يوقَدُ المِصباحُ منه لسَامَحَتْ ... بضيائه شيةٌ كَضَوءِ الكوكب[1]

تُظْهِر الأبيات السابقة لوحة جديدة تشكلت من صور مفردة تصف الممدوح،فهو جواد وقد سمع الشاعر بهذا الجود عبر المفازات، أما بشره وعطاؤه فقد رآهما في عتمة الليل، وأمَّا حبه للعطاء فهو مثل زهر الربيع في روض مليء بالعشب ثم يتساءل إذا كان الممدوح سيوصله إلى العطايا التي يسعى لها.

---

[1] **الديوان**، 284/1.
السبسب: المفازة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سبسب).
التنائف: جمع تنوفة وهي المفازة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (تنف).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرسم صورة كلية أخرى لممدوحه في خوض المعركة فيقول:

وإذا ما غدا (أبــو الجــيش) فــي الجـــ ـــشِ غــدا الحَــزمُ مســتمرا مريــرهْ
مـــا تجلَّـــى لظلمـــةِ اللّيـــل إلاّ أطفـــأَ الأنجـــم المضـــيئة نـــورهْ
واضــحٌ فــي دُجــى الخُطــوب، وحَــتمٌ أن يســودَ السَّــحابُ حســناً صــبيرهْ
تتفــادى الأعــداءُ مــن سَــطوِ ليــثٍ خَضِــلٍّ مِــنْ دمــائِهم أظفــورهْ[1]

وتحمل الأبيات السابقة فكرة عن شجاعة الممدوح في خوض المعارك، ويحشد الشاعر هذه الفكرة عبر مجموعة من الصور التي تحلق بالمتلقي إلى ساحة المعركة، فهو لشدة نوره وضيائه غلب نور النجوم فأطفأها، ثم يأتي بصورة الدّجى وينسبها إلى المعارك ويجعل ممدوحه واضحا في خضمها وهو كالأسد في سطوته، ينشب أظفاره في أجساد أعدائه. وبهذا شكل صورة مشرقة للممدوح تمثلها في اللون الأبيض، أما صورة الشجاعة والفروسية فقد تمثلها في اللون الأحمر الذي ربطه بسفك دماء العدو.

وتظهر الألوان جلية في وصف المحبوبة إذ يقول:

وهُــوَ فــي حِلْيــةِ الشَّــبابِ يضــاهي جِــدَّةِ الــرَّوضِ مُشْــرِقاً نــوَّارُهْ
صِــبغُ خَــدٍّ يكــادُ يــدمَى احمــرارا وردُه فــي العيــونِ أو جلُّنَــارهْ
وفتــورٌ مــن طَــرفِ أحــوى إذا صــر فَــه أعنَــتَ القلــوبَ احــورارُهْ[2]

صورة جمالية للمحبوبة عمادها الألوان (الأبيض، الأحمر، الأسود) فهي في شبابها وحيويتها تماثل الروض الذي أزهر نواره، أما خدودها في أحمرارها فهي كالورد أو الجلنار، ثم تأتي صورة العيون الفاترة الحوراء بما تثيره من جاذبية فتعلق القلوب بها.

---

(1) **الديوان**، 910/2. أبو الجيش: الممدوح وهو خمارويه بن أحمد بن طولون. ينظر: ترجمته، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 409/7-415.
(2) **نفسه**، 906/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الصور التي مازجتها الألوان في وصف محبوبته قوله:

هــزّ منهــا شَــرخُ الشَّــباب فَجالَــتْ فــوقَ خَصــرٍ كثيــرِ جْــولِ الوشَــاحِ
وأَرَتْنــا خَــداً يُــراحُ لــهُ الــور (م) دُ، ويشــتَمُّه جَنَــى التُّفــاحِ
وشَــتيتا يَعُــضُّ مِــنْ لؤْلُــؤ النَّظْــ (م) ـمِ، ويُــزْري علــى شَــتيتِ الأَقــاحِي
فأضَــاءَتْ تحــتَ الدُّجنَّــةِ للشُّــرْ (م) بِ، وكــادَتْ تُضــيءُ للمِصْــباحِ
وأشــارَتْ إلــى الغِنــاءِ بألحــا (م) ظٍ، مِــرَاضٍ مــن التَّصَــابي صِــحاحِ
فَطربنــا لهُــنَّ قبــلَ المثــاني وَســكرْنا مِــنْهنَّ قَبْــلَ الــرَّاحِ
قــد تــديرُ الجفــونُ مــن عَــدم الأَلْــ (م) بــابِ مــا لا يــدور فــي الأَقْــدَاح[1]

فهو يصور المحبوبة التي جالت بين الحاضرين في مجلس الشراب، مظهراً سمات جمالها المتمثلة في شبابها ونضارته، ثم في خصرها الرقيق، والخد المورد، والأسنان البيضاء الجذابة التي صورها مرة باللؤلؤ، وأخرى بزهر الأُقحوان مما منحها ضياء أزالت فيه ظلمة الليل، فكأنها مصباح، أما عيونها الفاترة فمسكرة قبل شرب الخمر، وهي تأخذ الألباب وتفعل بها ما لا يفعله الخمر. وقد اشترك مع الألوان عناصر أخرى لتشكيل الصورة كالحركة التي مثلها في قوله (هز، جالت، أشارت، تدور)، كما وظّف حاسة البصر في قوله (أرتنا) وحاسة الشم في قوله (يشتم) وحاسة السمع في قوله (طربن)، وامتزاج هذه العناصر معاً جعل الصورة نابضة بالحياة، تشعر المتلقي أنه أمام مشهد متحرك وليس أمام صورة جامدة، ومن ذلك ما وصف به الفتيات الجميلات في خدورهن إذ يقول:

يَضْــحَكْن عــن بَــرْدٍ ونَــوْرِ أَقــاح وَيُشْــبنَ طَعْــمَ رِضــابِهنَّ بــراح
وإذا بَــرَزْنَ مِــنْ الخُــدورِ سَــفَرْنَ عــن همِيــك مــن وَرْد ومِــنْ تفــاح
وإذا كَســرْنَ جفــونَهنَّ نَظــرْنَ مــن مرضــى – يشــفك ســحرهنّ- صــحاح

[1] **الديوان**، 1/ 457-458.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تظمـــأُ إلـــيهنَّ القلـــوبُ، وقـــد تـــرى فـــــيهنَّ رِيَّ الهـــــائمِ المُلْتـــــاح

والحـــب ســـقمٌ للصـــحيح إذا غـــلا فيـــه المُحـــب، ونشـــوةٌ للصـــاحي[1]

وهي صورة تشابه الصورة السابقة إلا أنها تبرز لوعة المحب وسقمه في حبه، فقد تشكلت الصورة الأولى من وصف أسنان الجميلات البيض إذ صورها مرة بالبرد، وأخرى بنوار الأقاحي الأبيض، ثم جعل طعم ريقهن في لذته كالخمر، ثم يصورهن وقد غادرن الخدور بالورد والتفاح في إشارة إلى لون الخدود، وتأتي صورة الجفون الفاترة مرة أخرى لما لها من أثر أليم توقعه في نفس المحب، مما يجعل القلوب ظمأى إليهن فيقع المحب في الهوى إذ يغدو مصابا بهذا السقم، والناظر في هذه الصورة يتتبع طريق الوقوع في الحب؛ فهي تبدأ بملامح الجمال الحسية من بياض الأسنان إلى توريد الخدود إلى الجفون الناعسة، وما فيها من سحر، وارتسمت الصورة بعناصر مختلفة إذ كشفت الألوان عن السمات الجمالية الحسية للمحبوبة، كأسنانها البيضاء وخدودها الموردة، ثم جاءت حاسة الذوق ليحرك الشاعر من خلالها الشهوة تجاه تلك الفتيات وذلك بقوله (يشبن رضابهن براح) ثم يأتي عنصر الحركة ليضفي على الصورة شيئا من الحياة وقد تمثل ذلك في قوله (برزن، كسرن، نظرن) كما يتمثل حركة العيون الناعسة لتلك الفتيات وما فيها من سحر يوقع في شراك الهوى، وعنصر الحركة جعل المتلقي في حالة من الإنشداه نحو تلك الفتيات، فيظل مشدودا ينظر إليهن ويتابع حركاتهن خطوة خطوة.

ومن الصور الكلية التي تعكس إشراقاً وبهاءً قوله في وصف ياقوتة:

فهل أنتَ يـا (بـنَ الراشـدين) مُختِّمـي بياقوتَـــةٍ تَبهَـــى علَـــيَ وتُشـــرِقُ

يغارُ احمرارُ الوَردِ مـن حُسـنِ صِـبْغِهَا ويحكيـــهِ جَـــادِيُّ الرَّحيـــق المعتَّـــقُ

إذا بـــرَزت والشـــمسَ قلـــتُ: تجارتـــا إلـــيَ أمَـــد، أو كـــادَتْ الشـــمسُ تســـبقُ

---

[1] **الديوان**، 1/ 476.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا التهبَتْ في اللَّحـظِ ضـاهَى ضـياؤها جبينَـك عِنْـدَ الجُـود إذْ يتـأَلَّقُ[1]

فهو يوظف أكثر من صورة للياقوتة التي منحه إياها الممدوح، ليظهر إشراقها ونفاستها من جهة، وامتنانه لممدوحه بما وهبه من جهة ثانية، فكانت الصفة الأولى لها الإشراق ثم جعل احمرار الورد يغار منها إذ شخص من الورد إنساناً يغار، وهي في بهائها ولونها تشبه الزعفران، ثم لإشراقها وضيائها يشبهها بالشمس، أما النظر إليها فقد صوره باللهيب، وهو يريد بذلك أنها شديدة البريق واللمعان، وفي هذه الصورة يقدم الشكر لممدوحه، ويثني عليه بأن جعل إشراق الياقوتة كإشراق جبين الممدوح المتألق بالعطاء، وهكذا اكتملت الصورة وتحققت الفكرة التي أرادها الشاعر بالثناء على ممدوحه، وقد تميزت باستخدام الألوان المشرقة والمضيئة تخللها اللون الأحمر ليضفي عليها حسناً و إشراقاُ جذاباً للعين يمنح المتلقي شعوراً بالاستمتاع والتلذذ بالنظر إلى هذه الياقوتة.

الصورة الإيحائية

يشكل عنصر الإيحاء خاصة جمالية فعالة في الصورة الشعرية، فهو "يؤدي بها إلى مصاف الصورة الفنية الجمالية الموحية، مما يفتح باب التأويل، وكل تأويل هو ابتعاد عن التصريح والوضوح"[2]، "وقد تعبر بالجزء عن الكل أو تشير إلى المعنى المجرد ببعض مظاهره المحسوسة"[3]، "والصورة الإيحائية تعبير عن المطلق بالمحدد، وهي وسيلة إيحار في دنا المجهول تخلق عالماً مصفى من الأثقال المادية"[4]، "ويكون الإيحاء بالتعبير غير المباشر عن الجوانب المستترة الداخلية في النفس وإضاءة عتمتها بالكشف التعبيري الذي لا تقوى عليه اللغة

---

(1) **الديوان**، 3/1537-1538. ابن الراشدين: يقصد الخليفة المعتز بالله.
(2) البستاني، صبحي، **الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع**، ص 120.
(3) غريب، روز، **تمهيد في النقد الحديث**، ص 199.
(4) عساف، ساسين، **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس**، ص 118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في دلالتها الوضعية"[1]، "وحتى تتوافر الصفات الإيحائية للصور، على الشاعر أن يلجأ إلى وسائل تعنى بها اللغة الوجدانية، كي تقوى على التعبير عما يستعصي التعبير عنه، من ذلك إضفاء شيء من الغموض والإبهام على الصورة الشعرية بحيث تتجدد بعض معالمها، لتبقى فيها معالم أخرى ظليلة موحية"[2].

وقد عمد البحتري إلى توظيف الألوان في الصورة مبرزا في ذلك معانيها الإيحائية، إذ وظَّف اللون الأبيض في وجوه إيحائية عدة، فهو لون يوحي بالعطاء والكرم إذ يقول:

كم مِنْ يد بيضاءَ أشكرُ غِبَّها منهم وفيهم من أخٍ لي صالح[3]

فعبر عن الكرم والسخاء والعطاء بصورة إيحائية تمثلها في اللون الأبيض يقوله "يد بيضاء"، وقد اختار اليد لأنها العضو الذي يقدم بها العطاء،وبهذا قد جعل الصورة حسية قريبة إلى ذهن المتلقي، فبياض اليد يوحي بأن صاحبها خير وكريم وسخي، وقد ربط بين هذا العطاء الذي تمثله في اليد ببشاشة الوجه وكرمه في قوله:

كم من يدٍ بيضاءَ منه ثَنى بها وَجهاً تلألأ للبشاشة أبيضا[4]

في البيت السابق صورة إيحائية مشرقة للممدوح، فالبياض الذي زين يده، وكان رمز الكرم قد توج بصفة مشرقة أخرى تمثلت في الوجه المتلألئ في صورة إيحائية أخرى للون الأبيض، توحي ببشاشة وجه الممدوح وضيائه، ومما يوحي به اللون الأبيض للوجه التقوى والورع إذ يقول:

رأيت اليُمنَ والبركاتِ لَمَّا رأُيت بياضَ وجْهكِ والهلالا[5]

---

(1) صالح، بشرى، **الصورة الشعرية**، ص 47.
(2) هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، ص 418- 419.
(3) **الديوان**، 1/ 468.
(4) **نفسه**، 1200/2.
(5) **نفسه**، 1730/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذ ربط بين بياض وجه الممدوح والبركات التي حلت به، في صورة موحية لسخائه وقد استخدم اللون الأبيض لهذا الإيحاء لما يحمله من معاني الإشراق والجمال، إضافة إلى أنه يوحي بمعنى ديني ذلك أن أهل الجنة وصفوا بالوجوه البيضاء، وهذا ما يوحي به وجه الممدوح من التقوى والورع، ومن إيحاءات هذا الوجه أنه رمز العدل إذ يقول:

صَدْرٌ رُحيب، وطرفٌ ناظر أُمُمَا عندَ الحُقوق، ووجهٌ ناظرُ النور[1]

فقد صور ممدوحه بأنه إنسان متسامح، وعنده القدرة على رد الحقوق لأصحابها فهو عادل، وهذا العدل يظهر في وجهه النير ففي عبارة "وجه ظاهر النور" إيحاء بالعدل والقدرة على تمثل القضايا وإعطاء الحقوق لأصحابها، وبياض وجه هذا الممدوح ينعكس على وجوه قاصديه وفي ذلك يقول:

يردُّ بني الآمالِ بيضا وجوهُهم بنائلهِ جَمِّ العطايا جزيلها[2]

فيصور قاصدي الممدوح وقد رجعوا فرحين مسرورين بما نالوا من جزيل عطاياه، وهذه الصورة مثلها بقوله "بيض وجوههم" في معنى تمثله الرضا والسرور، وقد أوحى بهذه المعاني من خلال اللون الأبيض لما يحمل من معاني الصفاء والنقاء،وتكرار هذه الصور الإيحائية للون الأبيض لليد والوجه منحها صفة النمطية في صور البحتري المعبرة عن كرم الممدوح وعطائه.

ويوحي اللون الأسود للوجوه بمعان معاكسة لما يوحيه اللون الأبيض إذ يقول:

لأقشعَ عَنْ تِلكَ الوجوهِ سوادَها وأمطرَ في تِلكَ الأَكُفِّ الشواحبِ[3]

---

(1) **الديوان**، 2/ 1078.
(2) **نفسه**، 3/1780.
(3) **نفسه**، 1/ 181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه صورة تعكس حال الذين وقفوا بباب الممدوح يطلبون عطاءه، فهي وجوه سوداء في إيحاء إلى العوز والفقر والحاجة، ثم يكمل صورته فهؤلاء المعوزون أكفهم شواحب ذات لون أصفر، والشحوب يرتبط بالمرض، وبهذا شبه الفقر بالمرض في صورة إيحائية مثلها اللون الأصفر، وهكذا رسم صورة باللونين الأسود والأصفر موظفاً المعاني السلبية لكل منهما ليصل إلى فكرته، وهي إظهار هؤلاء المعوزين في حالة من البؤس والعسر، وفي صورة إيحائية لسواد الوجوه يذم مهجويه فيقول:

تعودَ وجوهُهَم سودا إذا ما نَزلت بهم لمدحٍ أو جَداء[1]

فقد استخدم السواد ونسبه إلى وجوههم في إيحاء إلى بخلهم وتقتيرهم، وعدم إغداق العطايا عليه، ليرسم لتلك الوجوه صورة قبيحة، ذلك أن "قبح الوجه والدمامة يسقط الهيبة ويدل على الخصال المذمومة، وذلك ما تكرهه العرب وتتشاءم به"[2].

وقد مزج بين اللونين الأبيض والأسود في ذكره لأيام الدهر إذ يقول:

والدهرُ لونان: فهل مُخْلِقٌ أبيضَهُ باللُّبس أم أسودَه[3]

فهو يرسم صورة للدهر وكأنه لباس بلونين (الأبيض والأسود)، جاء اللون الأبيض في الصورة رمزاً لأيام الرخاء التي يمر بها الإنسان، أما اللون الأسود فقد جاء رمزا لأيام الشدة في صورة موحية عمادها اللونان الأبيض والأسود ومن ذلك قوله:

يذهبُ الدَهْرُ بيننا، تتوالى بيضُهُ لَمْ تُوالِ نَفْعا وسودُهُ[4]

---

(1) **الديوان**، 47/1.
(2) الآمدي، **الموازنة**، ص 368.
(3) **الديوان**، 662/2.
(4) **نفسه**، 753/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن إيحاءات اللون الأسود البشاعة، ولذلك ربطه بالموت في قوله:

إذا جُـدِحَتْ سـودُ المنايـا فـأخلَقُ الـرِّ جـالِ بـأن يُسـقَى رداهُـنَّ سـودُها[1]

فهو يصور الشدة في ساحة المعركة، وما يعتري المنظر من الخوف والرعب؛ ذلك أن ساحة المعركة هي ساحة الموت وذكر الموت –عادة- مخيف، فإذا كان في المعركة فهو أكثر وقعاً على النفس، ولذلك جعله أسود في إيحاء إلى بشاعته ورهبته، وفي موضع آخر يقول:

قـوم إذا أخـذوا للحـربِ أُهبتُهـا رأيـتَ أمْـرا قـد احمـرَّت عواقِبُـه[2]

إذ يصور الاستعداد للحرب وعواقبه غير المحمودة، وقد أوحى باللون الأحمر لتلك العواقب في إشارة إلى سفك الدماء والقتل.

وقد برز ظهور الألوان في صور إيحائية يصف من خلالها العيش الهنيء الرغيد ومن ذلك قوله:

أقمـتُ مـن سـيبِكُم فـي يـانعٍ خَضِـر وسرت من جاهكم فـي وابـل خضـل[3]

يصور ما آل إليه من رغد العيش بأنه مقيم في روض أخضر، وقد جاءت الصورة إيحائية ظللها اللون الأخضر في قوله "يانع خضر" وهذا يشير إلى الرمزية التي يحملها اللون الأخضر في أنه لون الحياة، وقد جاء اللون الأخضر في إشارة إلى عطاء الممدوح وكرمه إذ يقول:

مـا قصـدناهُ للتفضُّـل إلاَّ أعشَـبَتْ أرضُـهُ وصَـابتْ سـماؤه[4]

فالصورة (أعشبت أرضه)، تنطوي على اللون الأخضر لما تحمله كلمة العشب من معاني الاخضرار، وهي صورة توحي بعطاء الممدوح.

---

(1) **الديوان**، 534/1.
(2) **نفسه**، 228/1.
(3) **نفسه**، 1872/3.
(4) **نفسه**، 30/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي صورة إيحائية أخرى يورد فيها اللونين الأخضر والأصفر في بيت شعري واحد يقول:

لَتهنَكَ النَّعمةُ المخضَّرُ جانبها من بعدِ ما اصفرَّ في أرجائِها العشب[1]

ففي قوله (النعمة المخضر جانبها) صورة للون الأخضر توحي بالحياة الهانئة والرخاء، وفي عبارة (اصفر في أرجائها العشب) صورة توحي بحياة المشقة والفقر، وما عاناه الشاعر من مكابدة، وهي صورة تقوم على التضاد يقارن بها الشاعر حاله قبل التقائه بالممدوح وبعد ذلك، كما تعكس الاطمئنان النفسي الذي يحياه الشاعر بعد مشوار من المعاناة، "وقد خلق التضاد حركة بين النقيضين أثرت الصورة الشعرية، وجعل بين طرفيها تأثيراً وتأثراً، وعكس تشكيل الصورة الشعرية بهذه الطريقة ثنائية الواقع"[2]، فاللون الأخضر يوحي بواقع الحال الميسورة التي يحياها الشاعر، بينما أوحى اللون الأصفر بواقع الشدة و العسر اللذين عاشهما الشاعر قبل ذلك.

ثانياً: - امتزاج اللون بغيره من عناصر الصورة

اللون والمكان

تعد الظاهرة المكانية من الظواهر التي عرفها الشعراء العرب، واحتلت مكانة في صورهم الشعرية إذ "تبرز مقدرة الشاعر الفنية في مدى قدرته على التشكيل المكاني، فيستخدم الصورة المكانية لخلق حالة من التوافق بين الذات والوجود الخارجي، وفي استخدامه الصورة المكانية، أو استغلاله الصور الواقعة في المكان، - مشاهد الطبيعة مثلا- يبدو أنه يتلاعب بالأشياء الواقعة، يشوهها، ينتقص منها، يضيف إليها، فتظهر أمام العين مزيفة، غير أن الحقيقة تكمن في كون الشاعر لا يشوه ولا يزيف لأن عالم الوجدان من الممكن ألا يكون مطابقا لعالم

---

(1) **الديوان**، 170/1.

(2) ينظر: الجبار، مدحت سعد محمد، **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**، ص 72.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الواقع"[1]، "والشاعر في تصويره للمكان يصور كل ما يمكن تمثله قائماً، ويجعل للمكان نسقاً خاصاً به، ويضفي عليه مشاعره وأحاسيسه"[2].

لقد عني البحتري في شعره عامة بإبراز جماليات المكان الذي يهتم به ويعنيه، وكذلك برز عنصر المكان في الصورة الشعرية عنده وقد لونه بأجمل الألوان وأزهاها ، وبخاصة إن كان هذا المكان وطنه الذي نشأ فيه، إذ يقول في ذكر حلب:

يا برقُ أسْفرْ عن قُويق فُطرَّتَيْ حَلَب، فأَعلَى القصرِ من بِطْيَاس
عَنْ منبتِ الوَرْد المِعَصْفَرِ صِبْغُه في كلِّ ضاحيةٍ ومجنى الآس[3]

فتتم الصورة عن حبه لمدينته حلب فيذكر فيها بعض المواضع، ثم يصور طبيعتها الفتانة بذكر بساتينها المنتشرة في كل ناحية، التي زينتها الورود ونبات الآس، وقد صبغ لوحه مدينة حلب بألوان الطبيعة الخلابة ليعبر بها عن عشقه لهذا المكان وانتمائه له واشتياقه، وهو يصور ذلك بقوله:

نظرتُ وضمَّت جانبي التفاتةٌ وما التفتَ المشتاقُ إلا لينظرا
إلى أُرجُوانيٍّ من البَرق كلَّمَا تنمَّرَ عُلْوِيُّ السحابِ تعصفرا
يضيءُ غَمَاما فوقَ بطياسَ واضحا يَبُصُّ ورَوْضٌ تحتَ بطْيَاسَ أخْضَرا
وقد كان محبوبَا إليَّ لو أنَّه أضاءَ غَزَالا عندَ بِطْيَاسَ أحورا[4]

فهو يصور بطياس حيث المكان الذي يعشقه ويألفه، ويحن إليه، فيظهره في أجمل الصور، وهو إذ يشتاق إليه ينظر إلى السماء راسما صورة جميلة ملونة للبرق والغيوم التي يحملها سلامه إلى بطياس، ثم يصور هذا البرق وقد أضاء سماء مدينته فأينعت الرياض

---

(1) عساف، ساسين، **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس**، ص 36.
(2) التميمي، حسام، **جماليات المكان في شعر البحتري**، مؤتمر اللغة العربية، ص 281.
(3) **الديوان**، 1135/2. بطياس: قرية من قرى حلب، وبقربها قربة الرقة والصالحية، ينظر: الحموي، **معجم البلدان**، 450/1.
(4) **نفسه**، 932/2. تنمر: بدا السحاب مخططاً كجلد النمر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نمر).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخضراء فيها، وفي خضم هذه الصورة ذات الألوان المزركشة التي يضع فيها المتلقي؛ فإنه يتذكر محبوبته التي يصورها بالغزال الأحور في إشارة إلى حنينه وشوقه، وبهذا ارتبط ذكره للمكان وحبه له بذكر المحبوبة وعشقها، وقد كشفت صورته المكانية الملونة عن مشاعره تجاه هذا المكان وعشقه له، ويرسم لهذا المكان صورة جميلة أخرى بالألوان إذ يقول:

مررنا على "بطياس" وهي كأنها (سبائبُ عصب) أو زَرَابي "عبقر"
كأن سُقُوطَ القَطْرِ فيها إذا انثَنَى إليها سُقوطُ اللؤلؤَ المتحَدِّر
وفي أُرجُوَانيٍّ من النَّورِ أحمرٍ يُشَابُ بإفرندٍ من الرَّوضِ أخضر
إذا ما النَّدى وافاه صبحا تمايلَتْ أعاليهِ مِنْ دُرٍّ نثيرٍ وَجَوْهَر
إذا قابلَتهُ الشمسُ ردَّ ضياءها عليها صِقَالُ الأقحوانِ المنوِّرِ
إذا عَطَفَتْهُ الريحُ قلتُ التفاتُةُ لـ"عَلْوَةَ" في جادِيِّها المتعصفرِ[1]

في الأبيات السابقة صورة للمكان تظهر فيها ملامح الطبيعة الخلابة، يصور البحتري بطياس بالبسط المزركشة الجميلة، ويصف سقوط المطر فيها بحبات اللؤلؤ، ثم يذكر ألوان النباتات والأزهار الحمراء في الرياض الخضراء، أما صورة الندى في الصباح التي تجلل ذلك الروض فهي كالدر والجواهر المنثورة، ثم تأتي شمس الصباح التي يماثلها في الإشراق زهر الأقحوان، ليشكل نهاية في ذهن المتلقي صورة للمكان عمادها الألوان الزاهية المحببة إلى النفس، فتشدها وتسيطر على المشاعر والأحاسيس، وهو إذ يضع المتلقي في هذه الصورة الرائعة، فإنه يلتفت إلى محبوبته علوة ويراها في هذه الرياض المزهرة ليربط بين جمال المكان وجمال المحبوبة، فهو يرسم صورة الرياض بالألوان المزركشة وحرص على تنسيقها ليربط بين جمال المكان الذي إليه انتماؤه وبين تعلقه بمحبوبته علوة، وهكذا عكس من خلال صورة الرياض صورة رائعة للمحبوبة وجمالها.

[1] **الديوان**، 981/2. الجادي: نبات الزعفران. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جدا).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي تصويره لمدينة قنسرين فإنه يصف مغامراته مع محبوبته ليلا فيقول:

علـــى بـــاب "قنســـرين" والليـــلُ لاطـــخٌ ... جوانبـــــه مـــــن ظلمـــــةٍ بمـــــداد

كـــأن القُصُـــورَ البـــيضَ فـــي جنباتِـــه ... خُضِـــبْنَ مشـــيباً نـــازلاً بســـواد

كـــأن انخِـــراقَ الجَـــوِّ غيَّـــرَ لونَـــهُ ... لَبُـــوسُ حديـــدٍ أو لِبَـــاسِ حـــدادِ

كأنَّ النجـــومَ المستَسِـــرَّاتِ فـــي الـــدُّجى ... سِـــــكاكُ دِلاصٍ أو عيـــــونُ جَـــــراد

فبتنـــا، وباتَـــتْ تَمـــزِجُ الـــرَّاح بيننـــا ... بـــأبيضَ رَقْـــراق الرُّضَـــابِ بـــراد

ولم نفتـــرقْ حتَّـــى ثنـــى الـــدِّيك هاتفـــا ... وقـــام المنـــادي بالصـــلاةِ ينـــادي[1]

فهو يصور قنسرين وقد أرخى الليل سدوله عليها كأنها ملطخة بالحبر، ويعمد الشاعر إلى نقل مشهد القصور فيها كالمشيب الذي خضب بالسواد، أما باب قنسرين فقد صوره بثوب من حديد أو ثوب الحداد، ثم تأتي صورة النجوم فيها كالمسامير اللامعة في الدرع، أو كعيون الجراد، وهذه الصورة أتاحت للشاعر لقاء محبوبته ومطارحة العشق معها حتى الصباح الذي عبر عنه بصياح الديك ورفع الآذان لصلاة الفجر، والشاعر يرسم صورة مكانية مؤنسة لليل تكشف عما يجول في نفسه وخواطره، فهذا الليل الهادئ الذي جلل مدينة قنسرين أتاح له فرصة اللقاء بالمحبوبة بعيدا عن العيون والرقباء، وبعيدا عن ضجيج النهار، وهذه الصور المكانية "تكشف عن عمق وغزارة انتمائية عند البحتري وهي تنم عن صدق واقعي لأنه ينطلق من مكان ينتمي إليه ويحبه ويشيد بجماله، كما أنه المكان الذي يرتبط بمحبوبته، ولذلك جاءت صوره المكانية مكونة في إطارين جماليين (المرأة والمكان)"[2].

ومن الأمكنة التي ارتبط شوق الشاعر بها وانتمى إليها لها قرية الصالحية التي يرسم لها صورة بديعة في الربيع إذ يقول:

---

(1) **الديوان**، 1/ 561. قنسرين: مدينة بالقرب من حلب، بقيت عامرة حتى دمرها الروم سنة 351هـ. ينظر: الحموي، **معجم البلدان**، 404/4 – 405.

(2) الملا، صلاح، **فن التشبيه في شعر البحتري**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 1990، ص 150.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخـــذَتْ ظهـــورُ "الصـــالحية" زينـــةً عَجَبـــاً مـــن الصَّـــفْراءِ والحَمـــرَاءِ
نســـجَ الرَّبيـــعُ لَربْعِهَـــا ديباجـــةً مِـــنْ جَـــوْهَرِ الأنْـــوارِ بـــالأنْوَاءِ
بَكَـــتِ السَّـــماءُ بهـــا رذاذَ دموعِهـــاَ فغَـــدَتْ تَبَسَّـــمُ عـــن نجـــومِ ســـماءِ
فـــي حُلَّـــةٍ خَضـــراءَ، نمـــنمَ وَشْـــيَها حَـــوْكُ الربيـــعِ، وحلَّـــةٍ صـــفراءِ
فاشـــرَبْ علـــى زَهْـــرِ الرِّيـــاضِ يشـــوبُهُ زَهـــرُ الخـــدودِ وزهـــرةُ الصَّـــهباءِ[1]

يقف الشاعر على تصوير الربيع في قرية الصالحية، ويرسم بدقة بارعة تفاصيل لوحته إذ جعل الربيع نساجاً قد صنع ديباجة من الجواهر المتلألئة، وقد شاركت السماء في صنع هذه الديباجة بأمطارها التي صورها بالدموع، إلى أن تم صنعها فكانت خضراء منمقة بجميع الألوان وفي هذه اللوحة الجميلة يربط بين جمال الطبيعة ومتعة شرب الخمر وتذكر المحبوبة،وكأن الجمال في رأيه قد اجتمع في هذه الأمور الثلاث (المكان، الخمر، المحبوبة) بما تحقق للنفس من متعة ولذة واستئناس.

وفي تصويره للجزيرة يظهرها بأزهى حلة في قوله:

وكـــم بـــالجزيرةِ مـــن روضـــةٍ تُضَـــاحِكُ دِجلـــةَ ثغبانَهـــا
تريـــكَ اليواقيـــتَ منثـــورةً وقـــد جَلَّـــلَ النَّـــورُ ظهرانَهـــا
غرائـــبُ تخطـــفُ لحـــظَ العيـــونِ إذا جَلَـــتِ الشـــمسُ ألوانَهـــا [2]

والبحتري شاعر الجمال، يصور الجمال حيث يجده، والأبيات السابقة تعكس صورة نهر دجلة وما ينتشر على ضفتيه من رياض وأزهار موظفا عنصر اللون إلى جانب اشتراك الحواس، ليثير المتلقي تجاه المشهد ويشعره أنه يقف حقيقة أمام نهر دجلة، فصور غدران الرياض في الجزيرة وكأنها إنسان يضاحك نهر دجلة، وأما نباتاتها وأزهارها المنتشرة فيها فهي كالياقوت

(1) **الديوان**، 6/1. الصالحية: قرية قرب الرها، بناها عبد الملك بن صالح الهاشمي، ينظر: الحموي، **معجم البلدان**، 389/3.
(2) **نفسه**، 2176/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنثور، ولشدة جمالها فإنها تخطف الأبصار وبخاصة عند سقوط الشمس عليها، وقد اعتمد الشاعر عناصر عدة لرسم صورته المكانية، فجاء عنصر الحركة ليجعل من هذه الرياض ونهر دجلة إناساً يضاحك كلٌّ منهما الآخر ويمازحه مما أضفى عليها حيوية، ثم تلحظ حاسة البصر في قوله "تريك" حتى يلفت انتباه المتلقي إلى جمالها، إضافة إلى عنصر اللون الذي وضح معالم هذه الصورة.

وقد وصف النهر في صورة أخرى إذ يقول:

تبيضُّ نُقْبَتُّهُ، ويسطعُ نوره حتى تَكِلُّ العينُ فيه وتنكلا
كالكوكبِ الدري أخلص ضَوءَه حلكُ الدُّجَى حتى تأَلَّق وانجلى[1]

إنّها صورة مشعة لنهر دجلة تمثلها ببياضه وسطوع نوره، حتى جعله كالكوكب اللامع المتألق الذي يجلو عتمة الليل، وقد يكون البحتري أراد برسم هذه الصورة أن يبين – إلى جانب تصوير جمال النهر – أهمية هذا النهر للعراق فهو رافد للحياة فيها.

ومن الأماكن التي وقف البحتري على تصوير جمالها بإبراز عنصر اللون قرية الرقة البيضاء إذ يقول:

والرِّقةُ البيضاءُ كالخودِ التي تختالُ بينَ نواعمٍ أقرانِ
من أبيضٍ يقق، وأصفرٍ فاقع في أخضرٍ بَهِجٍ وأحمرَ قانِ
ضحكَ البهارُ بأرضِها، وتشقّقت فيها عيونُ شقائقِ النعمانِ[2]

صورة المكان جعلته ينبض بالحياة، فالرقة بجمال طبيعتها كالفتاة الناعمة التي تتباهى بجمالها بين أقرانها ثم تأتي الألوان (الأبيض، الأصفر، الأخضر، الأحمر) لتزين اللوحة في إشارة إلى ألوان الأزهار والنباتات، ثم يشير في البيت الثالث إلى نبات البهار ويشخصُّه إنساناً ضاحكاً، كما

(1) **الديوان**، 3/ 1652. النقبة: اللون للوجه. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نقب).
(2) **نفسه**، 2377/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصور تفتح شقائق النعمان فيها، وقد ساعد عنصر الحركة في قوله (ضحك وتشققت) على إبراز جمال الطبيعة وسحرها، أما ذكره الألوان فهو دليل افتتان الشاعر بها وبالطبيعة، فهو يرى المكان ويعجب بجماله فيقدمه للقارئ بحيث يعكس مشاعره وأحاسيسه تجاه ما يرى، وينقله إلى ذلك المشهد وكأنه يراه ويقف أمامه فيشعر بما يشعر به.

ووقف البحتري في تصوير المكان على القصور العباسية ووصفها وما يحيط بها من حدائق وبرك وجداول، ومن تلك القصور قصر الجعفري الذي بناه المتوكل، وأقام فيه وفي ذلك يقول:

قَدْ تَمَّ حُسْنُ الجَعفَري ولم يكُن ... ليَتِمَّ إلا بالخليفَةِ جَعفَرِ
مَلِكٌ تبَوَّأَ خيرَ دارِ إقامَةٍ ... من خيرِ مُبْتَدِئٍ للأنَام ومُحْضِر
في رَأسِ مشرفةٍ حصَاها لؤلؤٌ ... وترابُها مِسْكٌ يُشابُ بعنبر
مخضرَّةٌ والغيثُ ليس بِسَاكِبٍ ... ومضيئةٌ والليلُ ليسَ بمُقْمِر[1]

فيصور البحتري القصر في تمام حسنه وجماله، الذي اكتمل بإقامة المتوكل فيه، ثم يصور موقع القصر إذ يقع على أرض مرتفعة شبه حجارتها باللؤلؤ وترابها بالمسك المختلط بالعنبر، وهي أرض خضراء رغم عدم نزول المطر، كما أن ضياء القصر ينير عتمة الليل، والشاعر يصور القصر والمكان الذي بني عليه، ووظف الألوان في التصوير ليظهر أن المكان الذي أقيم عليه هو مكان جميل ومشرق، وذكر اللون الأخضر في اللوحة يشير إلى إعجاب الشاعر بهذا المكان، ذلك أن واقع المكان صحراء ومن العجب أن ترى اخضراراً فيه، كما أن واقع الليل مظلم إلا أن وجود القصر بث النور فيه مما عكس صورة الواقع.

---

(1) **الديوان**، 1040/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي صورة ملونة لقصر الكامل يقول:

وكـــأَنّ حيطـــانَ الزجـــاجِ بجـــوِّه ... لُجَـــجٌ يَمُجْـــنَ علـــى جنـــوب ســـواحل

وكـــأن تفويـــفَ الرُّخـــامِ إذا التَقَـــى ... تأليفُـــــهُ بالمَنْظَـــــر المتقابـــــل

حُبُـــكَ الغَمـــام رُصِـــفْنَ بـــين مُنَمَّـــرٍ ... ومســـــيَّر، ومقـــــارِبٍ ومَشـــــاكِل

لبِسَـــتْ مـــن الـــذَّهبِ الصَّـــقيل سُـــقوفُه ... نـــوراً يضـــيءُ علـــى الظَّـــلامِ الحافِـــلِ[1]

إذ ينقل صورة لجدران قصر الكامل، فهي من زجاج متموج كتموج موجات مياه البحـــر علـــى السواحل، أما زخرفته بالرخام ورصفه به فشبهه بالسحاب متعدد الألوان والأشكال، ثم يأتي إلـــى وصف سقوفه الذهبية الساطعة التي تنير الظلام بلونها الأصفر البرّاق، والصور تعكس الفخامـــة التي بني فيها القصر كما تصور حالة الترف والغنى التي كـــان يحياهـــا العباســـيون (فالرخـــام والذهب يدللان على الحالة الاجتماعية المرفهة للخلفاء العباسيين)، ومن جهـــة أخـــرى تعكـــس الصورة قدرة فائقة عند البحتري على نقل المشهد للمتلقي، فتوظيف الألوان أدى إلى بـــث روح الفخامة والعظمة في المكان، لارتباطها بذكر الرخام بألوانه المزركشة والذهب بلونه الأصفر.

وفي صورة بديعة يعمد إلى تصوير عدد من القصور العباسية في مقطوعة شعرية كانت الألوان أساسا لها إذ يقول:

ســـبتٌ ونـــوروز، ونجـــدةُ ســـيِّدٍ ... مـــا شـــابَ بهجَـــةُ خُلْقِـــهِ بتخلُّـــقِ

وأرى البســـاطَ ومـــن غرائـــبِ نبتِـــهِ ... ألـــوانُ وردٍ فـــي الغصـــونِ مفتَّـــقِ

شـــجرٌ علـــى خُضَـــرٍ تَـــرِفُّ غصـــونُهُ ... مِـــنْ مُزْهِـــرٍ أو مُثْمِـــرٍ أو مـــورق

وكـــأن "قصـــرَ السَّـــاج" خلَّـــةُ عاشـــقٍ ... بـــرزَتْ لوامِقِهَـــا بوجـــهٍ مُونـــق

قصـــرُ تكامَـــلَ حســـنُه فـــي قلعـــةٍ ... بيضـــاءَ واســـطةٍ لبحـــر مُحـــدِق

قدَّرتـــــهُ تقـــــديرَ غيـــــرِ مُفَـــــرِّط ... وبنيَتـــــه بنيـــــانَ غيـــــرِ مشـــــفق

---

[1] **الديوان**، 1648/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصـــلتَ بـــينَ الجعفـــريِّ وبينَـــهُ بـــالنَّهر يَحْمِـــلُ مِـــنْ جُنُـــوب الخَنْـــدَق

نهـــرٌ كـــأنَّ المـــاءَ فـــي حُجَرَاتـــه إفرنـــد مـــتن الصَّـــارم المتـــأَلِّق

وإذا الريَـــاحُ لَعِـــبْنَ فيـــه بَسَـــطْنَ مـــن مـــوجٍ عليـــه مـــدرج مترقْـــرِق

ألحِقْـــهُ يـــا خيـــرَ الـــورى بمســـيلِهِ وامـــدُدْ فضـــولَ عبابـــهِ المتـــدّفق

فـــإذا بلغـــت بـــه "البـــديع" فإنمـــا أنزلـــت دجلـــة فـــي فنـــاء "الجوســـق"

للمهرجـــانِ يـــدٌ ممـــا أولاه مـــن هَطْـــلان وســـميِّ الســـحاب المغـــدق

مـــا إن تـــرى إلا تعـــرُّضَ مُزْنَـــةٍ مخضـــرَّةٍ أو عـــارضٍ مُتَـــأَلِّق[1]

ويمزج الشاعر بين تصوير عيد الربيع المعروف بالنيروز، وتصوير قصور المتوكل (الساج والجعفري والبديع والجوسق) ويقف أمام كل منها مبرزاً ملامح الإبداع المعماري فيه، ولجأ إلى أدواته الفنية بما فيها الألوان ليظهر تلك القصور "مثل باقة من الزهر ندية وروضة من النور نضيرة مازجا بين ريشة الرسام وسليقة الشاعر"[2]، فيبني صورته في فصل الربيع ذاكراً جمال الطبيعة في هذا الفصل من اخضرار وتفتح الزهور بألوانها الجذابة ونضج الثمار، ثم ينتقل إلى وصف القصور؛ فقصر الساج يظهر بأبهى حلة، وقد اكتمل حسنه بقلعته البيضاء التي تتوسط البحر، وفي الصورة إشارة إلى وجود نهر يربط بين الساج والجعفري، ويصور الماء في نواحي القصر بالجواهر ووشي السيف المتألق؛ ليمنح المشهد صورة براقة مشعة قوامها اللون الأبيض تنم عن الدهشة والإعجاب الشديدين بهذه القصور، ثم يتابع صورته بذكر قصر البديع والجوسق وما يحيطهما، لتتشكل في النهاية صورة لقصور عائمة على الماء والطريق فيما بينها هو النهر، وبعد ذلك يعود لذكر الربيع وجماله المتأتي من تفتح الزهور بألوانها الجذابة واخضرار الأرض، فيمزج بين جمال القصور وجمال الطبيعة التي أضفت عليها رونقا وبهاء، وفي ظل هذه اللوحة

---

(1) **الديوان**، 3/1482-1483.

(2) الشكعة، مصطفى، **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، ص 715.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجميلة الملونة بأزهى الألوان فإنه يلتفت إلى ممدوحه يهنئه بسعادته ويطلب منه أن يسعد لما فيه من الترف والرفاهية.

ويمكن القول إن البحتري في تصوير القصور قد غلبت عليه الدهشة والإعجاب بفن العمارة والحضارة العباسية، وقد استطاع بما أوتي من سعة خيال وقدرة على التصوير أن يحلق بذهن المتلقي ليضعه أمام تلك القصور وكأنها حقيقة ماثلة أمام عينيه، "فلم تأت صوره جامدة بل جعلها نابضة بالحياة لما لجأ إليه من أدوات التصوير كالحركة واللون والتشبيهات، وقد استعان بالألوان الحسية ليقرب المشهد إلى ذهن المتلقي"[1]، ووقف البحتري في وصفه للقصور على وصف بركة بناها المتوكل وعرفت باسم بركة الجعفري، وقد كان لعنصر اللون بروزٌ في تصوير جانب منها إذ يقول:

تنحطُّ فيها وفودُ المَاءِ مُعَجلةً ... كالخيلِ خارجةً من حبلِ مُجريها
كأنَّما الفضةُ البيضاءُ سائلةً ... من السَّبائكِ تَجري في مَجَارِيها
إذا علَتها الصَّبا أبدَت لها حُبُكَا ... مثلَ الجواشِنِ مَصقُولاً حَواشيها
فرونقُ الشَّمسِ أحيانا يُضَاحِكُها ... ورَيِّقُ الغيثِ أحيانَا يباكيها
إذا النُّجومُ تَراءت في جوانِبِها ... ليلاً حَسِبتَ سماءً ركِّبَت فيها[2]

فيصور البحتري هذه البركة تصوير المتأمل المندهش، فمياه البركة المندفعة بقوة هي كالخيل في حلبة السباق، ومياهها كالفضة السائلة لشدة بياضها، وإذا مرت بها ريح الصبا يتكسر الماء على وجهها وتبقى حواشيها مصقولة كالدروع، ويزيد من جمال هذه البركة أنه شخص الشمس إنساناً يضاحكها، وصور حبات المطر المتساقطة دموعاً، ولا ينسى البحتري الشاعر البارع في التصوير أن يصف البركة ليلاً إذ تنعكس صورة السماء بما فيها من النجوم على صفحتها فتبدو

(1) الملا، صلاح، **فن التشبيه في شعر البحتري**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 1990، ص 148.
(2) **الديوان**، 4/ 2418. الجواشن: مفردها جوشن ومعناها الدروع. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جشن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كأن تلك الصورة ألصقت فيها والصورة تنم عن إعجاب الشاعر الشديد بالبركة وبمنظر المياه فيها، فوقوفه أمام تلك البركة أثار في نفسه الاندهاش، وقد وظف الألوان ليرسم معالم تلك البركة عندما شبه مياهها بالفضة السائلة، فالماء عند قوة اندفاعه يظهر للعين بلون أبيض فضي، كما رسم صورة أخرى توحي بالألوان عندما ذكر انعكاس صورة السماء على البركة فهي لوحة سوداء داخلها إضاءات لامعة، وقد استطاع البحتري بتشبيهاته وأخيلته وما وظفه من ألوان أن ينقل للمتلقي مشاعره وأحاسيسه كاملة حتى جعلها تتجسد في نفس المتلقي، وفي أبيات أخرى من القصيدة ذاتها يبرز جانبا آخر من البركة زيَّنته الألوان، فيقول:

محفوفةً برياضٍ لا تزالُ ترى ريشَ الطواويسِ تحكيهِ ويحكيها[1]

إذ يصور الرياض المحيطة بالبركة بما فيها من اختلاف ألوان الأشجار والأزهار حتى "غدت الألوان متداخلة ببعضها تداخل ألوان ريش الطواويس، وغدا كل منهما يحكي الآخر ويحاكيه"[2]، وهي صورة موجزة توحي بتكثيف الألوان فكلمتا (الرياض، الطواويس) ترتبطان في ذهن المتلقي بالألوان الزاهية الجميلة المتداخلة، وهو يفصل ألوان الأزهار في هذه الرياض في وصفه للدكتين إذ يقول:

وأرى "الدكتين" بينَهُمَا أفـ واف روضٍ كالوَشِيِّ في ألوانه
ـ في ضروبٍ من نرجسِهِ الغَضِّ ومن آسِهِ ومِن زعفرانِه[3]

فالصورة المكانية حفلت بالألوان، فالرياض ملونة ومن أزهارها النرجس والآس والزعفران، وقد تمازجت ألوان هذه الأزهار، لتجعل من الرياض لوحة بديعة تمنح خيال المتلقي فرصة أن يقف على جمال هذه الرياض وما فيها من حسن وإبداع.

---

(1) **الديوان**، 2420/4.
(2) التميمي، حسام، **جماليات المكان في شعر البحتري**، المؤتمر العام للغة العربية، قضايا الأدب واللغة المعاصرة. ص306.
(3) **الديوان**، 2170/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللون والزمان

وقف الشعراء عند قضية الزمن وتعمقوا فيها، وعرضوا لكثير من جوانبها، وقد عدوا الزمن من الألفاظ المرادفة للدهر، وذلك أن "الزمن يدخل في نسيج الحياة الإنسانية والبحث عن معناه لا يحصل إلا ضمن نطاق عالم الخبرة أو ضمن نطاق إنسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات"[1]، "والزمان بمفهومه يتضمن جملة من الثنائيات المتناقضة المتعلقة بالكون والحياة كالوجود والعدم والثبات والحركة والحضور والغياب والزوال والديمومة، والحياة والموت"[2]، "وقد نظر الشاعر العربي إلى الزمن على أنه القوة القهرية التي تحاربه وتصب عليه المصائب التي لا يستطيع ردها إلا بالصبر، وهذا الإحساس تجاه الزمن عاشه العرب وتمثلوه في أشعارهم حتى إنهم أطلقوا على المصائب بنات الدهر"[3]. وقد وظف البحتري عنصر الزمان مقترناً بعنصر اللون في صوره في مواضع عدة، ففي وصف الربيع يقول:

في زَمَانٍ كأنَّ نرجِسَهُ الغَـ ـضَّ سموطُ من لؤلؤٍ وفَرِيد
بينَ نَوْرٍ من الربيعِ يحيـ ـك، وعهدٍ من الشتاءِ حميدِ[4]

ويتحدث البحتري بصورة عامة عن الزمان فيصور فيه نبات النرجس وكأنه عقد من اللؤلؤ والجواهر، ثم يحدد هذا الزمن البهي بفصل الربيع أولا وما يرتبط به من الخضرة والجمال، كما أن فيه حياة الأرض، ثم يعمد إلى تكملة صورته بذكر فصل الشتاء وأمطاره الغزيرة، والصورة تكشف عن أن المعاني التي أوحاها استخدام الأزمنة (الزمان، الربيع، الشتاء) ترتبط بالجمال والحياة المترفة التي مثلها الشاعر باستخدام الألوان بذكره (النرجس، اللؤلؤ، نور، الربيع)،

---

(1) ملحم، إبراهيم، **الحب والموت في شعر بشار**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1990، ص 27. 10. نقلاً عن: هانز، ميروف، **الزمن في الأدب**، ترجمة أسعد رزوق، ص 20.

(2) إبراهيم، زكريا، **مشكلة الإنسان**، ص 82.

(3) ينظر: عوض، محمود يوسف، **أسماء الزمن في القرآن الكريم**، ص 18-19. رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، 2009.

(4) **الديوان**، 730/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشاعر يذكر هذه الأزمنة مرتبطة بالألوان الزاهية المحببة إلى النفس ليربط بينها وبين الواقع الذي يحياه في ظل ممدوحه، فزمانه كله خير وربيع وشتاء ممطر كتلك الألوان المفرحة.

وفي صورة أخرى مماثلة يعبر بها عن الحال السعيدة التي يحياها في ظل ممدوحه فيقول:

أمـــا تـــرى الأرضَ، وأثوابُهـــا شـــقائقُ النعمـــانِ والأقحـــوانُ
وهـــذه الأيَّـــامُ قَـــد أبـــدِلَت فهـــي ظِـــرَافٌ ناضـــراتٌ حســـانُ[1]

صورة جميلة مزهرة لا تكون إلا في فصل الربيع، إذ تلبس الأرض أثوابها المزركشة من الأزهار ذات الألوان المختلفة، فيذكر شقائق النعمان بلونها الأحمر والأقحوان بلونه الأبيض، وفي ظل هذه الصورة يوضح أن الزمان قد تبدل فهذه الأيام قد غدت ناضرة حسنة، وقد اعتمد الشاعر عنصر اللون ليعبر به عن جمال الربيع وعن الراحة والسعادة التي يلقاها في ظل الممدوح، وبذلك فقد منحت الألوان الزاهية الصورة سمة إيجابية للزمان تكشف عن نفسية الشاعر، فهو مسرور وسعيد لما يجده من راحة عند ممدوحه.

ومن جمال الصور التي ذكر فيها الربيع قوله:

أتـــاكَ الربيـــعُ الطَّلـــقُ يختـــالُ ضـــاحكا مـــنَ الحُســـنِ حتَّـــى كـــادَ أن يتكلمـــا
وقد نَبَّـــه النُّـــوروزُ فـــي غَلَـــسِ الـــدُّجَى أوائـــلَ وردٍ كـــنَّ بـــالأمسِ نومـــا
يفتِّقُهـــا بَـــرْدُ النَّـــدى فكأنَّـــهُ يَبُـــثُّ حـــديثا كـــان أمـــس مُكتَّمـــا
ومـــن شَـــجرِ ردَّ الربيـــعُ لباسَـــه عليـــه كمـــا نَشـــرَتْ وشـــياً منمنمـــا[2]

صورة بديعة لفصل الربيع وما فيه من الجمال، ويربط الشاعر فيها بين هذا الفصل وعيد النيروز الذي كان يقام في هذا الوقت من السنة، وقد امتزجت عناصر عدة لتشكيل الصورة من زمان ولون وحركة، ففصل الربيع أجمل فصول السنة ذلك أن الحياة تعود للأرض

---

(1) **الديوان**، 2236/4.
(2) **نفسه**، 2090/4-2091.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتتفتح الأزهار وتخضر الأشجار، وقد صوره بإنسان ضاحك مقبل، وهو لحسنه الجذاب يكاد يتكلم، وهذا الجمال يصادف مناسبة سعيدة تقام كل عام هي عيد النيروز، فصوره بإنسان ينبه الورود من غفوتها فتصحو وتفيق، وبخاصة تساقط قطرات الندى عليها، ثم يعطي صورة عامة لفصل الربيع من اخضرار الأشجار التي صورها بإنسان ألبسه الربيع حلة جميلة وهي صورة تثير الفرح والارتياح في نفس المتلقي لما توحي به من جمال ورقة حركة وإبداع، كما أن العناصر التي اعتمدها البحتري في رسم الصورة قد جعلتها مفعمة بالحيوية فأثارت ذهن المتلقي وتعلقت أحاسيسه بها، وقد جاء البحتري بهذه الصورة في تمجيد ممدوحه والثناء عليه فالحياة في ظله هي ربيع، وفصل الربيع إذ يكمل الجمال والسحر، فإنه يطيب فيه شرب الكأس وفي ذلك يقول:

فـي رَوضَـةٍ خضـراءَ يشـرقُ نورُهـا تُسـقَى مجاجَـاتِ الغُيـومِ الـسَّجِسِ
فَخـرَ الرَّبيـعُ علـى الشِّـتاءِ بحسـنِهَا وكفَـى حضـورُ الـوَردِ فقـدُ النَّـرجسِ
لا تسـقياني بالصَّـغيرِ فإنَّـهُ يـومٌ تليـقُ بـه كبـارُ الأكـؤسِ[1]

فيصور روضة من رياض الربيع بالشمس المشرقة، تسقى من ماء الغيوم ذات الأمطار الكثيرة، ثم يصور من عنصر الزمن (الربيع، الشتاء) إنسانين يتفاخر أحدهما على الآخر، فالربيع يفخر ويتباهى بجماله على فصل الشتاء، وعليه يكون فصل الربيع قد شكل عنصر جمال وحسن، بينما الشتاء هو عنصر كآبة وحزن لانعدام الألوان الزاهية فيه، وفي ظل جمال الربيع فإنه يطيب شرب الخمر، إذ يطلب الكؤوس الكبيرة وإبعاد الكؤوس الصغيرة عنه، وعليه فإن عنصر الزمان الذي يشعر فيه الشاعر بالنشوة والمتعة زاده غرقا في متعته وبخاصة في شرب الخمر.

---

(1) **الديوان**، 1151/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما قاله في وصف مجلس الخمر الذي ربطه بجمال فصل الربيع قوله:

إنَّ الكـــؤوسَ بهـــا يطيـــبُ المجلـــسُ ... فعـــلامَ تُحـــبَسُ أم لمـــاذا تُحـــبَس؟

قـــد طـــاب مغتَبَـــقُ الزَّمـــانِ ونُشـــرتْ ... حُلـــلُ الرَّبيـــع كـــأنَّهنَّ السُّـــندسُ

وتوقَّـــدَ النُّـــوار حتَّـــى أنَّـــه ... ليُخَـــالُ أنَّ النَّـــارَ منـــه تُقـــبَسُ

ومفاكـــهٍ عَبِـــقِ الكـــلامِ كأنَّمـــا ... يُفضـــي إليـــكَ بلفـــظٍ فيـــه النَّـــرْجِس

رَكِبـــتْ إليـــكَ بنانَـــهُ ذهبيَّـــةٌ ... صـــفراءُ تُمـــزَجُ بـــالظَّلام فَتَنْـــبِسُ

بكْـــرُ تَقَـــدَّمتِ الزَّمـــانَ بِغَرسِـــها ... إن كـــانَ قبـــلَ الـــدَّهرِ شـــيءٌ يغـــرَسُ

ومنـــادمينَ كـــأنَّهم سُـــرُجُ الـــدُّجَى ... أيمـــانُهمُ بنـــوالِهم تتـــبجَّسُ[1]

فيصور مجلس الخمر لذة معاقرة الكؤوس، فهو أكثر الأوقات متعة ونشوة وبخاصة في فصل الربيع إذ فيه جمال الطبيعة الأخاذ وتفتح النوار حتى يخيل أن النور يقبس منه، وفي ظل هذه الصورة البديعة بألوانها، يعود إلى وصف مقدم الخمر فيربط بين كلامه الرقيق وبين نبات النرجس، كما يصور الخمر في يديه ذاكراً لونها الأصفر الجذاب، هذه الخمر التي غرست في زمان متقدم، ثم يصور ندماءه في المجلس فهم كأسرجة الليل المنيرة، وفي صورته تتناول الزمان في معان عدة فوقت شرب الخمر يزداد متعة إذا كان في فصل الربيع، وهكذا مزج بين وقت معاقرة الخمر ووقت الربيع، وجمع بينهما لما تحققه هذه الأوقات من المسرة والارتياح، وقد جاءت ألوان فصل الربيع بجمالها متناسقة مع ألوان الخمر الذهبية الصفراء وما فيها من جمال يغري ويثير النشوات، وفي حديثه عن الزمن يشير إلى عراقة هذه الخمر فقد غرست ثمارها منذ دهر، كما منح لونها الأصفر صفة العراقة، ثم يذكر منادميه ويصورهم ليلاً في إشارة إلى اللون الأسود الذي يمثله، فهو الوقت الذي تهدأ فيه الحركة والضجيج مما يهيئ الفرصة للاستغراق في شرب الخمر والاستمتاع بلذتها، وهكذا جاء عنصر الزمان مقترناً

---

(1) **الديوان**، 1182/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعنصر اللون من ذكر الربيع إلى ذكر الليل إلى الزمن البعيد الذي عرفت به نبتة الكرمة ليشعر المتلقي بمدى سعادة الشاعر واستغراقه في اللهو والنشوة واستمتاعه بمعاقرة الخمر.

وبهذا يكون البحتري قد عبر عن الأيام الهانئة والأزمنة السعيدة التي عاشها بوصفه لفصل الربيع لما لمس فيه من ألوانه الجملية التي تبعث السعادة في النفس، ومما تقدم من أمثلة يتبين أن ذكر الربيع ارتبط عنده بمعان عدة إما لمدح أو وصف مجلس خمر أو ذكر الأعياد وبذلك يكون الزمن قد كشف عن أعماق الذات التي تفرح وتهنأ بما أوتيت من أسباب السعادة.

وفي صورة جمع فيها بين اللون والزمن وتحسره على أيام الهوى عند حلول الشيب قال:

وَقصارَ أيامٍ بهِ سُرِقَتْ لنَا ... حسَناتُها من كاشحٍ وَرقيبِ
خُضراً يساقِطُها الصَّبا وكأنها ... وَرَقٌ يساقطها اهتزازُ القضيبِ
كانت فنونَ بَطالةٍ فتقطَّعَت ... عن هجرِ غانيةٍ، وَوَخطِ مشيبِ[1]

صورة تعكس تغير الحال من حالة لأخرى، والزمن هو المسؤول عن ذلك. يصور زمن الهوى والصبا بالأيام الخضراء لما فيها من السعادة والهناء، ثم يصور انقضاء تلك الأيام بأنها أوراق قد تساقطت، وهي صورة قريبة إلى ذهن المتلقي في التعبير عن انقلاب الحال، فقد مر الزمان، وبدأ الشيب بالظهور؛ مما حال دون مطارحة العشق والغرام، وبذلك فقد شكل الزمن عاملا مدمرا لنفس الشاعر، إذ حرمه أسباب السعادة التي عاشها أيام الصبا، وقد شكل عنصر اللون جوانب الصورة عندما جعل الزمان لونين: الأخضر وربطه بأيام الصبا لما يوحيه هذا اللون من النضارة والحياة والنعيم، واللون الأبيض وقد ارتبط بأيام التقدم في العمر حيث يبدأ

(1) **الديوان**، 246/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخط الشيب ينذر بانقضاء أيام الشباب مما جعل اللون الأبيض مذموما في هذا الموضع أما أيام الشدة فقد صورها مقترنة باللون الأسود إذ يقول في ممدوحه:

وأنتَ طودُ الحِجَى في النَّاس، قد عَلِموا وأنت فجرُ الدُّجَى في الأزمُنِ السُّود[1]

يصور ممدوحه في صورة مشرقة اعتمد الزمان أحد عناصرها، إذ صور الممدوح في رفع الشدة عن الناس بأنه فجر يضيء الظلام، وقد جعل زمن الشدة والعسر ذا لون أسود لما يحمله هذا اللون من معاني الشدة والكآبة والبؤس.

اللون والحركة

"تتجلى قوة الشعر في الحركة التي تملك من الإمكانيات الفنية والقيم الجمالية ما يمكنها من التعبير عن التجربة الشعرية ودقائقها، فالحركة أبرز سمة للصورة البصرية، فكل شيء في التصوير يكاد يظهر متحركا"[2]، "والنشاط الحركي عنصر أساسي في ملكة التصوير"[3]، "ففي مسامات الحركة التعبيرية تكمن نفسية الشاعر، وفي دراستها تتكشف تجربته الشعورية بكل أبعادها الإنسانية والفنية"[4].

وقد عني البحتري في صوره بإظهار عنصر الحركة في بعضها مقترنا بالألوان ليرسم صوراً يتلقاها القارئ وكأنه يتعايش معها على أرض الواقع من ذلك وصفه لموكب المتوكل إذ يقول:

فالخيلُ تصهلُ والفوارسُ تدَّعي والبيضُ تلمَعُ والأسِنَّةُ تزهرُ

والأرضُ خاشعةٌ تميدُ بثقلها والجوُّ معتكرُ الجوانبِ أغبرُ

والشَّمسُ ماتعةٌ تُوقَدُ في الضُّحَى طَورا، ويُطفِئُها العَجَاجُ الأكدرُ

---

(1) **الديوان**، 835/2.
(2) عبد الرحمان، نصرت، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ص 191.
(3) الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ص 154.
(4) العالم، إسماعيل أحمد، **ظواهر فنية في الشعر الأموي**، ص 95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتـــى طَلَعْـــتَ بضـــوءِ وجهِـــكَ فـــانجَلى ذَاكَ الـــدُّجَى، وإنجـــابَ ذاكَ العثيـــرُ[1]

وتعكس الأبيات السابقة جانبا من تحضير المحتفلين لاستقبال موكب الخليفة، وقد حفـل المشـهد بالحركة، فالفرسان يمارسون لعبة السيف والترس حتى إن صهيل الخيل يكاد يصم الآذان، أمـا لمعان السيوف والأسنة فقد بهر العيون، ثم يعطي صورة للأرض وكأنها تتحرك لثقـل حملهـا، وقد ثار الغبار فيها وتعكر الجو نتيجة الحركة العائمة، أما الشمس فقد جاءت صورتها متحولـة فمرة تبدو مشعة متألقة ومرة يحجبها الغبار المتصاعد من حركة الفرسان والجماهير، وقد كـان لكلمة "طور" دور بارز في إضفاء الحركة على الصورة، وبهذا وضع الشاعر المتلقي أمام مشهد حافل بالحركة بعيداً عن الهدوء والسكون، وفجأة تحول هذا المشهد إلى لحظة مهيبة، وهي لحظة ظهور الخليفة، وقد أظهره "وكأنه إشراقة نورية على الناس، مهابـة وهيبـة ووقـار واحتـرام وإعجاب يسربل الجمهور فيقر حالا ويهدأ، وينجلي الليل الذي كان يشكله ذلك الغبار لأن النـاس هدأت برؤيتها الخليفة"[2]، وواكبت الألوان المشهد الحركي إذ اعتمد الشاعر اللـونين الأبـيض والأسود فاستطاع بهما أن يحيي المشهد ويبتعد به عن الجمود والركود.

وفي مشهد آخر يضج بالحركة يصور جانباً من المعركة إذ يقول:

والخيـــلُ تُجْمَـــرُ بـــالفوارسِ والقَنَـــا يَخْلُجْـــنَ خلـــجَ البئـــرِ بـــالأمْرَاس
والمـــوتُ يأشِـــرُ بالســـيوفِ كأنَّهَـــا بَـــرقٌ يلـــوحُ علـــى ظهـــورِ تِـــراس
وتـــرَى المنيـــةَ كالحـــاً أنيابُهـــا تَكْلَـــى تمخـــضُ مُطْفِـــلاً بِنفَـــاس[3]

ففي هذه صورة تتابعت فيها المشاهد الحركية ليرسم في النهاية لوحة مرعبة للمعركـة، وما ينتج عنها من الموت، بدأ المشهد بحركة الخيل المسرعة بفرسانها المحملين بالسلاح لخوض

---

(1) **الديوان**، 1072/2.
(2) حسن، جميل، **الصورة الحركية في شعر البحتري**، مجلة جذور، مج9، 2005م، 70/19.
(3) **الديوان**، 1172/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعركة فصور هذا المشهد بحركة الحبال المتدلية في البئر، ثم يتنامى المشهد في ساحة المعركة إذ القتل والموت بالسيوف الحادة كأنها البرق مظهراً دور اللون الأبيض في وصف المشهد، وتزداد بشاعة المشهد عندما صور الموت بالحيوان المفترس ذي الأنياب السوداء الحادة وقد (ساقته طبيعته إلى صورة من صور الحياة ومشاكلها العسيرة التي تفجع بها كل يوم؛ صورة امرأة ثكلى... ترك لها زوجها طفلاً صغيراً لا حول ولا قوة، وآخر حنيناً يتحرك في بطنها ويتهيأ للخروج يتيماً، وتأتيها أوجاع المخاض وحيدة لا معين لها، وتصبح بائسة وطفلها)[1]، وقد امتزج اللون هنا بالحركة ليمنح المشهد قوة وإثارة ورهبة، فكلمة "البرق" وما توحيه من لون أبيض قد دلت على حدة السيوف، أما كلمة "كالحا" التي تشير إلى السواد فقد أظهرت الموت في أعلى صور البشاعة كما أثارت الرهبة والخوف في نفس المتلقي من جهة، والألم والتحسر من جهة أخرى، وعليه يمكن القول: إن الشاعر بتصويره لهذا المشهد الحركي قد نقل المتلقي إلى ساحة المعركة وجعله يعايش أحداثها.

وفي وصفه للخيل نلمح مشهداً حركياً يجمع فيه صفات الخيل الأصيل إذ يقول:

فأعن على غَزوِ العدُوِّ بمنطَوٍ ... أحشاؤُه طيَّ الكتابِ المُدرجِ
إما بأشقرَ ساطعٍ، أغشى الوَغى ... منه بمثلِ الكوكبِ المتأججِ
متسربلٍ شيةً طَلَتْ أعطافَه ... بدَمٍ فما تلقاهُ غيرَ مضرَّجِ
أو أدهمٍ صافي السواد كأنه ... تحت الكَمي مظهر بيرندجِ
ضَرِمٍ يهيجُ السَّوطُ من شؤبوبهِ ... هَيْجَ الجنائبِ من حريق العَرْفَجِ
خفَّت مواقِعُ وَطئِهِ فَلوْ أنَّه ... يجري برملَةِ عالجٍ لم يرهجِ
أو أشهَبٍ يققٍ يُضيءُ وراءه ... متنٌ كمتن اللُّجةِ المترجْرِجِ
تَخفَى الحجولُ ولو بلَغنَ لِبانَهُ ... في أبيضٍ متألِّقٍ كالدُّمْلَجِ

[1] صبري، محمد، **البحتري، ص**123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أوفَـــى بعـــرفٍ أســـودٍ متغربـــبٍ فيمـــا يليـــهِ وحـــافِرٍ فيروزَجـــي

أو أبلـــق يَلْقَـــى العيـــونَ إذا بَـــدا مـــن كـــلِّ لَـــونٍ مُعْجِـــبٍ بنمـــوذَجِ

جـــذلانَ تَحســـبُه الجيـــادُ إذا مَشـــى عَنَقَـــاً بأحســـنِ حُلَّـــةٍ لَـــمْ تُنْسَـــجِ[1]

فهذه أبيات عكس فيها الشاعر حديثا عن صفات الخيل الأصيلة، ذاكراً أنواعها وألوانها وصفات كل منها، وذلك ليخبر ممدوحه في اختيار نوع الجواد الذي يريد أن يخوض معركته على ظهره، وقد جاءت الصور مفعمة بالحركة إذ عبر من خلالها عن أصالة تلك الخيل.

ويبدأ المشهد الأول بالاستعانة بالخيل الضامرة للعدو، وهو يختار لذلك خيولا عدة فإمـــا أن يكون الحصان أشقر كالكوكب الساطع، وهذا الحصان لقوته لا تلقاه إلا إذا ألبس حلة موشـــاة بدم الأعداء، فعنصر الحركة الممثل في الأفعال (أغشى، طلت، تلقاه) تؤكد أصالة ذلك الحصـــان وبخاصة أنها امتزجت باللون الأشقر الذي يدل على جماله وسرعته، أما اللون الأحمر للدم فقـــد قوى من أصالة هذا الحصان وقدرته على خوض المعركة لكثرة ما يتم من قتل الأعداء.

أمَّا الحصان الثاني الذي يريد أن يخوض المعركة على ظهره فهـــو الحصـــان الأدهـــم صافي السواد، "فيه حمية من يقاتل على صهوته، يندفع هائجاً تحت راكبه لأخـــف لمســـة مـــن لمسات السوط"[2]، ويصور ذلك باشتداد اشتعال النار في نبات العـــرفج عنـــد هبـــوب الريـــاح الجنوبية، وهو مع ذلك خفيف الحركة لا يثير الغبار، وقد شكل اللونان الأسود والأحمـــر معـــالم هذه الصورة الحركية، فلون الحصان الأدهم منحه معاني القوة والصلابة، ثم يأتي اللون الأحمـــر في الكلمات (ضرم، حريق) ليؤكد على قوة تحمله وسرعته ذلك أن اللون الأحمر يحمـــل دلالات الشدة والقوة.

---

(1) **الديوان**، 1/402-404.

(2) الجنان، مأمون، **البحتري، دراسة نقدية حول فنونه الشعرية**، ص 191.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحصان الثالث هو الأشهب اليقق، وهو الحصان الأبيض الذي يصاحبه سواد، يصور حركته في ساحة المعركة إذ هو سريع جدا، ولشدة بياضه فهو يضيء ما خلفه من الأرض غير المستوية، فكأنه يخوض موجة مضطربة، ثم يصور حركة قوائم الفرس التي تصل إلى صدره في سرعتها، وتخفى في لونه الأبيض المتألق كالدُّمْلج، وهذا البياض يعلوه العرف الأسود كما تزينه الحوافر ذات اللون الفيروزجي.

وفي صورة رابعة يذكر الحصان الأبلق، وهو الذي تداخل سواده مع بياضه، تتبهر العيون عند رؤيته، ثم يصوره بصورة جميلة فهو يتمايل متبختراً مختالاً بحلته، مما يثير الحسد في قلوب الجياد الأخرى، وقد جاءت الحركة في وصف هذا الجواد هادئة لما توحيه مشيته بذلك، وقد أضفت الألوان الجميلة على عنصر الحركة الهدوء والجمال.

وهكذا عرض الشاعر من خلال أبياته أنواع الخيول الأصيلة التي يعتمد عليها في خوض المعارك، وقد شكَّل عنصرا الحركة واللون معالم هذه الصورة؛ فعنصر الحركة عبر عن أصالة تلك الخيول وقوتها وسرعتها وقدرتها الفائقة في خوض المعركة، وجاءت الألوان مساندة للفكرة فألوان الخيل المذكورة في الصورة وهي (الأشقر، الأدهم، الأشهب، الأبلق) إنما تدل على الخيول العربية الأصيلة التي أحبها العرب واعتزوا بها، وهي صور تكشف عن خبرة البحتري بالجياد الأصيلة وأنواعها وصفاتها وألوانها ثقفها من المجتمع بالبيئة المحيطة.

وقد أورد ذكر الخيل في صورة متحركة من باب المفاخرة بفروسيته إذ يقول:

لا بـــدَّ للخيـــلِ أن تجـــولَ بنـــا ... والخيـــلُ أرماحُنـــا التـــي تَصِـــلُ

فمـــــرّةً بـــــاللُّجين ننعَلُهـــــا ... ومـــــرةً بالـــــدِّمَاءِ تنتَعِـــــلُ

حتَّـــى تَـــرى المـــوتَ تحـــتَ راياتِنَـــا ... تُطْفَـــأُ نيرانُـــهُ وتشـــتَعِلُ[1]

---

[1] **الديوان**، 1916/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيصور الخيل في ساحة المعركة ويعتمد الحركة عنصراً أساساً في التصوير، فهذه الخيل تتجول بفرسانها، وهي سريعة جدا إذ صورها بالرماح، ثم إن هذه الخيول ينعلها أصحابها بالفضة، لتغدو حوافرها بيضاء فضية، إلا أنها في ساحة المعركة تصبح ذات لون أحمر لكثرة سفك الدماء، ويشرك الشاعر حاسة البصر ليقرب المشهد أمام المتلقي إذ تتصاعد حدة الحركة نتيجة وصفه المعركة، حين يصور الموت بنيران تطفأ مرة وتشتعل أخرى، وهي صورة تبث الرعب في قلوب الأعداء، وتشعر بسطوة الممدوح وقوته، وقد جاءت الألوان مساندة للحركة لتمنح الصورة وضوحا في ذهن المتلقي، فكلمة (اللجين) التي تشير إلى اللون الأبيض عبر بها عن جمال الخيل، أما كلمة (الدماء) فقد جاءت لتعبر عن أصالة الخيل وقوتها، ثم جاء كلمة (بنيران) مقترنة بالفعلين (تطفأ وتشتعل) لتصف الموقف الرهيب في ساحة المعركة حيث الموت يضرب في كل ناحية.

وقد نقل البحتري صورة متحركة اشتركت فيها الحواس في وصف لوحة (أنطاكية) المرسومة على جدران إيوان كسرى إذ يقول:

وإذ ما رأيتَ صورةَ "أنطا كيةَ" ارتَعتَ بينَ "رومٍ" "وفرس"
والمنَايا مواثِلٌ، وأنُو شَرْ وانَ يُزجي الصُّفوفَ تحتَ الدَّرفس
في اخضرارٍ من اللِّبَاس على أصـ فرَ يختال في صبيغة ورس[1]

وتكشف هذه الصورة مدى سيطرة هذه اللوحة على وجدان الشاعر فقد مزج عناصر عدة فيها حتى "غدت صورة حسية حركية تبعث الخوف والرهبة في نفس الرائي"[2]، ذلك أن رؤية الإنسان لهذه اللوحة يبعث في ذهنه قضية الصراع الدائم بين الروم والفرس، ثم تعكس الصورة مشهد القتال في المعركة يديرها كسرى في تنظيم صفوف جيشه وتوجيهها، وهو يحمل راية

---

(1) **الديوان**، 1156/2 – 1157.
(2) حسن، جميل، **الصورة الحركية في شعر البحتري**، مجلة جذور، مج19، مج9، جدة، 2005م، ص73.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قومه التي تدل على مجد الدولة الفارسية وعظمتها، ثم تختلط الصورة الحركية بالألوان عندما يشير إلى اللباس العسكري الذي ارتداه كسرى في ألوانه الموزعة بين الخضرة والصفرة، إذ يعرف بها القائد وسط جيشه، وبذلك فإن استخدام الألوان قرب الصورة إلى ذهن المتلقي حتى جعلها حسية فكأنها مشهد حقيقي ينظر إليه ويدرك ألوانه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة بعنوان "اللون ودلالاته في شعر البحتري"، متخذة من اللون محـــوراً رئيساً لها، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج عدة، منها:

- عمد البحتري إلى توظيف الألوان في شعره بدلالات حملت مفاهيم تعارف عليهـــا العـــرب وعايشوها، كتفاؤلهم من اللون الأبيض وتشاؤمهم من اللون الأسود.
- كثرت الدلالات للون الواحد وتنوعت، وقد حملت بعض الألوان دلالات مناقضـــة للـــدلالات المعروفة فاستخدم اللون الأحمر للدلالة على السلم والأمان في ذكره للدم، واســـتخدم اللـــون الأسود للدلالة على الأمان في ذكر الليل، واستخدم اللون الأخضر للدلالة على العيش الكـــدر في ذكر الطحلب.
- مزج البحتري بين لونين أو أكثر، مما جعل الدلالات أكثر اتساعاً.
- مثّل اللون في شعر البحتري مرآة عكست جوانب نفسيه واجتماعية وثقافية ودينية، مما يؤكد الارتباط الوثيق للون بحياة الإنسان.
- شكل اللون عنصراً أساساً في الصورة الشعرية، فيه تشكلت أبعاد هذه الصورة فغدت أكثـــر وضوحاً وجمالاً ورسوخاً في الذهن.
- كما خرجت الدراسة بموضوعات يمكن للباحثين تناولها بالبحث والدراسة ومنها: "الشيب في شعر البحتري" و"أثر القرآن في شعر البحتري".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (370هـ)، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1965م.
2. إبراهيم، زكريا، **مشكلة الإنسان**، مكتبة مصر، (د.ط)، القاهرة، د.ت.

   مشكلة الفن، مكتبة مصر، (د.ط)، القاهرة، د.ت.
3. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (630هـ)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1966م.
4. أدمان، أدولف، **ديانة مصر القديمة**، تح: عبد المنعم أبو بكر وآخر، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1995م.
5. الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب (421هـ)، **مبادئ اللغة**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1985م.
6. إسماعيل، عز الدين، **التفسير النفسي للأدب**، دار العودة، ط4، بيروت، 1988م.

   الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، المكتبة الأكاديمية، ط6، القاهرة، 1967م.
7. أبو إصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ 1948 حتى 1975 دراسة نقدية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1979م.
8. امرؤ القيس، **ديوان امرئ القيس**، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
9. أندرسون، ماري، **الصحة والتداوي باللون**، تر: فؤاد الأسطة، دار الحوار، ط1، (د.م)، 1989م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10. الأندلسي، ابن حزم علي بن أحمد (994هـ)، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، ت: سعيد محمود عقيل، دار الجليل، (د.ط)، بيروت، 2004م.

11. البحتري، أبو عبادة الوليد (284هـ)، **ديوان البحتري**، ت: حسن الصيرفي، (د.ط)، (د.م)، 1963م.

12. بدوي، أحمد أحمد، **البحتري**، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د.ت).

13. البستاني، صبحي، **الصورة الشعرية في الكتابة الفنية – الأصول والفروع**، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1986م.

14. البكري، أبو عبيد، **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، تح: عبد العزيز الميمني، دار الحديث، ط2، بيروت، 1984م.

15. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (430هـ)، **كتاب الجماهر في معرفة الجواهر**، عالم الكتب، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

16. التطاوي، عبد الله، **سينية البحتري "البعد النفسي والمعارضة"**، دار غريب، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

17. ابن تغري، بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية، (د.ط)، (د.م)، 1963م.

18. التيفاشي، أحمد بن يوسف (651هـ)، **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار**، تح: محمد يوسف حسن وآخر، الهيئة العربية العامة، (د.ط)، (د.م)، 1977م.

19. ابن ثابت، أبو محمد ثابت، **كتاب خلق الإنسان**، تح: عبد الستار أحمد فرج، وزارة الإرشاد والأنباء، (د.ط)، الكويت، 1965م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (430هـ)، **فقه اللغة وأسرار العربية**، تعليق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط2، بيروت، 2000م.

ثمار القلوب، ت: محمد أبو شادي، إدارة مطبعة القاهرة، (د.ط)، القاهرة، 1326هـ.

21. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، 1996م.

22. الجبار، مدحت سعد محمد، **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**، الدار العربية للكتاب، (د.ط)، (د.م)، 1984م.

23. الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ت: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، 1982م.

24. الجنان، مأمون بن محيي، **البحتري دراسة نقدية حول فنونه الشعرية**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1994م.

25. جواد، فاتن عبد الجبار، **اللون لعبة سيميائية**، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 2009م.

26. الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (540هـ)، **المعرب في الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، ت: ف. عبد الرحيم، دار القلم، ط1، دمشق، 1990م.

27. جودي، محمد حسين، **تاريخ الأزياء القديمة**، دار الصفاء، ط1، عمان، 1997م.

فنون العرب قبل الإسلام، دار المسيرة، ط1، عمان، 1998م.

28. حجازي، أحمد توفيق، **أثر الألوان على العقل والجسم**، دار الأسرة، ط1، عمان، 2004م.

تأثير العطور على نفسية الإنسان، دار عالم الثقافة، ط1، عمان، 2011م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

29. ابن حزم، علي بن أحمد (456هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، ت: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1971م.

30. حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1962م.

31. الحكيم، بلينوس، **سر الخليقة وضعة الطبيعة**، كتاب العلل، ت: أورسولا داير، معهد التراث العلمي العربي، (د.ط)، حلب، 1979م.

32. حمودة، يحيى، **نظرية اللون**، دار المعارف، (د.ط)، (د.م)، 1981م.

33. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر ودار بيروت، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

34. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (754هـ)، **تفسير البحر المحيط**، دار الفكر، ط2، بيروت، 1979م.

35. الدخيل، محمد ماجد، **الصورة الفنية في الشعر الأندلسي، شعر الأعمى التطيلي نموذجاً**، دار الكندي، (د.ط)، الأردن، 2006م.

36. الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سنان، **سر الفصاحة**، ت: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد صبيح، (د.ط)، القاهرة، 1969م.

37. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

38. الرباعي، عبد القادر، **الصورة الشعرية عند أبي تمام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1999م.

جماليات المعنى الشعري "التشكيل والتأويل"، دار جرير، ط1، عمان، 2009م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

39. رشيد، فوزي، **ظواهر حضارية وجمالية في التاريخ القديم**، مراجعة وتقديم: منذر الحايك، دار صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق 2011مز

40. رياض، عبد الفتاح، **التكوين في الفنون التشكيلية**، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1983م.

41. زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، دار الفصحى للطباعة، (د.ط)، (د.م)، 1977م.

42. الزواهرة، ظاهر محمد هزاع، **اللون ودلالاته في الشعر، الشعر الأردني نموذجاً**، دار الحامد، ط1، عمان، 2007م.

43. أبو زيد، علي، **الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي**، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1996م.

44. سالم، محمد عزيز نظمي، **قراءات في علم الجمال حول الاستطيقا النظرية والتطبيقية**، (د.ن)، (د.ط)، (د.م)، 1996م.

45. السمرة، محمود، **النقد الأدبي والإبداع في الشعر**، دار الفارس للنشرن ط1، عمان، 1997م.

46. أبو سويلم، أنور، **الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول**، دار العلوم، ط1، الرياض، 1983م.

47. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (458هـ)، **المخصص**، المكتب التجاري، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

48. الشكعة، مصطفى، **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، دار العلم للملايين، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

49. شنوان، يونس، **اللون في شعر ابن زيدون**، منشورات جامعة اليرموك، (د.ط)، إربد، 1999م.

50. صالح، بشرى موسى، **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994م.

51. صالح، قاسم حسين، **سايكولوجية إدراك اللون والشكل**، دار الرشيد للنشر، (د.ط)، (د.م)، 1982م.

52. صبري، محمد، **أبو عبادة البحتري، درس وتحليل**، دار الكتب المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1946م.

53. ضيف، شوقي، **في النقد الأدبي**، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1962م.

54. ابن طباطبا، محمد أحمد العلوي (296هـ)، **عيار الشعر**، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، يروت، 1982م.

55. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، (د.ت).

56. طالو، محيي الدين، **الرسم واللون**، دار دمشق، د.ط، 1961م.

57. طه، المتوكل، **دراسة في الثلاثاء الحمراء لإبرهيم طوقان – البحث عن شاعر آخر**، بيت المقدس للنشر، ط1، القدس، 2003م.

58. العالم، إسماعيل أحمد، **ظواهر فنية في الشعر الأموي**، هبة النيل العربية، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

59. عبد الرحمن، نصرت، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، مكتبة الأقصى، (د.ط)، عمان، 1976م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

60. عبد الوهاب، شكري، **الإضاءة المسرحية**، ملتقى الفكر، ط2، الإسكندرية، 2001م.

61. عجينة، محمد، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، دار الفارابي، ط1، بيروت، 1994م.

62. عساف، ساسين سيمون، **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1982م.

63. العف، عبد الخالق، **التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر**، مطبوعات وزارة الثقافة، ط1، (د.م)، 2000م.

64. العكيلي، عهود، **الصورة الشعرية عند ذي الرمة**، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2010م.

65. علي، إبراهيم محمد، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)**، جروس بروس، ط1، طرابلس، 2001م.

66. علي، رمضان عبده، **تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته إلى مجيء الإسكندر الأكبر**، دار نهضة الشرق، (د.ط)، القاهرة، 1997م.

67. عمر، أحمد مختار، **اللغة واللون**، دار البحوث العلمية، ط1، الكويت، 1982م.

68. غريب، روز، **تمهيد في النقد الحديث**، دار المكشوف، ط1، بيروت، 1971م.

69. ابن فارس، أبو الحسن أحمد (395هـ)، **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ت)، بيروت، 1979م.

70. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (207هـ)، **معاني القرآن**، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1980م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

71. القرطاجني، أبو الحسن حازم (684هـ)، **منهاج البلغاء**، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

72. قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن الكريم**، دار الشروق، ط17، القاهرة، 2004م.

73. الكتبي، محمد بن شاكر (764هـ)، **فوات الوفيات**، تح: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

74. كحالة، عمر رضا، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

75. كشاش، محمد، **اللغة والحواس رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية**، المكتبة العصرية، ط1، (د.م)، 2001م.

76. الماجدي، خزعل، **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، دار الشروق، ط1، عمان، 1997م.

77. ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (209هـ)، **كتاب الخيل**، تح: محمد عبد القادر أحمد، (د.ن)، ط1، القاهرة، (د.ت).

78. محجوب، فاطمة، **قضية الزمن في الشعر العربي الشباب والمشيب**، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1980م.

79. المرتضي، الشريف، **طيف الخيال**، تح: حسن كامل الصيرفي، وزارة الثقافة، (د.ط)، (د.م)، 1962م.

80. المسعودي، أبو حسن علي بن الحسين (346هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: يوسف داغر، دار الأندلس، (د.ط)، بيروت، 1996م.

81. مصطفى، محمد عزت، **ثورة الفن التشكيلي**، دار القلم، (د.ط)، القاهرة، 1966م.

82. مطر، أميرة، **في علم الجمال وفلسفة الفن**، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1989م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

83. مناع، هاشم صالح، **البحتري حياته وشعره**، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 2002م.

84. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، ط3، بيروت، 2004م.

85. النابغة، **ديوان النابغة الذبياني**، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

86. نافع، عبد الفتاح، **الصورة في شعر بشار بن برد**، دار الفكر، ط1، عمان، 1983م.

87. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق، **الفهرست**، تح: رضا ابن علي الحائري، دارالمسيرة، ط3، 1988م.

88. النمري، أبو عبد الله الحسين بن علي (385هـ)، **الملمع**، تح: وجيهة السطل، مطبعة زيد ابن ثابت، دمشق، 1976م.

89. نوفل، يوسف حسن، **الصورة الشعرية والرمز اللوني**، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

90. إ.نوكس، **النظريات الجمالية: كانط، هيجل، شوبنهار**، تر: محمد شفيق شيا، بحسون الثقافية، ط1، بيروت، 1985م.

91. هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، دار الثقافة ودار العودة، (د.ط)، بيروت، 1973م.

92. ويليك، رينيه، **تاريخ النقد الأدبي الحديث**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، (د.م)، 1998م.

93. اليظي، صالح حسن، **البحتري بين نقاد عصره**، دار الأندلس، ط1، بيروت، 1982م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرسائل الجامعية:

94. إبراهيم، نوال مصطفى، **الليل في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1997م.

95. حمدان، أحمد، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008م.

96. الصحناوي، هدى، **اللون ودلالاته في الشعر العربي السوري الحديث**، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، سوريا، (د.ت).

97. عوض، محمود يوسف، **أسماء الزمن في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2009م.

98. أبو عون، أمل محمود عبد القادر، **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي – شعراء المعلقات نموذجاً**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003م.

99. متوج، سمران نديم، **دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي**، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، سوريا، 2004م.

100. المجالي، فيصل السيد حمود، **صورة الحضارة في شعر البحتري**، جامعة مؤتة، الأردن، 1996م.

101. الملا، صلاح حسن، **فن التشبيه في شعر البحتري**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 1991م.

102. ملحم، إبراهيم، **الحب والموت في شعر بشار بن برد**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1990م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدوريات:

103. الأثري، محمد بهجة، **الألوان في الفصحى والدراسات العلمية**، مجلة الأكاديمية، أكاديمية المملكة المغربية، ع9، 1992م.

104. التميمي، حسام، **جماليات المكان في شعر البحتري**، المؤتمر العام للغة العربية قضايا الأدب واللغة والتحديات المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة، ج1، ط1، 2001م.

105. جبري، شفيق، **لغة الألوان**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج2، مج42، 1967م.

106. حسن، جميل، **الصورة الحركية في شعر البحتري**، مجلة جذور، جدّة، ج19، مج9، 2005م.

107. خليفة، عبد الكريم، **الألوان في معجم العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع33، 1992م.

108. دياب، محمد حافظ، **جماليات اللون في القصيدة العربية**، مجلة فصول، ع2، مج5، 1985مز

109. ربابعة، موسى، **جماليات الألوان في شعر زهير بن أبي سلمى**، مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج2، ع2، 1998م.

110. عبد المطلب، محمد، **شاعرية الألوان عند امرئ القيس**، مجلة فصول، ع2، مج5، 1985م.

111. عبيدات، عدنان محمود، **جماليات اللون في مخيلة بشار بن برد الشعرية**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج80، ج2.

112. القاسمي، محمد، **الصورة الشعرية بين الإبداع والممارسة النقدية**، فكر ونقد، السنة الرابعة، ع37، المغرب، 2001م.

113. المغربي، حافظ، اللون، **بين فلسفة الفن والشعر**، مجلة جذور، جدّة، ج18، مج8، 2004م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ABSTRACT

The study deals with color connotations in Al-Buhturi's Poetry. The verses in which the poet highlights color have been amply studied and analyzed. The study consists of an introduction and three chapters.

The introduction tackles the old Arab studies on color and the most important references dealing with this topic, and presents the attitudes of old and modern critics on convergence of poetry and portrayal.

The *First Chapter* discusses color connotations in Al-Buhturi's Poetry, most of which conform with color conceptualization in both human and Arab heritages and have connection with Arab values and beliefs. Additionally, it discusses the prominence usage of white and black in Al-Buhturi's Poetry due to their big connotations. Red, green and yellow come in the second place. Blue, however, has been rarely used because it is connected with the color of the eyes of the enemy. The connotations of above colors had also been connected with nature, environment and people's daily life at the poet's time.

The *Second Chapter* handles psychological, social, cultural and religious color dimensions expressed by the Poet. Psychologically, the poet used color to express his reminisces, feelings and thoughts; socially, the poet used color to denote some social traditions used to prevail among Arabs; culturally; he used color to denote the culture of his time; and religiously he exploited color to denote Islamic religious aspects.

Finally, the *Third Chapter* deals with color influence on poetic images in Al-Buhturi's Poetry. The researcher studied prominent and effective connotative, suggestive, and sensitive aspects of color in formation of such images. All types of poetic images in Al-Buhturi's poetry have been analyzed, individual, compound, comprehensive and suggestive. As color is an outstanding aspect of the poetic image, it has been studied in terms of its impact on and relation with other aspects of the poetic image such as place, time and movement. This prominence had revived such images and inculcated them in the minds of readers as if they were real ones.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

HEBRON UNIVERSITY
POST GRADUATE FACULTY
ARABIC DEPARTMENT

COLOR CONNOTATIONS

IN

AL-BUHTURI'S POETRY (286 A.H.)

BY

NASRA MOHAMMAD MAHMOUD SHEHADEH

SUPERVISED BY
DR. HUSAM JALAL ATTAMIMI

2013

www.manaraa.com